

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

الم عدد السابع - السنة الثانية - جمادى الثانية ١٤٠٢ هـ نيسان ١٩٨٢ م

المدير المسؤول :

علي عقله عرهان

رئيس التحرير:

د. عبد الكريم اليافى

هيئة التحرير:

د. عبدالهادي هاشم

د. ابراهيم الكيلاني

د. نشأت الحمارنة

د. عدنان درويش



ترسل المواد والراسلات الى العنوان التالي :

اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب : ٣٢٣٠ - ٨١٦٢٩٩ - ٨١٦٣٢٩



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarab.com

مواقف فكرية بحثية في الفن والعلم في الغرب والشرق

الدكتور عبد الكريم اليافي

يقول الشيخ سعدي الشيرازي : « أبناء آدم أسرة واحدة » . وربما عنى بذلك أن الفكر موجود لدى جميع الناس ولذا كانت الإنسانية واحدة .

ولم تبرز وحدة الإنسانية يوماً من الأيام بروزها في المسر العظيم . لقد حا العلم المسافات ، وأطلعت مكاسبه التطبيقية الناس بعضهم على أحوال بعض في مختلف الشؤون معيشة وعلماً وفناناً وسياسة وتقدماً وتخلفاً . كذلك نجد كل نزاع عالمي يهدد الإنسانية في كيانها العميق .

ان الإنسانية اذا كانت تؤلف كياناً واحداً فان مجتمعاتها تتفاوت . . . ولابد لهذا التفاوت من أن يطبع بتأثيره سلوك الناس وأراءهم ومشاعرهم كما يذهب علم اجتماع المعرفة ، وكما تذهب الماركسية ، وكما ذهب قبلهما علم الاجتماع الغلدوني . . .

ونحن هنا نريد أن نبين بعض المواقف الفكرية تجاه الفن والعلم . ومهما رکنان حصينان لكل مجتمع ، وذلك كما تبدو في مطالعة ما يجد في أفكار الغرب ، وما قد تأثر تليداً وتواصل مستمراً في الفكر العربي الإسلامي . وقد تفيد كل مطارحة أو حوار اذا استطاعا أن يجلوا ملامح من تلك المواقف .

نتناول مثلاً كتاباً ذا عنوان جذاب وهو الطبع النفسي في مظاهر الفن من خلال شتى العضارات . وهو من أعمال المؤتمر السابع لعلم النفس المرضي في مجال التعبير

وقد عقد سنة ١٩٧٣ . ونقابل بين ما جاء في هذه الأعمال واتجاه الفكر في جانب من جوانب الحضارة العربية الإسلامية .

ولا حاجة لمطالعة أعمال المؤتمر كلها بل نكتفي بمقالة الأستاذ الدكتور رولاند فيشر Roland Fisher من مركز البحوث في الطب النفسي بماريلند في الولايات المتحدة . وقد ذكر في مراجعة تسعه بحوث وكتب أوردها في ذيل مقالته .

عنوان هذه المقالة مستغرب وهو «فن الجنون وجنون الفن» .
The Art of Madness and Madness of Art.

وهي تقع في أقل من صفحتين ونصف صفحة من الكتاب كأن المؤلف أثر أن يكشف آراءه الجديدة وأن يخفف عناعبها ، ولكنه عرض صوراً كثيرة تمثل تطور فن الرسم الحديث ليؤيد ما يذهب إليه .

ولكي أكون دقيقاً أوثر ترجمة القسم الأكبر من هذا المقال الصغير . يقول المؤلف :

« اذا لم يكن الجنون الا شكلا واحداً من اشكال اللا معقول كما أكد رانك Rank عام ١٩٢٩ وتابعه حديثاً فوكولت Foucault عام ١٩٦١ فان لمعة عن تطور الفن والعلم – وهذا شكلاً من اللا معقول – جديرة بالاهتمام ، اذا ان كلّاً من العلم والفن يمكن أن يكون أوضع تعبر عن جنون هذا العصر .

أشكال اللا معقول المبتكرة في الفن والانحرافات عن المعايير المعهودة تتمثلها الوحشية Fauvism (عام ١٩٠٥) والتكميبيّة Cubism (عام ١٩١٠) والتجريديّة غير الموضوعية Non objective abstractionism (١٩١٠) والدادائيّة (١٩١٧) وأخيراً السرياليّة من عام ١٩٢٥ وينضوي تحت لوائها فن الأولب والبوب Op and pop art (وهو اتجاه في الرسم ظهر في بريطانية والولايات المتحدة في أواخر الخمسينيات يدل على مجموعة الأشكال التي تظهر فيها الثقافة الشعبية المعاصرة من سينما وتلفزيون وأغاني وموسيقى ومنشورات ذات رسوم كما يدل على استيعاب الفنانين موضوعاتهم من هذه الثقافة الشعبية .)

وينقابل التطور الفني في الاتجاهات العلمية المبتكرة نظرية الكم أو الكوانتا عند بذلك عام ١٩٠٠ ، والتحليل الفرويدي عام ١٩٠٠ أيضاً ، ونظرية آينشتاين

في النسبة الخاصة عام ١٩٠٥ ، وبعد سنوات اشتباك المكان الزمني واحداثياته عند منكوفسكي ثم نظرية النسبة المعممة لأينشتين ثم جوهر بور ثم معادلات الموجة عند شرودونغر ومبدأ الاحتمالية عند هيزنبرغ .

وفي حين وجهت السريالية بزعامة بروتون Breton كتاباً مفتوحاً الى أطباء المشافي العقلية تحثهم فيه على تحرير المرضى لأنهم يُعتبرون ضحايا مشاعرهم المفرطة ظهر كتاب برنس هورن Prinzhorn « فن الرسم عند مرضى المقول Bildnerei der Geisteskranken » (عام ١٩٢٢) وبذلك نُوهَ لأول مرة بتشابه الفن الفصامي والبدائي والتجريدي المخالف للطبيعة وفن الأطفال وفن الفنانين السُّدُج . وعلى خلاف ذلك كان كتاب برنس هورن الثاني الذي ظهر عام ١٩٢٦ وعنوانه « فن الرسم عند المساجين Bildnerei der Gefengenen » فقد بيَّن فيه أن المساجين يرسمون بواقعية لا يُسلوب تجرييدي مخالف للطبيعة كما يرسم الأطفال والبدائيون ومرضى الفصام .

وقد تالت الأحداث . فأقيمت القنبلة الذرية الأولى عام ١٩٤٥ وبعد ذلك بقليل وسمت أنماط السلوك المرضية (التي كانت حاكمة) في نورنبرغ بالاجرام وأنزل بها العقاب . كذلك شرع الدين المنظم يفقد أسسه وأركانه ولا سيما في أمور تبعث على القلق . كما أن الخط الفاصل بين الواقع وما فوق الواقع ، بين الصحيح والمُتَلَّ ، كان من قبل واضحاً فاً أصبح من الصعب تمييزه باطراد .

وقد تناوب نهجان من التطور في دخال « الثورة الثالثة » في الطب النفسي .

١ - انتشار المهدئات الواسع لکبح المرضى الجامحين . فالعجبوب حمدت ومدحت بنفس الكلمات التي مدح بها وحمد بروم الصوديوم قبل نحو خمس وعشرين سنة .

٢ - انتشار LSD وسواء من المخدرات التي تبعث المس والاهتزاس فارتفعت رأية الدعوة والتأييد لاعتبار انسريالية سمة بارزة للعصر الحاضر .

وهناك مظهر آخر للثورة (الثالثة) وهو اسباغ المعالجة بالطب النفسي على المجتمع وقد بدأه لنغ Laing عام ١٩٥٩ حين اعتبر الطب النفسي فرعاً مستقلاً عن الطب وخلع عليه الصفة الاجتماعية . أكد لنغ أن بعض الظواهر

التي يعتبرها الأطباء مَرْضِية ما هي الا تعبير عن مشكلات الانسان وضرورب صراعه في مجتمعه على الرغم من تعدد الطرق التي تخترقها النفس الانسانية لتأكيد حريتها . وبذلك يندو المرض العقلي مجرد أسطورة كما نوه بذلك تشاتش Szasz سنة ١٩٧٠ .

ان مسوخ هيرونيموس بوس Hieronymus Bosch الرسام الهولندي التي رسمها في فنه كأنما عادت للظهور ولكن على صعيد الواقع . ولم تكن عودتها مفاجئة اذ تذكرت الآن بأقنية كيماوية سرقة لوث الماء والهواء وسمت الطعام وخلقت الطفرات الوراثية المؤذية وأثارت كوامن السرطان وعاشت في صبغيات الغلابا فساداً وشدواً ، وربما كانت علة جميع الكوارث البيئية . « بوس الذي ألح اليه الباحث عاش في القرن الخامس عشر ومات ١٥١٦ م . رسم صوراً خيالية بشعة ومسوخة منفرّة وشياطين مخيفة . يريد في الماحه أن ينبه الى ما ينجم عن التلوث الذي تعم طيفه من آفات وتشوه في الخلق والسعنات البشرية . »

وقد أشار الباحث في ختام بعثه جزعاً الى الأطباق الطائرة المهددة للكيان الانساني كما يشير الى مظاهر الفرور الزائف في هذا العصر ويعدها ضرباً من جنون العقلمة والى اضطراب المجتمع الذي يعيش فيه والذي يمور بشتى المشكلات . وهو ينقل في الحاشية ان الأمريكيين استهلكوا في عام ١٩٦٧ ثمانمائة ألف أوقية من مادة البربورات المهدئة وما يقرب من عشرة ملايين جبة من الانفيتامين Amphetamines وأن كل واحد من أربعة اشخاص يستعمل العجوب المهدئه بانتظام .

يستغرب المرء كيف يعتبر المؤلف العلم شكلاً من أشكال اللامعقول . ولذلك نجد في حاشية بعثه يشرح ذلك وهو أن العلم يعتمد المصادرات التالية وهي أن العلم يرى الطريقة العلمية هي وحدها الطريقة الصحيحة لمعالجة مشكلة مطروحة ولكن العلم لا يستطيع أن يبرهن على صحة تلك المصادر بطريقة علمية فهو يقع في دائرة مفرغة حين يقبل المصادر ويومن بها ايماناً .

يبدو من كلام المؤلف اطلاعه الواسع على تطور الفن والعلم . ولكن نلاحظ أن العلم على خلاف ما يزعم اذا كان ذاته معقولة فليس لأنه يعتمد على

مصادرة يصعب البرهان عليها وانما يتعد المصادرة وبيني عليها بناءً منطقياً متسلسلاً فمعقولية العلم جاءت من هذا البناء المنطقي المتسلسل وحاجة العالم استطاعته شرح الظواهر بمبدأ العلة والسببية ونحوه التجارب المستندة إلى هذا الشرح .

ليس لنا أن نتدخل في مشكلات مجتمع اذا كانت له مساواة يندد بها أبناؤه فان فيه مزايا كثيرة . ولكننا نريد أن نقابل هذا الموقف السلبي تجاه تطور الفن والعلم بال موقف الايجابي في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية .

وما دمنا قد ذكرنا المصادر في العلم فان العلم والفن في الحضارة العربية الاسلامية يقوم كلامها على المصادر التالية وهي أن الانسان آخر الموجودات في سلم التطور تتجل في جملة جميع الصفات التي توجد في العالم متفرقة وزيادة فيه الناحية العنصرية وهي الجسم ، وفيه الطبيعة الكلية أي طبيعية الحياة أو النفس ، وفيه العقل القادر على التحليل والتمييز وفهم حقائق الأشياء ، وفيه الفكر أو الروح التي هي من أمر الله . ونخينا فيه من روحنا . ولهذا كان أكمل الموجودات وكان بذلك الخليفة على الكون مسؤولاً عن سياساته حكيمه وموكلاً اليه تدبير أموره . ثمة تضارف وتضامن بين الكون والانسان من الناحية العلمية والعملية والجمالية . لقد امتلاط الكتب العربية الاسلامية بفضائل العلم ، كل علم ، والبحث عليه واعتباره فريضة وعبادة بل أفضل أنواع العبادات . ولا حاجة للتنويه بذلك . ولكننا نذكر هذا الحديث الذي أخرجه الترمذى : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم . إن الله عن وجلي ملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جعرها وحتى العوت ليصلوون على معلم الناس الغير . » قوله أدناكم يريد صحبه . وقد شبهوا بالنجوم في حديث أصحابي كالنجوم . يصلوون أي يستغفرون ويدعون لهم لأن فضل علمهم وارشادهم سبب لانتظام أحوال العالم . وذكر النملة والعوت بعد ذكر الثقلين تتميم لجميع أنواع الحيوان . ثمان نفع العابد مقصور على نفسه ونفع العالم متباوز إلى الخلاق حتى النملة . وفي التعبير المصرى الحديث نقول ينبغي أن يتم توازن حيوى على الأرض وألا يقع فيها تلوث ولا اجحاف ، لأن العلم والعمل مسوسان بالخير العام ومسيران نحوه .

ولهذا نجد خليفة الرسول أبا بكر يوصي أسامة بن زيد عند بعثه إلى مشارف الشام لتعزيز إخوانه العرب : « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تفدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تغروا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكلة . ١٠٠ ٠ ٠ ٠ » إلى آخر هذه الوصية الإنسانية، على حين نصادف اليوم تدمير المدن والقرى تدميراً كاملاً وقتل الأطفال والعوامل واقتلاع شعب كامل من وطنه . هذا مع التفرقة العنصرية والاساءة إلى أماكن العبادة .

نعود إلى حقيقة العلم . كل تجاف عن النظر في الكون والبحث في أسراره تباعد عن السنن الطبيعي وتنكّب» عن جوهر الإنسان . وربما كان التمثيل يوضع إلى أي مدى يقع اشتباك الفكر الإنساني والكون .

يمثل ابن عربي حواراً جرى له مع روح هارون النبي يقول فيه : « قلت يا هارون إن ناساً من العارفين زعموا أن الوجود ينعدم في حقهم فلا يرون إلا الله ولا يبقى للعالم عندهم ما يلتفتون به إليه في جنب الله . ولا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم . وأخبرنا العق أنك قلت لأخيك في وقت غضبه : فلا تشمت بسي الأعداء . فجعلت لهم قدرنا . وهذا حال يخالف حال أولئك العارفين . فقال : صدقوا ، فإنهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم . ولكن انظر هل زال من العالم ما زال عندهم ؟ قلت : لا . قال : فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم . فعندهم عدم العالم ، فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم فان العالم كله هو عين تجلّي الحق لمن عرف الحق . ٠ »

ولذلك يرى أولئك المفكرون أن ادراك حقائق الأشياء بالعلم ووعيها بالفن إنما هما وعي تلك التجليات وادراكها . إنما العبادة الحقيقة والغاية التي خلق لها الإنسان .

تلك تجليات كثيرة ومتعددة وقد تتناقض . وتناقضها وتنوعها وكثرتها كل ذلك يؤدي إلى الحيرة . وعندهم أن الحيرة نوعان : حيرة جهل ، تعيط العيرة

١ - عثر النخلة لقط رأسها كله مع الجماد فيبيست . وفي رواية لا تغروا من قصر الشجرة اذا للعها من فرها اي اصلها .

بالجاهل . وحيرة علم ، يحيط العالم عندها بالعبرة . ولا نهاية للعبرة في العلم ولا في الفن . وعلى حد تعبير ابن عربى « فان الأمر في نفسه لا غاية له يوقف عندها . فالهدى هو أن يهتدى الانسان الى العبرة فيعلم أن الأمر حيرة . والعبرة قلق وحركة . والحركة حياة . فلا سكون، فلا موت، وجود فلا عدم . » هذه الحركة العلمية الدائبة عبر عنها النفرى في مواقفه حين قال : « العلم المستقر هو الجهل المستقر . »

وكذلك الأمر في الجمال والفن . ثمة جمال يتلمسه الفنان أين نظر وأنى تأمل . وهو مسؤول فوق ذلك عن تجميل الكون . الحياة كلها عندهم فن وحب واقبال . انها تتسم بالقدسية . هي طريق الخلود . والفن ذو ايقاع يشف عن روحانية سرمدية من خلال التعبير والتغيير وذلك بالتناسب الدقيق والانسجام العميق وي موسيقى الخطوط واعتدال الأشكال سواء أكان ذلك في الرسم الذي يبدو كأنه تضافر أغانيات عيانية في المكان أم في العمارة المترنة المطمئنة التي يجري فيها الماء جريان الدم في الجسم . الفن عندهم سنى من نور الجمال المطلق .

وصرّح باطلاق الجمال ولا تقل بقيسيده ميلا لزخرف زينة
 وكل مليح حسته من جمالها مuar له بل حسن كل مليحة

كما يقول ابن الفارض (توفي سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٣٥ م) .

وقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع
 وسامح نفوسا ما جلتها رياضة ولا قوبلت مرأتها بتطبع

كما يقول سليمان بن علي العفيف التلمساني (متوفى ٦٩٠ هـ - ١٢٩١ م) .
 لا نريد أن نفيض في ايراد نصوص كثيرة تشرح مواقفهم وأراءهم .

ولكن لا بد أن نتوه بقمة من قمم الفكر الصوفى تعلى شأن العلم والفن والحياة والانسان لعلنا نقبل في مستهل القرن الهجري الخامس عشر متفائلين متضامنين مشمرین للجد والعمل في هذه الميادين . ان هذا المؤلف عبد الكري姆 الجيلي (متوفى سنة ٨٢٦ هـ - ١٤٢٣ م) يستند في جملة ما يستند اليه في كتابه « الانسان الكامل » الى حديث يعتمد الصوفية لقوة معناه ولا يرضى عنه أهل الحديث لضعف استناده وهو « ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي

المؤمن» . فاللوسخ هنا ثلاثة أنواع : وسع المعرفة بعثائق الأشياء وهو أصل العلم ، ووسع المشاهدة واطلاع القلب على المحسن والجمال وهو أصل الفن ، ووسع الخلاقة خلاقة الإنسان على الكون وهو أصل الأخلاق الفاضلة والسياسة العكيمة الخيرة . وهكذا تفهم سر هذه النبوى نبوى التجليات من خلال هذا النص الذي نقدمه وهو من أجمل النصوص التي عرفناها يخلع على الإنسان الذي هو آخر الإنسان أياً كان صفة علوية فائقة في شتى وجوه نشاطه ومختلف جوانب حياته . جاء في باب تجلي الصفات : «فنن المكثمين من تناجيه الحقيقة الذاتية من نفسه فيسمع خطاباً لا من جهة بغير جارحة ، وسماعه للخطاب بكليته لا يأذن فيقال له : أنت حبيبي . أنت محبوبى . أنت المراد . أنت وجهي في العباد . أنت المقصد الأسمى . أنت المطلب الأعلى . أنت سري في الأسرار . أنت نوري في الأنوار . أنت غببي . أنت زيني . أنت جمالى . أنت كمالى . أنت اسمي . أنت ذاتي . أنت نعمتي . أنت صفاتي . أنا اسمك . أنا رسمك . أنا علامتك . أنا واسمك . حبيبي ! أنت خلاصة الأكون والمقصود من الوجود والعدنان . تقرب الي بشهودي فقد تقربت اليك بوجودي . لا تبعد فاني أنا الذي قلت : ونحن أقرب اليه من جبل الوريد . لا تتقيد باسم العبد . فلولا الرب ما كان العبد . أنت أظهرتني كما أنا أظهرتك . فلولا عبوديتك لم تظهر لي ربوبية . أنت أوجدتني كما أنا أوجدتوك . فلولا وجودك ما كان وجودي موجوداً . حبيبي ! الدنوُ الدنوُ . حبيبي ! العلوُ العلوُ . حبيبي ! أردتك لوصفي واصطنعتك لنفسي . فلا تُرد نفسك لغيري . ولا تُرِدْغيري لك . حبيبي ! شمني في المشروم . حبيبي ! كلني في المطعمون . حبيبي ! تخيلني في الموهوم . حبيبي ! تمقئلي في المعلوم . حبيبي ! شاهدني في المحسوس . حبيبي ! المسني في الممسوس . حبيبي ! البسني في الملبوس . حبيبي ! أنت المرادي . أنت المكتنبي . أنت المكتنبي عنه بي . ما أذها من معاطفة ! ما أحلاها من ملاطفة

٠٠٠ أنا المراد بك ، أنا لك لا لي ، أنت المراد بي ، أنت لي لا لك . حبيبي ! أنت نقطة عليها دائرة الوجود . فكنت أنت العايد فيها والمعبود . أنت النور ، أنت الظهور ، أنت الحسن والزين كالملين للإنسان والإنسان للعين » .

حاشية : الاستشهاد بالسؤال الصوفية ليس منه أنه كاتب السطور يعتقدها . ولكنه مجرد الظاهر التابع بين الموالى .

عن العرب وللنجم ..

الدكتور عبد الرحيم بددر

والواقع أن الصحراء الواسعة التي تمتد أطرافها لتتصل باللأنهية تعلق على قاطنها أن يعرف موقعه منها ، فيعرف كيف يصل إلى مورد الماء والى مواطن الكلأ يرعى ابله ، ويعرف منازل القبائل الأخرى لكي يغزوها اذا شعر بالقوة او يفر من وجهها اذا شعر بالضعف .

وكان يشعر بعاجة أقل من ذلك الى معرفة مواعيد الفصول وھطول الأمطار وتقلبات الجو . وفي الواحات التي تصلح للزراعة كان يريد أن يعرف مواعيد الزراعة ومواعيد الحصاد .

كل هذه الحاجات جعلت الأعراب في الجاهلية وبعد الجاهلية يعرفون مواقع بعض النجوم التي قد تهدیهم سواء السبيل .

حاجة أهل العزيرة لمعرفة النجوم :

يقول الديينوري في كتاب الأنواء « يقال ان أعلم العرب بالنجوم كلب وبنو شيبان، وان العلم من كلب فيبني ماوية ومن شيبان في مرة . وصحبتي رجل من الأعراب في فللة ليلا ، فأقبلت أسأله عن معالٌ قوم من العرب ومياهم . وجعل يدلني على كل محلة بنجم وعلى كل ضياء (وقد تكون خباء) بنجم . فربما أشار الى النجم وسماه ، وربما قال لي ، تراه ، وربما قال لي ، ول وجھك نجم كذا ، أي اجمل مسirk على نجم كذا حتى تأتیهم . فرأیت النجوم تقودهم الى موضع حاجاتهم كما تقود مهايم الطرق سالك العبارات »⁽¹⁾

١ - هل المراد بالضياء ما يؤكد من النار بديار العرب .
وقال الألوسي لعله غباء . (الجلة) .

أما اليونان فالكواكب عندهم كانت هي الآلهة نفسها . ولهذه الآلهة من قصص العب والانتقام والحسد والغيرة والمقامرات الفرامية ما يوجب ادخال النجوم في العساب . كانت العضارات في الهند وما بين النهرين قد أخذت تسمى بعض المجموعات النجموية في السماء . ولكن الحضارة اليونانية لم تكن تترك مجموعة من المجوهرات النجموية الظاهرة الا وأطلقت عليها اسمًا من أسماء الأبطال أو الضحايا أو الحيوانات التي دخلت تلك الأساطير . وأصبح معظم السماء المنظور في نصف الكورة الشمالي ذا مجموعات نجموية معروفة ، تحمل كلها أسماء الأبطال الأسطوريين ، أو أسماء أدوات أو حيوانات تدخل عادة ضمن هذه الأساطير . ولبعض هذه التسميات مضمون فلكي ، كالعقلوب الذي لدغ اوريون الصياد ، ونشأت بينهما عداوة مستحكة فتباعد أحدهما عن الآخر في السماء ، بحيث لا يرى أحدهما الآخر . إن هذا يذكر دارس الفلك بأن العقرب يطلع عندما يغيب الصياد ، والصياد يطلع عندما يغيب العقرب .

وبعض القصص الأسطورية اليونانية أخذت أكثر من مجموعة في تسمياتها . فقصة برشاوس العبار واندروميدا ،

وكان العرب يسمون هذا النوع من المعرفة بالتنجيم . وعندما أصبح علمًا مدرسوساً سمه علم الهيئة . وما جاء الدين الإسلامي حتى ازدادت الحاجة إلى علم الهيئة لتحديد أوقات الصلاة وأوقات الصيام ، ومعرفة اتجاه القبلة .

حاجات الأمم الأخرى لمعرفة النجوم :

أما الأمم التي سبقت العرب في حضارتها فقد كانت لها دوافع أخرى أو دوافع مماثلة . غير أن جميع الأمم التي كانت لها حضارات في العصور القديمة والعصور المتوسطة – والعرب منهم – كانوا يؤمنون بأن لحركات الكواكب في السماء أثراً في حياة الإنسان وتصرفاته في القدر الذي كتب له . قد يكون سبب ذلك راجعاً في الأساس إلى حضارات ما بين النهرين التي كانت ترى أن الكواكب تتقمص روح الآلهة . ولكن كل حضارة ركزت دراستها على نوع معين ، بحسب الفكرة التي كانت تسود تلك الحضارة عن هذا الأثر .

حضارات ما بين النهرين كانت تركز اهتمامها على الكواكب وتحركاتها . فالأجسام القدسية التي تتقمص روح الآلهة جديرة باللاحظة والتتبع والرصد .

وكيف أتقنها من التنين ، لها خمس مجموعات .

البروج :

منذ أن بدأ رصد السماء عند الراسدين الأوائل ، سواء فيما بين النهرين أو في الهند أو الصين ، عرف الإنسان أن الشمس والقمر والكواكب السيارة المعروفة آنذاك ، عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل – كلها تسير في دائرة معينة من السماء لا تتمدها . وقد وجد أن النجوم المنتشرة في هذه الدائرة يمكن أن تعدد أشكالها في اثنى عشر شكلًا أو مجموعة . وقد أخذت هذه المجموعات أهمية كبيرة عند القدماء ، لسبب واحد فقط ، هو مرور الشمس والقمر والكواكب السيارة فيها . ولكن مرور هذه الأجرام السماوية المقدسة في هذه الأشكال النجمية شيء غير قليل . انه يضفي شيئاً من القداسة على الشكل ، حتى أنه لم يعد يسمى مجموعة أو كوكبة كنظيره في القبة الفلكية ، وإنما أصبح يسمى برجاً . فال أبراج اذن هي تلك المجموعات النجمية التي تقع على المدار الذي يبدو لنا أن الشمس والقمر الكواكب السيارة تسير فيه . ومعرفة لأبراج (أو البروج) ، ومواعيد رورتها وغيابها ، ووقوع أحد الكواكب في

هذا البرج أو ذاك – أمور تعتمد عليها صناعة التنجيم وكشف الطالع . وقد ازدهرت هذه المعرفة منذ حضارات ما بين النهرين . ولكن البروج أخذت أسماءها عندما وصفها بطليموس في كتاب (المجسطي) في القرن الميلادي الثاني . وفي هذا الكتاب أيضاً تم تحديد بقية المجموعات النجمومية في السماء (على الأقل الظاهرة جداً منها) وتم وضع الأسماء لها .

العرب في الجاهلية والمجموعات النجمومية :
ان صناعة التنجيم القائمة على معرفة الكواكب والبروج لم تزدهر في الجزيرة العربية ، ولهذا فإن البروج بعدودها وأشكالها المعروفة عند الحضارات التي سبقتهم لم تكن معروفة لديهم . حتى المجموعات النجمومية التي هي خارج نطاق دائرة البروج ، لم تكن محددة المعالم . ان تحديد صورة مجموعة من المجموعات يحتاج الى تدوين ورسم يعطيها شكلها المتفق عليه ، وليس هناك من الآثار الكتابية ما يدلنا على ذلك . ان معظم الآثار المكتوبة التي عرفت حتى الآن من الحضارة العربية في اليمن تدل على أن العرب قد أخذوا بعض الكواكب وهذه نقلوها في الأرجح عن حضارة ما بين النهرين والفرس . الواقع أن الفالبية الظمى

ولكن تقسيم نطاق البروج الى منازل، لم يعد الأساس الذي يعتمد عليه الفلكيون عندما أصبح التنجيم علمًا، وأخذوا عن اليونان تقسيم البروج ودخلت صناعة أحكام النجوم ومعرفة الطوالع .

بداية الفلك في الحضارة العربية :

قامت الحضارة العربية بظهور الاسلام . وانشغل العرب أول الأمر بالفتحات في عصر الخلفاء الراشدين ، ثم في العروبة فيما بينهم . وفي عصر الأمويين لم تكن هناك بداية ملعوظة للاهتمام بالعلوم عامة أو بالفلك ، اللهم الا ما يرويه كرلو نلينو عن ابن القسطنطيني أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان كان ذا همة بالعلوم وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم والكمياء حتى سمي حكيم آل مروان . ويقول نلينو من المعتدل أن يكون أول كتاب ترجم من اليونانية الى العربية (بقطع النظر عن كتب الكيمياء) هو كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس العكيم الموضوع على تحاويل سني العالم وما فيها من الأحكام النجومية، وجده نسخا منه خط يد في المكتبة الامبرسiana في ميلانو . وفي آخر هذه النسخة « وكاد ترجمة الكتاب في ذي القعدة سنة

من معارفنا عن مدى المام عرب الجزيرة بالنجوم راجع الى كتاب « صور الكواكب الشانية والأربعين » لعبد الرحمن الصوفي . ففي هذا الأطلس الدقيق الرائع للمجموعات السماوية يذكر الصوفي ما قالته العرب عن كل مجموعة أو عن بعض نجومها . والذي يلفت الانتباه في تسميات العرب لنجوم السماء ، أنهم كانوا يركزون اهتمامهم على نجعين لامعين ، قد يكونان في مجموعة واحدة أو في مجموعتين ويشتركان عادة في خطوط الصعود المستقيم – أي أنهما يغربان ويشرقان في وقت واحد تقريريا . فهناك الفرقدان والشمريان والسماكان والهراران والشرطان والزبانيان والفرغان والنسران والمعلمان وما الى ذلك .

أما نطاق البروج ، وهو الذي تسير فيه الكواكب السيارة والشمس والقمر ، فقد قسموه الى منازل القمر . رأوا أن القمر يتنتقل في السماء في هذا النطاق ويعود الى الموضع الذي كان فيه (تقريباً) بعد ثمانية وعشرين يوما . فهو يمكث كل يوم في منزلة . وهذه الطريقة في التسمية كانت معروفة قبلهم في الهند ، الا أن الهندو كانوا يقسمون منطقة البروج الى سبعة وعشرين منزلة .

خمس وعشرين ومائة هجرية » ومعنى ذلك أن المترجم فرغ من ترجمة الكتاب قبل انفراط الدولة الأموية بسبعين سنة .

وما قامت الدولة العباسية حتى بدأ العمل الجاد في ترجمة الكتب من جميع الحضارات التي كانت معروفة آنذاك . وقد بدأ ذلك منذ أيام أبي جعفر المنصور (الخليفة الثاني) فترجمت الكتب من اليونانية والفارسية والهندية . وأخذت حركة الترجمة والتاليف تتسع وتزداد في أيام من ثلاثة من الغلفاء ، وخاصة في عصر المؤمنون .

ومما يدل على أن العرب كانوا يدرسون الفلك دراسة جادة ، وانهم لم يكونوا يتذمرون منها مجرد متعة فكرية – كما هي حال العرب في الفلك في أيامنا هذه – انهم سرعان ما بدأوا في استعمال آلات الرصد . ويقول نليبو ، نقلًا عن كتاب الفهرست وابن القسطي وحاجي خليفة ، ان أول مسلم عمل اسطرلابا والتف فيه كتابا هو أبو اسحاق ابراهيم بن حبيب ابن سليمان الفزارى من فلكي المنصور ، واسم الكتاب « كتاب العمل بالاسطرلاب المسطوح » وهو مفقود ولا نعرف عنه الا اسمه . وله رسالة أيضا مسماة « كتاب العمل بالاسطرلاب وهو ذات الحلق . » وهناك منجم آخر من منجمي المنصور

اسمه ما شاء الله ، التف الكتب في الاسطرلاب المسطوح ذات العلق ، ضاعت كلها ولم تنج من التلف الا ترجمة لاتينية لأحدوها يعنوان « كتاب الاسطرلابات والعمل بها » طبعت ثلاث مرات في القرن السادس عشر الميلادي .

مهما يكن من أمر ، فقد أخذت الترجمة بالازدياد والتحسن التدريجي مع اكتساب الخبرة . كانت أول الأمر نقلة المترجمين الميسرين . حتى ان يحيى ابن خالد بن يرمك طلب الى جماعة ان يفسروا له المخططي فلم يتقنوه فانتدب غيرهم أكثر منهم كفاية . وعلى وجه التعميم ، لم تكن الترجمات في القرن الثاني الهجري متقدة . ولكن القرن الثالث الهجري تميز باتقان التعريب .

وقد ترجم العرب عن الهندية كتاب السندي هند الكبير والارجuber والاركند ، وانبىءى الفلكيون يعملون ازياجهم بناء على حساباتها . وترجموا عن الفارسية زيج الشهريار وعن اليونانية مؤلفات منسوبة الى هرمس الحكيم ودرووثيوس الصيداوي وانطيقوس الأثيني . ومنذ أيام المنصور ترجمت المقالات الأربع لبطليموس ، وقد شكلت في نسبتها الى بطليموس أبو معشر البلاخي ورد عليه علي بن رضوان المصري والباحثون

محيط الكرة الأرضية :

ان أي علم من العلوم التجريبية لا تكون له قيمة اذا لم تستند البراهين والأدلة . بل انه لا يعتبر علمًا تجريبياً بدونها . وقيمة التراث الفلكي الذي قدمه العرب قائمة على مقدار الجهد الذي بذله الفلكيون في الرصد والقياس والحسابات لما رصدوا وقايسوا . فإذا دوى اسم الباتاني والبيروني والصوفي في القرون الوسطى ، فليس ذلك لأنهم كتبوا لنا أموراً نظرية محضة ، إنما لأنهم رصدوا وحسبوا ارصادهم ، وأجادوا بذلك في التعبير عن آرائهم في نتيجة ما فعلوا .

عرف اليونان ان الأرض كروية ، أعني أن هذه الفكرة دخلت الى العلم التجريبي منذ أن نادى بها ارسططاليس (٣٨٤ - ٢٢٥ ق.م) . وكانت حجته قوية بسيطة . اذا تمعنت في النجم القطبي الذي تجده في الجهة الشمالية من السماء ، فانك تراه يكاد يكون ثابتاً في موضعه ، والسماء بنجومها تدور حوله في ٢٤ ساعة . وفي اليونان حيث كان يعيش ارسططاليس يبدو النجم القطبي عالياً علواً لا يأس به في القبة الفلكية . ولكن المسافر الى مصر يرى أن النجم القطبي الشمالي قد انخفض في الأفق ، وسيجد

المتأخرن يثبتون صحتها ويؤيدون ابن رضوان المصري في ماجاء اليه .

ولما ترجم المخططي لبطليموس وجد الفلكيون العرب فيه جاماً مانعاً . فطفني على غيره وأصبح المصدر الرئيس الذي اعتمد عليه كل الفلكيين العرب .

كانت الترجمة في بدايتها للفهم الاستيعاب وكان يستعمل بها في كتابة الازياج . ولكن لما تم هضم العلوم التي نقلتها الترجمات المتقدمة جاء دور التصحیح فيما تبعد عنـه ، والتعليق على الأخطاء الواردة فيها . وكانت آلات الرصد تتتطور أيضاً مع تطور استيعابهم لهذه العلوم ، فأخذت تظهر الكتب المختلفة عن كيفية عمل هذه الآلات والوصول بها الى مراحل الاتقان . ولكن الرصد المتقدن يحتاج الى معرفة الدرجات والدقائق والثوانی من الزاوية ويعتاج معرفة حساب المثلثات . فصدرت الكتب المتالية في هذا النوع من الحساب . كانت حساباتهم أول الأمر تعتمد على القليل من حساب المثلثات الذي عرفه بطليموس ، وعلى هندسة اقليدس المسطحة . ولكن حساب المثلثات الكروية بلغت شأواً عظيماً في كتابات البيروني ، ووصل الكمال بهذه عند نصر الدين الطوسي .

طريقة العرب العملية :

بيد أن العرب سلوكوا طريقة أكثر عناء ، و تتطلب أجهزة دقة جداً في سبيل الوصول إلى الهدف نفسه . ولا أدرى إذا كان لديهم آنذاك علم بقياس أراتوستين .

لما كان القطب الشمالي الفلكي ثابتاً في السماء ، و نراه يرتفع كلما سرنا إلى الشمال و ينخفض كلما سرنا إلى الجنوب ، فمعنى ذلك أننا إذا قسنا ارتفاع القطب و نحن في موضع معين ، ثم أخذنا بالسير إلى الشمال حتى يزيد ارتفاع القطب درجة واحدة ، فإننا نكون قد سرنا بمقدار درجة واحدة من محيط الأرض . الفكرة سليمة جداً و صحيحة نظرياً . ولكنها تتطلب أجهزة دقة للنهاية . و مما يزيد المسألة تعقيداً أن نجم القطب الشمالي ليس في القطب الشمالي بالضبط الذي يكون دليلاً في القياس . انه يبعد حالياً حوالي درجة واحدة عن القطب وكان قبل ألف سنة يبعد خمس درجات . والذين قاموا بهذا القياس يعرفون ذلك ، وكان عليهم أن يعيّنوا موضع القطب الشمالي أولاً ثم يقيسوا ارتفاعه عن الأفق . انه عمل جبار معقد ، على الأقل كان معقداً في تلك الأيام .

أن هناك نجوماً جديدة قد أخذت تظهر في الأفق الجنوبي لا تظهر له أبداً في اليونان . هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها الا اذا كانت الأرض كروية . وكانت هناك حجج أخرى لآرسططاليس ، ولكن هذه وحدها كافية .

طريقة أراتوستين النظرية :

وحوالي سنة ٢٧٠ ق.م كان الفيلسوف اليوناني أراتوستين مسؤولاً عن مكتبة الاسكندرية الضخمة ، فقرأ في أحد الكتب الميسرة لديه أن الشمس تكون عمودية على مدينة أسوان عند الظهيرة في منتصف الصيف بحيث تنعكس أشعتها عن سطح الماء في بئر عميق . فقام ميل الشمس عن السمت في الاسكندرية في اليوم نفسه ، فوجد أنها أقل من أن تكون عمودية بسبعين درجات ونصف الدرجة . هذه الدرجات هي الفرق بين أسوان والاسكندرية في محيط الأرض . كلها ٣٦٠ درجة ، وهذا يبلغ خمسين ضعف الرقم الذي حصل عليه تقريراً ، وسأل فوجد أن المسافة بين أسوان والاسكندرية ٥٠٠٠ ستاديوم . فضرب هذا الرقم في ٥٠ وحصل على رقم يقارب العقيقة وهو ما يعادل ٢٤٨٥٠ ميلاً إنجليزياً .

قام الفلكيون العرب بهذا العمل بأمر من الخليفة المأمون . وينقل لنا نلينو من النسخة الخطية الوحيدة الموجودة لكتاب الزيجي الحاكمي الكبير – وهي محفوظة في مكتبة ليدن – لابن يونس المصري ، ما يلي :

المتحن بناء على الأرصاد العربية الممتحنة) بدمشق ، أن المأمون أمر بأن تقاس درجة من أعظم دائرة من دوائر بسيط كره الأرض . قال فسروا لذلك في برية سنمار حتى اختلف ارتفاع النهار بين القياسين في يوم واحد بدرجة ثم قاسوا ما بين المكانين فكان ؟^(٢) ميلاً وربع ميل منها أربعة آلاف ذراع بالذراع السوداء التي اتخذها المأمون . وأقول أنا وبآلة التوفيق أن هذا القياس ليس بمطلق بل يحتاج مع اختلاف ارتفاععي نصف النهار بدرجة إلى أن يكون القائسون جميعاً في سطح دائرة من دوائر نصف النهار ، والسبيل إلى ذلك بعد أن نختار للقياس مكاناً معتدلاً ضاحياً أن يستخرج خط نصف النهار في المكان الذي يبتدئ منه القياس ثم تتجدد جليلين دققين جيدين طول كل واحد منها نحو خمسين ذراعاً ، ثم نمر " أحدهما موازياً لخط نصف النهار الذي استخرجناه إلى أن ينتهي ، ثم نضع طرف العجل الآخر في وسطه ونمره راكباً عليه إلى حيث بلغ ، ثم نرفع العجل الأول ونضع أيضاً طرفه في وسط العجل الثاني ونمره راكباً عليه

« الكلام فيما بين الأماكن من الذرع . ذكر سند بن علي في كتاب وجده له ، أن المأمون أمره هو وخالد بن عبد الملك المروروذى (نسبة إلى مرو الروذ) أن يقيساً مقدار درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح كره الأرض . قال فسروا لذلك جميعاً ، وأمر علي بن عيسى الأسطرلابي وعلى بن البحتري بمثل ذلك فسروا إلى ناحية أخرى . قال سند بن علي : فسرت أنا وخالد بن عبد الملك إلى ما بين وامة (كذا ، ولعلها واسط الرقة) وتدمير ، وقسنا هناك مقدار درجة من أعظم دائرة تمر " بسطح كره الأرض فكان سبعة وخمسين ميلاً ، وقاد علي بن عيسى بن البحتري فوجداً مثل ذلك ، وورد الكتابان من الناحيتين في وقت واحد بقياسين متفقين . وذكر أحمد بن عبد الله المعروف بعيش في الكتاب الذي ذكر فيه أرصاد أصحاب الممتحن (أي فلكي الخليفة المأمون برئاسته يعني ابن أبي منصور الدين الفواز) الزيج

٢ - في المقال اشارة استلهام . وفي النص الذي يذكره نلينو (نو) ولم يفهم المستشرق هذا الرمز وهو واضح في حساب العجل ومنه ٦٥ الواو ستة والتسعون بخمسين (الجلدة) .

ثم نعمل ذلك دائمًا ليعحفظ المسما
وارتفاع نصف النهار يتغير دائمًا بين
المكان الأول الذي استخرج فيه خط
نصف النهار والمكان الثاني الذي انتهى
إليه الذين يسرون حتى إذا كان بين
ارتفاعي نصف النهار في يوم واحد درجة
بالتين صححتين تبين الدقيقة في كل
واحدة منها قيس ما بين المكانين فما كان
من الأذرع فهو ذرع درجة واحدة من
أوسع دائرة تم ببساطة كرة الأرض .
وقد يمكن أن يحفظ المسما عوضاً عن
العلمين بأشخاص ثلاثة تسير بعضها ببعضًا
على سمت خط نصف النهار المستخرج
وينتقل أقربها من البصر متقدماً ثم الذي
يليه ثم الثالث دائمًا ان شاء الله » . انتهى
كلام ابن يونس المصري .

لقد أوردت هذا الكلام كله لأطلع
القارى على أسلوب كتابة الفلكيين العرب ،
أو على الأقل على أسلوب ابن يونس المصري ، وخوفه من أن يكون الراسدون
الذين يتحدثون عنهم قد ضلوا وحددوا عن
الطريق السوى ، ولهذا فهو يصف لهم
الطريقة التي تمنعهم عن الفساد في
قياس كهذا .

ويستخلص من زيج ابن يونس أن
لفرقتين اللتين قاما بهذا القياس قد
صلتا إلى نتيجتين مختلفتين . فكان

طول الدرجة عند احداثها ٥٦ وربع
الميل وعند الثانية ٥٧ ميلاً ، فاتخذ
متوسطهما ٥٦ وثلثي الميل .

وإذا أخذنا نتساءل عن مدى دقة
هذا القياس وقرب النتيجة التي توصلوا
إليها من الحقيقة ، اعترضتنا مشاكل
كثيرة . فكم هو طول الميل العربي ؟ هل
هو أطول أو أقصر من الميل الانجليزي
الذي نعرفه الآن ؟ وسننتهي إلى نتيجة
تقول إننا لا نعرف بالضبط .

ان عدم وجود قياس معياري
للمسافات في العصور المتقدمة جعلنا
نتحير في النتائج التي تتضمن هذه
القياسات . حتى النتيجة التي توصل
إليها اراتوسرين ، فهي تعتمد على
الستadiوم ، وقد كانت هناك أنواع مختلفة
للسadiوم ، ولكن حسابها بالستadiوم
الاسكندراني أعطانا هذه النتيجة القريبة
من الحقيقة .

غير أن الطريقة التي قام بها العرب
كانت صحيحة ، والعمل نفسه كان جباراً .
ويملأ نلينو على ذلك فيقول « أما قياس
العرب فهو أول قياس حقيقي أجري كله
مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من
المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشتراك
جماعة من الفلكيين والمساحين في العمل .

فلا بد لنا من عداد ذلك القياس في أعمال
العرب العلمية المجيدة المأثورة . . . *

(حاشية - لقد قام الأستاذ حسن منزل من الهند بتعقب
الليل العربي بالنسبة إلى الليل الإنجليزي ، فوجد أن الولم
الذي توصل إليه ملكيو المأمون في لباس معيط الكورة الأرضية
هو ٢٤٨٢٥ ميلاً إنجليزياً . يذكر هذا في المقدمة التي كتبها
باللغة الإنجليزية لكتاب القانون السعودي المطبوع باللغة
العربية في مطبعة دائرة المعارف الشهانية في حيدر آباد . الدفن ،
بالهند .)

قياسات أخرى :

كانت هذه الخطوة العجيبة بداية
انطلاق للفلكلين اللاحقين ، عرفوا منها أو
من الروح الدافعة إليها أن الأساس الذي
تقوم عليه دراسة الفلك هو الرصد
والقياس . وإذا استثنينا أبارخوس
وبطليموس فلا نجد في تاريخ الفلك
السابق من كان يعتمد في رصده على
القياس .

وقد حاول البيروني أن يعرف معيط
الأرض بطريقة أخرى . وذلك بأن
يقيس زاوية غروب الشمس وهو على
رأس جبل عال، ثم يقدر ارتفاع ذلك الجبل ،
ويستعمل في ذلك حساب المثلثات . يذكر
نلينو أن الأستاذ ويدمن الألماني أرسل
إليه صورة فوتografية عن النسخة
الوحيدة المعروفة لكتاب الأسطرلاب
للبيروني المحفوظة في مكتبة برلين جاء
فيها « وفي معرفة ذلك طريق قائم في الوهم

* يقدر الليل العربي بـ ١٨٤٨ متراً ، أما نلينو فيقدر
بـ ١٩٧٣٢ متراً . (الجزء)

صحيح بالبرهان والوصول إلى عمله صعب
لتصير الأسطرلاب وقلة مقدار الشيء الذي
الذي يعني عليه فيه ، وهو أن تصعد جبلاً
مشrafًا على بعر أو بريئة مساء وترصد
غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من
الانحطاط ثم تعرف مقدار عمود ذلك
الجبل وتصرره في الجيب المستوى ل تمام
الانحطاط الموجود وتقسم المجتمع على
الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه
ثم تضرب ما خرج من القسمة في اثنين
وعشرين أبداً وتقسم المبلغ على سبعة ،
فيخرج مقدار احاطة الأرض بالمقدار
الذي قدّرت به عمود الجبل . ولم يقع
لنا بهذا الانحطاط وكميته في الموضع
العالى تجزة . وجراً أنا على ذكر هذا
الطريق ما حكاه أبو العباس التيريزى عن
أرسطوليس أن أطوال أعمدة العجائب خمسة
أميال ونصف بالمقدار الذي به نصف
قطر الأرض ثلاثة آلاف ومائتاً ميل
بالتقريب ، فان الحساب يقتضى لهذه
المقدمة أن يوجد الانحطاط في الجبل
الذى عموده هذا القدر ثلاثة درجات
بالتقريب . والى التعبيرية يتبعاً في مثل
هذه الأشياء وعلى الامتحان فيها يعوز
وما التوفيق الا من عند الله العزيز
المكييم . »

انتهى كلام البيروني . والجيب

والعرض . وعلى خلاف ما ذكر بطليموس قالوا ان الشمس تبتعد وتقرب من الأرض ، وكذلك القمر . اذن فقد عرروا وحدهم أن سير هذه الأجرام الظاهري حول الأرض ليس في دوائر وإنما في أشكال اهليجية ، فهي تقترب أحياناً فتصبح في العضيض وتبتعد أحياناً فتصبح في الأوج .

و هذه هي الفكرة التي اعتمد عليها الإمام أبو الحسن كوشيار بن لبان الجيلي في رسالته « في الأبعاد والأجرام » التي وجهها إلى البيروني (طبع دائرة المعارف العثمانية بعيدر آباد - الدكن) . ففيها يعتمد على حجم القمر عندما يكون في الأوج وعلى حجمه عندما يكون في العضيض ، والفرق في الفلول في أثناء الخسوف في العالتين . وفي تقدير أبعاد الكواكب السيارة ، يعتمد على حجمها الظاهري في الأوج وفي العضيض . ومن الغريب أنه بهذه الطريقة عرف أن الأرض أكبر من عطارد ومن الزهرة وأصغر من المشتري وزحل ، وأخطأ في نسبة حجمها إلى حجم المريخ ، فقال انه أكبر منها .

و في ذروة الدقة في الرصد في العصور نصل إلى عبد الرحمن الصوفي الذي وضع كتاب « صور الكواكب الثمانية المنكوس هو ما نسميه الآن جيب التمام و ٢٢ على ٧ هي النسبة التقريبية . و نرى من كلامه هذا أنه لم يكن قد قام بعد بقياس محيط الأرض . ولكن الأستاذ حسن منزل يذكر أن البيروني قد قام بهذا القياس عندما كان رهن الاعتقال في قلعة ناندا في البنجاب الغربية ، فقد قاس محيط الأرض ومقدار الدرجة الواحدة من المحيط ، وأن البيروني يذكر طريقة مماثلة في كتابه « التحديد » . و يذكر أن البيروني أيضاً قاس مساحة سطح الأرض ، و حجمها وزنها بالذهب .

والواقع أن الفلكيين العرب لم يتركوا قياساً فلكياً يمكن أن يمر بالبال في تلك الأيام ، وبمقدار مفهومهم عن الفلك إلا وطرقوه . فأعادوا قياسات أبارخوس وبطليموس ، وعدلواها بحسب ما دلت عليه آلات رصدهم التي أصبحت في العقيقة أدق من تلك التي استعملها هذان العالمان . وقاموا بقياسات جديدة أيضاً . وكانت قياساتهم هذه موضع تعديل مستمر ، بحيث نجيز لأنفسنا أن نقول ان أدق ما وصلوا إليه هو ما حققه البيروني .

فتاتسو مقدار ميل دائرة البروج عن خط الاستواء الفلكي وعرفوا تقدم الاعتدالين ، وعينوا خطوط الطول

وفي ذروة الدقة في الرصد في العصور نصل إلى عبد الرحمن الصوفي الذي وضع كتاب « صور الكواكب الثمانية

والأربعين » (والكواكب هنا ، جمع كوكبة والمقصود بها المجموعة النجمية) . فقد كان كتابه الأطلس الدقيق الذي صاحب ما وصفه بطليموس وأبارخوس وعدد عليه ، بعيث ظل المرجع الأساسي للراصدین حتى القرن السابع عشر الميلادي حين ظهر المربقب .

ال Kapoor العاائم على الفلك عند العرب :
نرى من هذا ، أن العرب لم يكونوا مجرد ناقلين لعلم الفلك الذي تسلّموه من الهند والفرس واليونان ، بل انهم هضموا العلم وتمثلوه ، فنقحوه وصححوه وزادوا عليه وجعلوه في حالة جديدة ، هي أرقى ما يمكن أن تصل إليه فنون المعرفة في الصور الوسطى التي كانت تفتقر إلى المربقب والى الآلات الدقيقة الصنع .
ونرى البيروني ينتقد تهاون بطليموس وتخيلاته في بعض ما ورد عنه . فهو يجد أن بطليموس حين حسب بعد الشمس عن الأرض أخذ في الاعتبار الكسوف الكلي للشمس ولم يعتبر الكسوف الحلقي . يقول :

« لكن بطليموس أخذ قطر القمر في بعد الأبعد مساوياً لقطر الشمس ، معتمداً فيه الوجود بثقبتي ذات الشعوبتين ، ولم يجعل لقطر الشمس اختلافاً باختلاف

أبعادها في ذلك الأوج تهاوناً بذلك ومخيلاً اياه على الغيبة عن الخير مع ايجاب الحال اياه ظاهراً له . » ثم يكمل قائلاً : « وقد اتضح ان القمر في أبعد بعده عن الأرض يقصر عن كشف الشمس بكليتها وهي عند أووجهها وأما أقصره عن ذلك اذا كانت هي عند خضيضها ، وما حكينا عن الايرانشهرى في كسوف الشمس يشهد بخلاف ما بنى عليه بطليموس ، وإن الكسوف التام لا يمكن الشمس الا في بعد هو الى الوسط أقرب منه الى الأبعد . »
ولكن البيروني لم يشاهد في حياته كسوفاً تاماً للشمس ، ولهذا فهو مضطرب اضطراراً الى الأخذ بما جاءه من بطليموس . يقول « ولما لم يكن وقع الينا كسوف للشمس تام مرصود في وقت معلوم ولا من الأرصاد المحققة ما يمكن به الوصول الى هذا الباب من غير تسلم ما أسمه بطليموس . »

اذن كان البيروني لا يأخذ شيئاً من أرصاد بطليموس الا وضعه موضع التحيص والتدقيق ، فينتقده حيث يجد أنه مقصراً ويصححه في مواضع أخرى .
وبالمثل نجد عبدالرحمن الصوفى عندما يذكر النجوم يبين أخطاء بطليموس .
اذن فهم كانوا يعتبرونه نداً لهم كثيراً .
الاخطاء ٠٠٠ ولكن ٠٠٠

ولكنهم مع كل هذا ما زالوا يسيرون على قوله ان الأرض في مركز الكون وان جميع الأجرام تدور حولها .

قد تكون الهالة القدسية التي أحامت بالمجسطي عندما ترجمه العرب في مطلع حضارتهم هي التي ظلت تهيمن على الفلكيين العرب في أوج هذه الحضارة . ومع أن هذه القدسية قد أزالتها البيروني والصوفي الا أن المجسطي وما جاء به ظل كابوساً جائماً على الفكر الفلكي العربي ، وقوله بثبات الأرض ظل هو القول المفضل مع أن البيروني يعتبر ذلك لمجرد سهولة العساب عنده .

والواقع أن القول بدوران الأرض حول الشمس واعتبارها كوكباً سياراً ، لم يكن باحتياج إلى مرقب ولا إلى آلات رصد دقيقة الصنع . وعندما جاء بهذا القول كوبرنيكس بعد ذلك بخمسة قرون ، لم يكن المربقب قد اخترع بعد ، ولم تكن الصناعة قد تطورت لتنتتج آلات دقيقة . والعرب كانوا يعرفون هذا الرأي .

وقد قال به بعض الفلكيين اليونان من قبلهم ، ولكن أقوالهم لم تأخذ جذورها في العلم لأنّه كان رأياً نظرياً . غير أننا نجد أحد الفلكيين العرب قد اتخذ خطوات عملية نحو هذه النظرية ، فصنع اسطرلاباً خاصاً . وفي مقدمة القانون المسعودي ،

يورد الأستاذ حسن منزل ما يقوله البيروني في كتاب « الاستيعاب » الذي لم يطبع بعد ، ما يلي « وقد رأيت لأبي سعيد السجزي اسطرلاباً من نوع واحد بسيط غير مركب من شمالي وجنوبي ، سماء الزورقي ، فاستحسننته جداً لاختراعه ايات على أصل قائم بذاته ، مستخرج مما يعتقده بعض الناس من أن العركة الكلية المرئية الشرقية هي للأرض دون الفلك . ولعمري هي شبهة عشرة التحليل صعبة المحق ، ليس للملعون على الخطوط المساحية من تقضها شيء ، أعني بهم المهندسين وعلماء الهيئة ، على أن العركة الكلية سواء كانت للأرض أو كانت للسماء ، فإنها في كلتا الحالتين غير قادحة في صناعتهم ، بل إن أمكن نقض هذا الاعتقاد وتحليل هذه الشبهة فذلك موكول إلى الطبيعيين من الفلسفه . » انتهى كلام البيروني .

والمعلومات المتوفّرة لدى عن أبي سعيد السجزي تفيد أنه عالم بارع في الرياضيات ، واسمه أحمد بن محمد بن عبد العليل ، وله في مكتبتي رسالة هندسية « في الشكل القطاع » طبع دائرة المعارف العثمانية بجدران أباد . ولست أعرف له ما يفيد عن رأيه في دوران الأرض الا

رواية البيروني هذه وبعض تعليقات
الفلكيين العرب الآخرين عليها .

النص « قال أبو الريحان البيروني :
ان مستنبط هذا الاسطرلاب هو أبو سعيد
السجزي ، وهو مبني على أن الأرض
متحركة والفقك بما فيه الا السبعة
السيارة ثابت . قال البيروني وهذه شبهة
صعبه العل . وعجب منه كيف يستصعب
شيئاً هو في غاية ظهور الفساد وهذا أمر
قد بين فساده أبو علي بن سينا في كتاب
الشفاء وبين فساده الرازى في كتاب
ملخص وفي كثير من كتبه وغيره . »

يبدو أن الزمن لم يكن قد حان بعد
لكي ينطق عالم بهذه الحقيقة ، وكان على
العالم أن ينتظر خمسة قرون أخرى ليسمع
كوبنهاكس ينطق بها .

خلاصة ما سبق :

أخذ العرب الفلك عن الهندو والفرس
واليونان بشكل مهلهل ، فنقحوه وعدلوه
ووضعوا كل مسألة فيه موضع البحث
والتدقيق الشديدين ، وكتبوا في ذلك
الرسائل والكتب المديدة وبينوا الأساس
العساسي لكل خطوة من الخطوات ، وأصبح
علم الفلك المتداول هو غير ذلك الذي
تسليموه بادئ الأمر .

والواقع أنهم لو لم يحافظوا على
ذلك الكابوس المسمى المحسطي بما
يتضمنه من دوران الفلك حول الأرض
لاعتبر الفلك علمًا مستقلاً صادرًا عن

الآن البيروني نفسه ، بعقليته
الجبارية ، لم يكن يستطيع أن ينفي دورة
الأرض . ففي كتابه « تحقيق ما للهند »،
حين يتحدث عن أحد الفلكيين الهنود
واسمه براهمكو بت الذي يقول ان
الأرض هي التي تدور ، تتجدد يعلق
التعليق التالي - « ونهب أن ذلك صحيح
وأن الأرض تدور الدورة التامة نحو
المشرق . . . كما يدورها السماء عنده ،
فما العائق فيها عن الموازنة والموازاة ؟
ثم ليست حركة الأرض دوراً يقادحة في
علم الهيئة شيئاً بل تطرد أمورها منها
على سواء ، وإنما تستحيل من جهات
آخر ولذلك صارت أغبر الشكوك في هذا
الباب تحليلاً ، وقد أكثر الفضلاء من
المحدثين بعد القدماء الغوض فيها وفي
نفيها . »

حتى تسامح البيروني نحو الذين
يقولون بدوران الأرض لم ينج من تعليق
بعض العلماء تعليقاً لاذعاً . وينقل لنا
تلينيو عن القسم غير المطبوع من كتاب
« جامع المبادئ والغايات » لأبي علي
الحسن المراكشي من علماء القرن
السابع الهجري ، عند وصف
الاسطرلاب المعروف بالزورقي ، هذا

العرب قائماً بالطبع على الأسس التي
أخذوها عن سبقهم .

وكانت أوربا في أواخر العصور
الوسطى وأوائل العصور الحديثة تأخذ
من هذا العلم العربي وتدرس الكتب
التي وضعها هؤلاء العباقرة العرب . وعن
طريقهم عرفوا بطليموس والمجسطي .
حتى ان كلمة المجسطي هي الاسم الذي
وضعه العرب لكتاب بطليموس . ونسخ
الكتاب اليوناني الأصلي لا تحمل هذا
الاسم .

وعندما اكتشف المربج في أوائل
القرن السابع عشر الميلادي ، ظهرت
آفاق جديدة لعلم الفلك . كان العرب
آنذاك تحت الحكم العثماني ، ووقفت
مظاهر التقدم في جميع التواحي الفكرية
ولم نعد نسمع عن علماء بارزين ولا عن
المراسد أو الأسطر لابات . انتقلت
الحضارة كلها إلى أوربا وأصبح القانون
المسعودي للبيروني Canon Masudicus
المرجع الأساسي لكل شؤون الفلك ،
وصور الكواكب الثانية والأربعين
للصوفي هو الأطلس الأساسي للسماء ،
هذا بالإضافة إلى الكتابات الفلكية
الأخرى للبتاني وابن الهيثم ونصر الدين
الطوسي وغيرهم . وعندما أخذ هيفيليوس
يرصد القمر ووجد أمامه فوهات عديدة

وكان عليه أن يختار لها أسماء ، لم ينس
أن يضع أسماء لبعض هؤلاء العلماء . أما
النجوم الثابتة ، فقد أخذوها عن الصوفي ،
ولهذا ظلت معظمها تحفظ بالأسماء
التي وضعها لها هذا العالم كما سنرى فيما
يلي من هذا المقال .

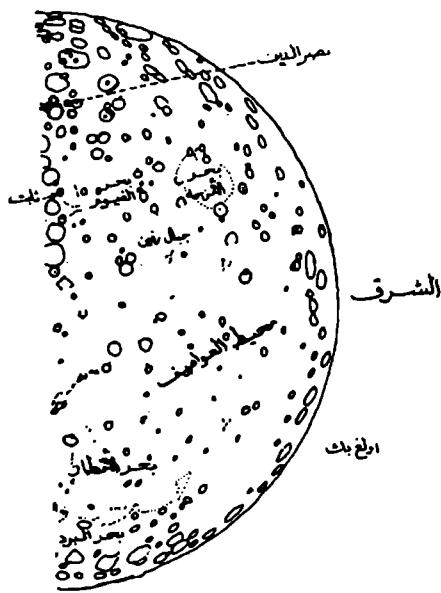
القمر :

لم يكن هيفيليوس وحده هو الذي
وضع أسماء تضاريس القمر ، بل كان
أول من فعل ذلك ، سنة ١٦٤٧ ، وتلاه
جريمالدي وريكيولي وغيرهما . كان
المرقب قد اكتشف حديثاً - ١٦١٠ - وكان
قليل الانتشار باهظ الثمن قليل الاتقان .
ومن استطاع أن يحصل على مرقب ويرصد
القمر يستطيع أيضاً أن يرسم خارطة
له ويضع الأسماء التي يشاء لها . وعلى
هذه الطريقة اختار ريكولي وجريمالدي
فوهتين كبيرتين وسمياهما باسميهما .

وقد سميت البقاع الدكناه في القمر
بحراراً ، وأطلقت على الجبال أسماء جبال
معروفة على الأرض ، أما الفوهات
القمرية فأطلق عليها أسماء رجال ، من
المفروض أنهم من العلماء الفلكيين ، الا
أننا نجد كثيراً جداً من هذه الأسماء
ما لا نكاد نعرف عنه شيئاً .

ومن مراجعة بعض الخرائط

الجنوب



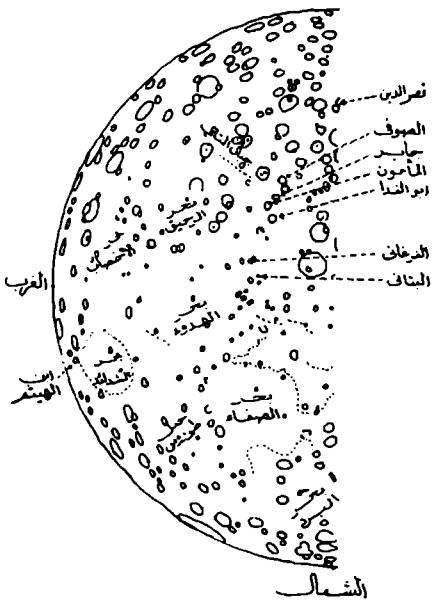
الشمال

■ شكل رقم (٢) نصف القمر الشرقي ■

شكلها اللاتيني . ومن الغريب جداً أن لا تجد للبيروني فوهة بينما تجد فوهة لكاتب عربي لا علاقة له بالفلك ولم يكتب فيه هو أبو الفداء .

وتعليقاً على الشكلين الأول والثاني المراقبين نقول إنها خارطة للقمر قسمت إلى شكلين لكي تتسع لها الصفحة . وإذا كان في الإمكان قطعهما والصاقهما سيكونان خارطة كاملة للقمر . ولكن

الجنوب



الشمال

■ شكل رقم (١) نصف القمر الغربي ■

القمرية ، وجدت أن هناك عشر فوهات مسماة بأسماء فلكيين عرب منهم المأمون ، على اعتبار تشجيعه للعلم . قد تكون هناك فوهات أكثر ولكن يجب أن نعرف أن هذه الأسماء هي في شكلها اللاتيني الذي عرفه الراصدون الذين سموا الفوهات ، وليس غريباً أن تكون هناك أسماء أخرى غابت عني فلم أستطع ربطها باسم عالم عربي حين قرأتها في

الشمال في أسفل الخارطة (أو الغارطتين) وذلك لأن الصورة في المربع الفلكي تظهر غالباً معكوسه ولذلك ترسم الخرائط الفلكية معكوسه . وتبعد فيها الفوهات التالية :

- ١ - أبو الفدا . Abulfeda
- ٢ - الباتاني ، وهو أبو عبد الله الباتاني . Albategnius
- ٣ - الفرغاني . Alfraganus
- ٤ - الحسن بن الهيثم . Alhazen
- ٥ - المأمون . Almamon
- ٦ - الصوفي . Azophi
- ٧ - جابر ، ولست أدرى هل المقصود المقصود جابر بن الأفلاج أو جابر بن حيان Geber
- ٨ - نصر الدين ، والمقصود هو نصر الدين الطوسي . Nasireddin
- ٩ - ثابت ، وأظن المقصود ثابت بن قرة وليس ثابت بن منان Thebit
- ١٠ - اولغ بك Ulug Beigh

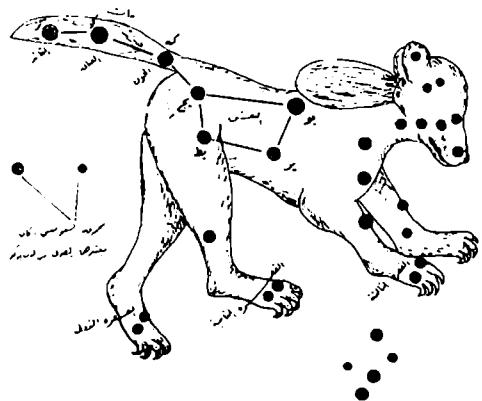
النجم الشوابت وأسماؤها :

أما النجم الشوابت فالأسماء العربية لا تزال طاغية عليها في العصر الحديث

بشكل يسترعى انتباه كل من حاول أن يلقي نظرة على أطلس من أطلس السماء العدبية . ولا يتسع المجال هنا لايقاد المجموعات الساوية كلها والتحدث عن أسماء النجوم فيها . ولكن من الواجب علينا أن نسرد للقارئ بعض النماذج منها ، لاعطائه فكرة تقريرية . وأرى أن أتناول الدب الأكبر لأنها مجموعة مالوحة للكثرين ، ومن السهل أن أدل عليها من لا يعرفها ، ثم الدب الأصغر لقربه منها ولسهولة الاهداء اليه ، واحدى مجموعات الشتاء لأنني أقدّر أن هذا المقال سينشر في هذا الفصل اذا قدر الله له النشر .

وب قبل ذلك ، نقول ان النجوم كانت في أيام العرب تحمل بالإضافة الى الأسماء حروفًا عربية . فلم تكن كل النجوم تحمل أسماء لا سيما تلك الخافتة منها . فكان يرمز اليها بالعروف أ ، ب ، ج ، د ، ه .. الخ . وإذا كانت النجوم عديدة ولم تكتف بالعروف وضع حرفان - يا ، يب ، بيج ... الخ .

لكن في بداية القرن السابع عشر الميلادي وضع حنا باير حروفاً يونانية للدلالة على النجوم واستعمل النظام العربي نفسه ، سوى أنه استبدل العروف . وما زاد على عدد الحروف اليونانية أصبح يعطى أرقاماً . أما أسماء النجوم



شكل رقم (٢) كوكبة الدب الأكبر
(كما رسمها عبدالرحمن الصوفي)

وثلاثة متدة إلى ناحية بالتسواء ، هي الذنب .

يقول الصوفي « والعرب تسمى الأربعية النيرة التي على المربع المستطيل والثلاثة التي على ذنبه بنات نعش الكبرى وبني نعش وأل نعش ، منها الأربعية النيرة التي على المربع المستطيل « نعش » والثلاثة التي على الذنب « بنات » . ويسمى أيضاً الأربعية التي على النعش « سرير بنات نعش » ويسمى الذي على طرف الذنب القايد والذي على وسطه العناق والذي يلي النعش وهو الذي على أصل ذنبه الجون .

وفوق العناق كوكب صغيرة ملاصق له يسميه العرب السها ، وفي بعض اللغات من العرب الستا ، والصيدق ،

نفسها فقد ظل كما هو سوى ما كان قد تغير في أثناء فترة الانتقال ، وما استطاع البعض أن يغيره بعد ذلك . ولهذا لا يستغرب القارئ إذا وجدنا نقول عن أحد النجوم ألفا الدب الأكبر أو بيتا أو جاما الدب الأكبر ، فهذه هي الاصطلاحات التي يطلقها الفلك الحديث على النجوم ، وهي بالعرف اليونانية .

مجموعة الدب الأكبر :

قبل أن تحاول النظر إلى السماء يجب أن تعرف أن القبة السماوية كلها تبدو لنا أنها دور حولنا دورة كاملة في مدة تقارب ٢٤ ساعة ، وأن مركز دورانها هو القطب الشمالي . والدب الأكبر من المجموعات القريبة من القطب الشمالي . انظر إلى الشمال ، فإذا لم تجدها كان معنى ذلك أنها في دورتها مع القبة الفلكية في تلك الساعة عند الأفق ويسعى عليك رؤيتها . ارجع وانظر إليها بعد ست ساعات ، أي بعد أن تكون قد دارت ربع دورة ، فستجدها مائلة أمام عينيك . وقد اخترت هذه المجموعة في الواقع لأنها أكثر مجموعة معروفة بين الناس ومن السهل الاستدلال عليها .

ويبدو في المجموعة سبعة نجوم لامعة جداً . أربعة منها على شكل شبه منحرف ، أو كما يقول الصوفي مربع مستطيل

ونعيش، ولم يذكره بطليموس وهو الذي يمتنع الناس به أبصارهم ، فيقولون أريه السها ويريني القمر . وتسمى الستة التي على الأقدام الثلاثة ٠٠٠ قفزات ٠٠٠ الخ ٠٠٠ »

وإذا نظرنا الآن إلى خارطة لمجموعة الدب الأكبر منقولة من أحد الأطلالس العديدة نرى أن النجوم كلها – كما قلنا – تحمل أسماء بالعرف الأبجدية اليونانية . ولكن بالإضافة إلى ذلك هناك أسماء خاصة للنجوم اللامعة .

الفا الدب الأكبر – وهو (يو) التي على الظهر عند الصوفي ، وأترجمه الربة Dubhe .

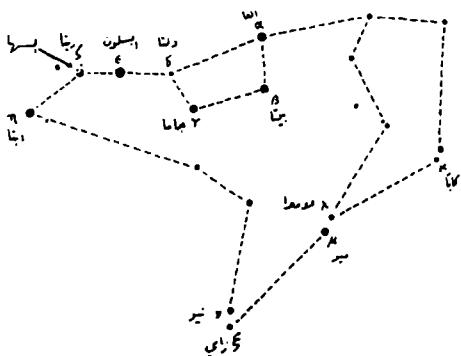
بيتا الدب الأكبر – وهو (يز) الذي على المراق Merak .

جاما الدب الأكبر – وهو (يط) الذي على الفخذ اليسرى المؤخرة Phecka .

دلتا الدب الأكبر – وهو (يج) الذي على مفرز الذنب Megrez .

ابسلون الدب الأكبر – هو (كه) وهو الجون ، واسمهما الأجنبي Alioth وهذا ما يراه باير حين نقل الاسم عن سكالينجر .

زيتا الدب الأكبر – وهي (كو) العناق ، وهي الآن في الأجنبية Mizar .



■ شكل رقم (٤) خارطة الدب الأكبر ■
(كما هي في الملك الحديث هذه الأيام)

وقد قام بوضع هذا الاسم لهاسكالينجر وهو يقصد المئزر باللغة العربية الذي يلف به التصر .

أيتا الدب الأكبر – وهو (كز) عند الصوفي واسم القائد Alkaid .

كابا الدب الأكبر – بالأجنبية Talita والمقصود القفزة الثالثة Tania Borealis .

لامدا الدب الأكبر والمقصود القفزة الثانية الشمالية Tania Australis .

ميوالدب الأكبر أي القفزة الثانية الجنوبية Alula Borealis .

نيو الدب الأكبر أي القفزة الأولى الشمالية Alula Australis .

زاي الدب الأكبر أي القفزة الأولى الجنوبية Alula Australis .

٨٠ الدب الأكبر - وهو السها ،
ولا يرسمه الصوفي في الصورة . اسمه
الأجنبي Alcor

وقد يكون من الغوار ، على رأي
الأستاذ روبرت و ستن من الكلية السورية
البروتستانتية في بيروت في مقال نشره
سنة ١٩٩٥ .

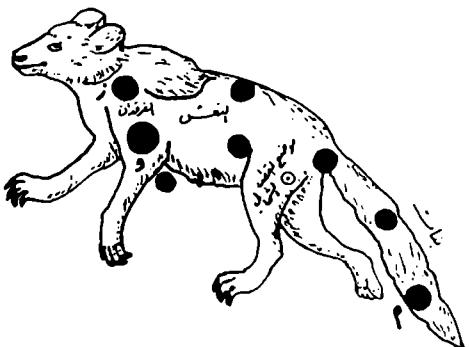
مجموعة الدب الأصغر :

من السهل الاستدلال عليها اذا عرفنا
موضع الدب الأكبر . ارسم خطأ وهمياً من
نجم المراق الى نجم الدبة ، ومدّه على
استقامته خمسة اضعاف المسافة بين
النجمين . ستجد أنك قد وصلت الى
النجم القطبي .

والنجم القطبي هو ذنب الدب
الأصغر . وتبعد فيه سبعة نجوم لامعة
نوعاً ما ، شكلها شكل الدب الأكبر تماماً ،
الا أنها مصطفة بشكل مقلوب ، فرأس
الدب الأصغر في اتجاه ذنب الدب الأكبر ،
وذنبه في اتجاه رأسه .

يقول الصوفي « وانما شبّهت السبعة
بصورة الدب لشبهها بالسبعة التي من
صورة الدب الأكبر ، ثلاثة منها على ذنبه
أيضاً وأربعة على بدنّه وله رأس وقوائم
وخلقه شبيهة بخلقة الدب . »

فاما الأصغر (أي الدب الأصغر)
فإن العرب تسمى السبعة على الجملة

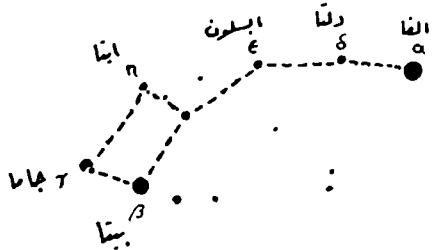


■ شكل رقم (٤) كوكبة الدب الأصغر
(كما هي في كتاب الصوفى)

بنات نعش الصغرى ، منها الأربع التي
على المربع نعش والثلاثة التي على الذنب
بنات . وتسمى النيرين من المربع
الفرقددين ، والنير الذي على طرف الذنب
الجدي ، وهو الذي يتوجّي به القبلة . «
ونجد أن النجوم اللامعة في هذه
المجموعة هي :

الفا الدب الأصغر - هو (ا) عند
الصوفي ، وهو النجم القطبي الآن ،
وتسميه العرب الجدي ، واسم الشائع في
الفلك الحديث Polaris وله اسم آخر
في الكتب الفلكية الحديثة لا يستعمل في
الواقع وهو Alrubbah أيضاً يعني الركبة ،
وهو اسم وجد في جداول الفونسين
الموضوعة سنة ١٥٢١ ، وأورده باير .
بيتا الدب الأصغر - وهو (و) وهو انور
الفرقددين Kocab .

جاما الدب الأصغر - (ز) وهو أخفى
الفرقدين Phercad .



■ شكل رقم (٦) خارطة الدب الأصغر ■

مجموعة الصياد وهي كوكبة العبار :

اخترت هذه المجموعة لأنها تسيطر على رقعة السماء في فصل الشتاء بشكل يسترعي الانتباه ، وأظن من السهل أن يهدي إليها القارئ لكتراة التجموم الثلاثة فيها وشدة تألقها .

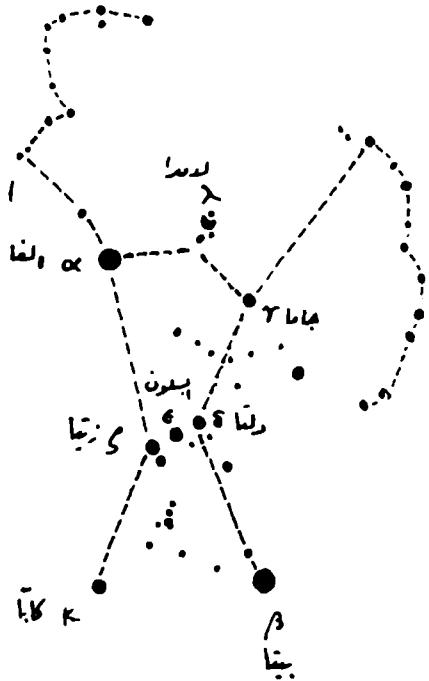
واذا أقيمت نظرة على الخارطة رأيت الشكل الذي تصف فيه نجوم هذه المجموعة . لقد رأى اليونان في هذا الشكل صورة صياد وكانه يطارد الثور (وهي المجموعة الواقعة إلى الغرب منه مباشرة) يتبعه كلبان (وهو مجموعتان خلفه أي إلى الشرق ، والأصغر من الكلبين إلى الشمال والأكبر إلى الجنوب) وقد قبع تحت قدميه الأربن المسكين .

أما العرب فقد رأوا فيه كما يقول

الصوفي « صورة رجل قائم ... أشبه شيء بصورة الإنسان ، له رأس ومنكبان ورجلان ، وسمى العبار لأنه على كرسيين وبيده عصا وعلى وسطه سيف ... » ولكن هذه الصورة هي نفسها الصورة اليونانية التي عرفها الفلكيون العرب ، أما العرب في الجزيرة فقد أطلقوا عليها اسم الجوزاء .

وبعد أن يعين الصوفي موضع النجوم في هذه الكوكبة ، يقول « والعرب تسمى الأول من كواكبه وهي الثلاثة الصغار المتقاربة التي تشبه نقط الشاء على موضع الرأس بالhecma ، وهقة الجوزاء أيضاً والأثافي أيضاً تتشبيهاً به ، وهو المنزل الخامس من منازل القمر . ويسمى النير العظيم منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضاً ... ويسمى الكوكب الثالث الذي على المنكب الأيسر الناجذ ويسمى المرزم أيضاً . ويسمى الثلاثة النير المصطفة التي على وسطه منطقة الجوزاء ونطاق الجوزاء والنظام والنظام أيضاً ، ويروى أيضاً نظم الجوزاء وفقار الجوزاء .

وتسمى الثلاثة المنحدرة المتقاربة المصطفة سيف العبار ، ويسمى النير العظيم الذي على قدمه اليسرى رجل الجوزاء وراعي الجوزاء أيضاً ...



شكل رقم (٨) خاتمة مجموعة الصياد

بيتا الصياد – وهو رجل الجوزاء
اليسرى Rigel .
جاما الصياد – الناجذ أو المرمي ،
اسمها الحالى Bellatrix .
دلتا الصياد – وهو الغربي من الثلاثة
التي في المنطقة Mintaka .
أبسلون الصياد وهو أوسط الثلاثة
في المنطقة Alnilam, Alnitham .



شكل رقم (٧) صورة كومبة الجبار للصولي

ويسمى التسعة المقوسة التي على الكم
تاج الجوزاء وذوائب الجوزاء . » انتهى
كلام الصوفي .

اما النجوم اللامعة في هذه المجموعة
فهي ما يلي :

الفا الصياد – يد الجوزاء اليمنى
عند الصوفي ، واسمها الحالى Betelgeuse
وهو تحرير عن أبط الجوزاء .

خاتمة :

أكفي بهذه المجموعات الثلاث لاعطاء القارئ صورة تقريبية عن الأسماء العربية التي طبعها الفلكيون العرب على السماء . ان بحث مجموعات السماء كلها، ولو على هذا القدر من الايجاز ، لا مجال له في مقال كهذا . غير أنني أرجو أن أكون قد أوضحت الفكرة التي قصدت إليها ، والله ولني القصد .

الدكتور عبدالرحيم بدر

طيب وعالم من علماء العرب
(الكويت)

زيتا الصياد وهو الشرقي من الثلاثة
، المنطقة Alnitak .

كابا الصياد - وهو بالقرب من سيف على الرجل اليمنى Saiph .

لامدا الصياد - هي اللطخة السحابية ن ثلاثة نجوم متقاربة في الرأس، يسمى بها عرب الهقمة ، وقد سماها الصوفي أيضاً بحاتي ، ولكن الفيروزبادي أطلق عليها طلا اسم الميسان ، وهذا في الحقيقة اسم جم آخر في مجموعة التوأمين المجاورة ، برج الاسم على الهقمة في الفلك حديث ، وأصبح اسمها الآن Meissa .



المصادر الأفرنجية

- 1 — Star Names - R. H. Allen.
- 2 — Celestial Objects for Common Telescopes — T. W. Webb.
- 3 — Introducing Astronomy — J. B. Sidgwick.
- 4 — The Amateur Astronomer — Patrick Moore.
- 5 — Astronomy for Olevel — Patrick Moore.

المصادر العربية للبحث

- علم الملك كرلونيليو .
- صور الكواكب الثانية والأربعين - عبدالرحمن الصوفي - طبع دائرة المعارف العثمانية .
- تحقيق ما للهند - أبو الريحان البيروني - طبع دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن - الهند .
- القانون المعمودي - أبو الريحان البيروني - طبع دائرة المعارف العثمانية .
- الرسائل المترفة في الهيئة لل McCormin وعاصري البيروني .
- الرسالة العادية عشرة ، الأبعاد والاجرام لكو شياري الجيلاني - طبع دائرة المعارف العثمانية .
- كتاب الانوار في مواسم العرب - لابن محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري - طبع دائرة المعارف العثمانية .

صور للأرقام عند الازمن

الأستاذ نادر النابسي
رئيس قسم الرياضيات في كلية العلوم
جامعة دمشق - سابقًا

أ - لمحات تاريخية

طالما تحدثت المجامع العلمية العربية واتحاداتها وكتب التراث العلمي العربي وقاميسه اللغة والصعافة والمستشرقون عن صور الأرقام العربية الهندية، إنما جاء حديثهم عنها في اقتضاب كبير وبالقليل من الأسناد غير المشفوعة غالباً بتواريخ تشير إلى أزمنة ظهورها ولو بتوقيت تقريري، كما جاء حديثهم أيضاً بالنذر اليسير من الجهد الشخصي والدراسات الدقيقة الموجّل عليها عادةً والقادرة على اصطفاء السمين الغالبي من القول بدللاً من غثٍّ الخسيس، ومع ذلك فلم يخطر ببالنا قط أن ننكر جهود الباحثين الموفقين في بحوثهم من قدامى ومعاصرينا، أو أن نستخفها أو أن نلقي بأقوالهم خلف آذاننا، إنما حق علينا دائمًا الترحيب بها كل الترحيب وتقديرها كل التقدير، كما وجّب علينا القاء ضوءٍ منيرٍ أكبر يكشف لنا الصورة ويزيل غشاوة السنين عن أبصرنا حتى نهتدى إلى جوهر الصورة ذاته.

كل ذلك يعززنا على طرح السؤال الكبير، ومعهلاً الاجابة عنه بأمانة :
« هل الأرقام المعروفة بالعربية بما فيها الصفر وهي :

0, 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9

هي حقاً من صنع العرب حتى سمّاها عالم الغرب باسم العرب فقال عنها :
Les Chiffres arabes

ونسميها نحن تعريراً بالصفيريات العربية (١) ؟

السؤال الكبير المطروح يستدعي الاجابة عن السؤال الصغير الآتي :

ب - هل صور العقود التسعة وصورة الصفر الواردة أدناه هي من صنع

العرب أم من صنع الهنود؟

٥ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٣ ٢ ١

جاء في كتاب «الرياضيات قيد الصنع» Mathematics in the Making لصاحبه «هوغبن» Lancelot Hogben قوله :

« لا ريب في أن المسلمين هم الذين نقلوا إلى الغرب حوالي سنة ١١٠٠ ميلادية الأرقام التي يستعملها الأوروبيون اليوم ، إذ كان المسلمون يحكمون سقليّة سنة ٨٢٧ ميلادية ، وكانت جامعاتهم في إسبانيا تعتبر منارات للعلم ، على حين كان الظلام الحالك يخيم على الحضارة هنالك » .

(١) جاء في كتاب «Le Chiffre» لصاحبه Jérôme Peignot-Georges Adamoff ان الصفر يدل في اللغة العربية على الفراغ ، وقد زعم بعضهم ان ليس بين لفظي الصفر والشifer الا فرق يسير في الصوت . الى ان يقول :

« ومن الغريب حقاً ان يجعل بعض علماء الغرب من فكرة الفراغ ولفظتها وهي «شيفر» (١) اسم يطلقونه على العقد كلما » .

ونحن نتعلق على الجملة الأخيرة بقولنا :

« ليس في نظرنا ان يكون هذا التصرف غريباً في حد ذاته اذا ما اعتبرنا العقود تبدأ بالصفر كما هو الحال في كتب الرياضيات الحديثة ، اضف الى هذا انه جاء في كتاب تاريخ الفكر العربي للدكتور عمر فروخ قوله :

« انه نقل عن الاستاذ عبدالله بن عبدالعزيز صاحب «اللسان العربي» عن محمد بنونه الطواني عن ابيه ان هذا يملأ مخطوطة في الحساب جاء في آخرها ما يشير الى ان الصفر كان في أصل العقود التسعة بل وفي كتابتها » لذلك – والقول هنا للأستاذ نادر النابلسي – فاطلاق كلمة الصفيريات تعريراً لكلمة Les Chiffres على العقود جميعاً له ما يبرره .

(١) ويوري الاستاذ الدكتور عبد الكرييم اليالي ان اللغة شيفر آتية من «الجفر» . انتهى التعيق

ويتابع « هوغبن » فيقول :

« لا سبب يدعونا الى التشكيك ^(١) في شهادة المؤرخين المسلمين الذين قالوا :

— ان حكماء الهند هم الذين وضعوا تسع صور للعقود وصورة للصفر على

شكل دائرة صغيرة » .

(١) حسبنا ان تعلق على كلمة التشكيك هنا بقولنا (والكلام هنا للنابلي) :

ان بعض الحقيقة في هذه الشهادة هو ان لا احد يشكك في ان حكماء الهند كانوا السباقين الى وضع تسع صور للعقود وصورة للصفر وجاءت كلها في لوحات منسوبة الى الناغارية القديمة ، والنسكرينية والناغارية الحديثة وهي ترجع الى ازمنة موجلة في القدم ، أما البعض الآخر من الحقيقة وهو الذي خفي امره عن بعض المؤرخين الاجانب وعن بعض المؤرخين المسلمين ايضاً هو ان ثمة تعاوناً وثيقاً لا يقبل الفصل قام بين حضارتي الهندو والمسلمين وسار عبر خطين متوازيين ليؤدي لا الى اقامة قواعدهما المتماثلة في الحساب فحسب بل الى تطوير صور الارقام ايضاً وكان هذا التعاون يعتمد على اسس مختلفة حيناً وممتلقة حيناً آخر ومن هنا جاءت انتلاقة العرب التي ستحدث عنها بتفصيل وانطلاقه "الهندو" التي ستحدث عنها بتفصيل كذلك ،

نورد هنا أولاً صور العقود في عهود موجلة في القدم :

وردت العقود في الكتابة النسكرينية هكذا :

٩ ٦ ٣ ٨ ٤ ٦ ٥ ٢

كما وردت في الكتابة الناغاربة القديمة هكذا :

٢ ٢ ٢ ٨ ٤ ٧ ٢ ٠

ثم وردت في الناغاربة الحديثة هكذا :

٢ ٢ ٣ ٨ ٤ ٦ ٥ ٠

لنتحدث أولاً عن انطلاقات العرب في كيفية تصورهم للأرقام :

ج - الطريقة العربية الأم

صورتها - نشأتها

١ - نورد صورتها ههنا في هاتين اللوحتين والاختلاف فيما بينهما مقصور على كتابة الخامسة :

٩ ٨ ٦ ٥ ٣ ٢ ١
٠ ٩ ٨ ٦ ٥ ٣ ٢ ١

ثم نتحدث عن نشأتها :

٢ - نشأتها : استعان العرب بالطريقة الهيروغليفية لكتابة صور الأرقام القائمة على تكرار المصي حسب الطريقة الهيروغليفية ^(١) ولكن العرب لم يذهبوا بها إلى أكثر من الخامسة وكان للعرب فضل طريقة تهم في الوصل بين العصري كما يعني في ٣ ولم يسبقهم إلى طريقتهم هذه أحد :

الواحد	
الاثنتين	
الثلاثة	
الاربعة	> أو <
الخمسة	> أو <

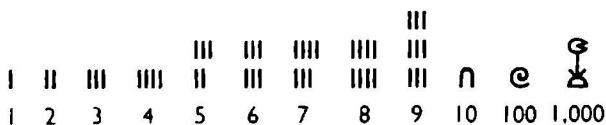
(١) في الصورة الآتية ما يوضع الطريقة الهيروغليفية لكتابة الأرقام بها .

□ تابع الهامش □

هذه الصورة توضح الطريقة الهيروغليفية في الترميم .

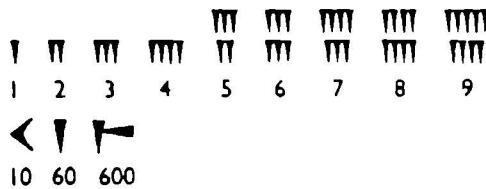


- اعلاه صخرة رملية تعود الى سنة 1450 ق.م عليها ترميم هيروغليفى .
- والى الادنى صور للأرقام من الواحد الى التسعة بالتناوب على ان هناك شكلان لكل من
الثلثة والثلثة والالف .



تابع الهامش □ □

هذه الصورة توضح الطريقة البابلية بالترقيم .



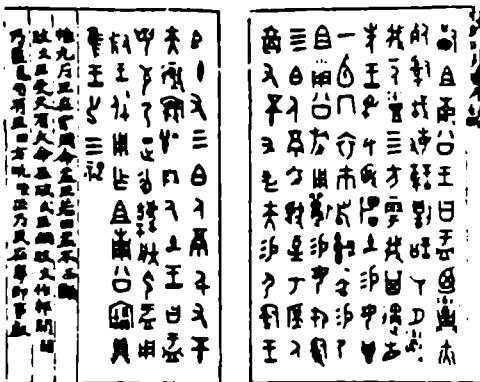
– في أعلى الصورة روزنامة « تسجل ايام الحظر السعيد و ايام الشؤم بالترقيم .

– وفي أدناها طريقة ترقيم البابليين وهي تكرار المسمير من الواحد حتى التسعة بعضاً فوق بعض وبعضاً إلى جانب بعض ، ثم العدول عن التكرار باختيار شكل واحد لكل من العشرة والستين والستمائة علماً بأن هذه الطريقة الستينية هي معمول الفلكيين منذ القدم .

تابع الهاشم □

هذه الصورة توضح الطريقة الصينية في الترميم .

一	二	三	四	五	六
1	2	3	4	5	6
七	八	九	十	百	千
7	8	9	10	100	1,000



- في أعلى الصورة طريقة الترميم بالصينية وبلحظ ان التكرار يقتصر على الاثنين والثلاثة .
- وفي أدناه صورة تشير الى براءة إقطاع لعدد من زعماء الاقطاع واخرى لاقطاع عدد من العبد شخص واحد .

□ تابع النص في الصفحة (٣٩) □

٣ - باضافة **الحمة** عرضانية ، و بتذيل العصا الأولى حيّثما لزم هكذا :

لأشيء |
لحمة وذيل | |
لحمة وذيل | | |
لحمة وذيل | | | |
| أو ٥ لأشيء
وقد تكتب الحسنة في صور أخرى هي : ٦، ٧، ٨، ٩، ٤، ٥

وأخيراً بتلبيين الأرقام الخمسة المذكورة أي يجعل القلم ينساب في كتابتها انسياياً لتصبح هكذا :

٢ ٣ ٤ ٥
٥ ٣ ٤ ٦

و قبل استكمال عَرَضِنَا لصُورِ الأرقام الباقيَةِ من العَرَبِيَّةِ الْأَمِّ فَلَا بدَّ نَتَأَكَّلُ إِلَى صُورِ الأرقام الخمسة الأولى في الطريقة الهندية :

د - الطريقة الهندية

ان انطلاقه الهندو في تطوير صور أرقامهم الخمسة الأولى جاءت أشبه ما تكون بطريقة العرب نفسها ، اذ تكفي عملية بسيطة هي مجرّد دوران الى اليمين أو قلب في لوحة العربية الأم لتنشأ عنها اللوحة الآتية :

١ ٢ ٤ ٩ ٤

وهذه تتضم خمسة الأرقام الأولى من الهندية .
وهاكم الآن في الصورة الآتية كامل اللوحة الهندية :

١ ٢ ٤ ٩ ٨ ٧ ٤ ٣ ٢ ١

(وقد تكتب الثمانية في هذه الطريقة هكذا ٨ أيضاً وهي مأخوذة عن الأربع في السنسكريتية حيث صورتها ٨ - ربطه مؤلفة من عقدة وذراعين - حتى اذا ما ضمَّ الذراعان أصبحت صورتها هكذا ٠) .

واذا استكملنا مقارنة الأرقام الخمسة الباقية في كل من الطريقتين :
العربية الأم والهندية في لوحتيهما الكامتين اذن وجدنا الأرقام نفسها في الطريقتين :

العربية الأم بالعصى ١ ٣ ٣ ٤ ٦ ٧ ٨ ٩ ٥

الهندية ١ ٢ ٤ ٦ ٧ ٨ ٩ ٥

العربية الأم المبنية ١ ٢ ٤ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٥

وهنا حانَ أوانُ الاجابةِ عن السؤال الصغير ألاَ هو :

هل صورُ العقودِ التسعةِ وصورةُ الصِّفْرِ الواردةُ أدناهُ في اللوحتينِ العربيَّةِ

الأمِ والهنديَّةِ هي من صنعِ العرب أم من صنعِ الهنود؟

اللوحةُ العربيَّةُ الأمُ ١٢٣٤٥٦٧٨٩٠

اللوحةُ الهنديَّةُ ١٢٤٦٥٧٨٩٠

الجوابُ هو أنَّه لم يَعُدْ خافياً عن أحدٍ بعدَ هذه الدراسةَ أنَّ الهنديَّةَ أخذتُ عن العربيَّةِ صُورَ الأرقامِ الخمسةِ الأولى ، وأنَّ العربيَّةَ قد تكونُ تبنتُ من الهنديَّةَ صُورَ الأرقامِ من ستةٍ إلى تسعٍ كذلك الصِّفْر ، الأمرُ الذي به تثبتُ المشاركةُ بين العرب والهنود في صنعِ لوحتيهما المتماثلتين حقاً ، إنها إحدى ثمرات التعاون المشتركة بين الحضارتينِ العربيَّةِ والهنديَّةِ والتي ناصِفُهَا بقولنا :

« ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةَ » .

فهل لنا بعدَ اليوم أن نسميهَا بالعربيَّةِ – الهنديَّةِ؟ الجواب « نعم »

أما الصِّفْرُ :

فلا بدَّ لنا هنا من حديثٍ خاصٍ بالصِّفْرِ تُورِّدُهُ على لسانِ « هوغبن »
إذ يقول :

« إنَّ الأوَابِدَ التي ظَهَرَ فيها الصِّفْرُ وصلَتْ إلينا من العدودِ التي
بين الهندِ والصينِ حواليَ سنةِ ٧٠٠ ميلاديَّة ، على أنَّ تاريخَ أَبْكَرِ نقشِ
وُجُدَّ في وسطِ القارةِ الهنديَّةِ وأُتيحتُ لنا رؤيتها وظَهَرَ فيهِ الصِّفْرُ يعودُ إلى
سنةِ ٨٥٠ ميلاديَّةِ أيَّ بعدِ وقتِ قصيرٍ من ظهورِهِ في مياسمِ مطبوعاتِ الكتبِ
الصينيةِ ، وبناءً عليهِ فنَّامَ وضُوحَ النقوشِ الأثريَّةِ إذاً ما اعْتَمَدَ
وَحْدَهُ » فلا يَسْعُنَا إِلَّا القولُ إنَّ الصِّفْرِ يعودُ أَصْلًا إلى بلادِ الصينِ » .

وفي هذه المرحلة من الحديث لا بد لنا أن نسوق عتاباً رقيقاً إلى « هوغبن »
إذ يقول :

« لا سبب يدعونا إلى التشكيك في شهادة المؤرخين المسلمين الذين قالوا إن
حكماء الهند هم الذين وضعوا تصميمات تسع صور للعقود وصورة» «للصفر على شكل
دائرةٍ صغيرة» «وكأن» «هوغبن» يريد أن يقول إن «حكماء الهند هم الذين وضعوا
هذه الأرقام وحدهم دون العرب».

فترد عليه بقولنا «ليس مثل هذه الشهادة قدرة طمس العقيقة ولو
جاءت على السنة بعض المسلمين فقد تكون الشهادة مبنية على مبلغ علم
قائلها بما نقل إليه فحسب».

وثمة سؤال "نطراً حـ" على « هوغبن » بهذه المناسبة نفسها هو :

«كيف يتأتي لـ « هوغبن » أن يوفق بين ما أتي به من دليل قاطع على
أن الصفر صيني الأصل وبين اعتماده على شهادة بعض المؤرخين المسلمين
القائلة إن الصفر هو من وضع حكماء الهند؟»

هـ - قدرة الانجذاب في العربية الأم

إذ نحن سائرون في طريقنا إلى الإجابة عن السؤال الكبير فلا بدّ لنا من
الاشارة بقدرة الانجذاب في الطريقة العربية الأم وسوف تستتبّن لنا هذه القدرة
من خلال إجابتنا عن الأسئلة الآتية :

- كيف تطورت "العربية" الأم فأنجذبت الكتابة المشرقية؟
- ثم كيف نشأت "الغباريَّة" وهل اقتبست من العربية الأم شيئاً؟
- وأخيراً كيف آلت "الغباريَّة" إلى الأوروبيَّة وصارت تُعرف بما نسميه
الصِّفْرِيَّاتِ العربيةَ.

وحاكم الإجابات عن هذه الأسئلة :

و - كيف تطورت العربية الأم فانجابت الكتابة المشرقية ؟

أنجبت العربية الأم الكتابة المشرقية لصور الأرقام بمجرد تغيير بسيط في أصلها وعاشت بعد هذا التغيير طويلاً وما زالت على حالها منذ أكثر من ألف سنة من بعد التغيير وهاكم الصورة :

٩٨٦٧٤٥٣١

وينحصر الاختلاف بينها وبين العربية الهندية في أن الخمسة أصبحت حلقة كبيرة ، بينما بقي الصفر دائرة مُعبّرة .

ز - كيف نشأت الغيارية (١) ؟

فلنرجع إلى اللوحة رقم ٤ من مجموعة اللوحات المتعددة التي استعان بها الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق في دراسته لصور الأرقام العربية مشكوراً على جهده ، ولنختر منها لاحتتنا ثلاثة الجداول الآتي عرضها في الصفحة التالية :

أولهما(١) لابن الياسمين (٢) المتوفى سنة ٦٠١ هـ أي ١٢٢٢ ميلادية .

وثانيهما(٢) لابن البنّا (٣) المتوفى سنة ٧٢١ هـ أي ١٣٢١ ميلادية .

(١) سميت بالغيارية لأنها كانت ترسم على الفبار يغرس على قطعة خشبية مستوية أو على رقعة ثوب ، أو كانت ترسم أيضاً على الرمل أصلاً .

(٢) ابن الياسمين (عبدالله بن محمد حجاج): (١٢٢٢م) : عالم بالحساب، من الكتاب، كان من رجال السلطان بالمغرب ، بريري: الأصل من أهل مرّاكش ، له أرجوزة في «الجر والمقابلة» عليها شرح «لسيطر الماردوني» و«أرجوزة في أعمال الجنود» . ومن تصانيفه ما ورد في الجدول (١) – من اللوحة رقم ٤ اي في اللوحة التي تضم مجموعة من الكتابات الغيارية – وهو كتاب «تلقيح الأفكار» .

(٣) ابن البنّا (احمد بن محمد بن عثمان الأزدي) (١٢٦١م-١٣٢١م) رياضي ، باحث من أهل مرّاكش مولداً ووفاة ، له «المقالات» في الحساب و «تلخيص اعمال الحساب» نظمها ابن غازى وشرح نظمه ، وكتاب في النجوم لعلته «منهج الطالب لتعديل الكواكب» ورسالة في «المكاييل» وجزة في «المساحات» ومقالة في علم آلساطر لاب وجزء في «الأنواع» فيه صور الكواكب ، و «قانون» في معرفة الاوقات بالحساب .

ملحوظة : وفي رواية أخرى فإن مولده يقع سنة ١٢٥١ م اتنى التقويم .

وثالثها(٣) لابن الهائم (٤) المتوفى سنة ٨١٥ هـ. أي ١٤٠١ ميلادية .

فإذا أنعمنا النظر في الجدول(٥) رأينا أن التحول من العربية – الهندية إلى الغبارية يكاد لا يشتمل على تغيير يذكر بالنسبة للأعداد من واحد إلى ثلاثة .

٥	٨١٥	٦٠١	٧٦١	٢	١	١	٢	٢	٣	٤	٤	٥	٦	٦	٧	٧	٨	٩	٩	٥	٥

لكن صورة الأربعية في الجدول(١) ليس ما يشابهها في الجدولين (٢) و (٣) بل نجد الصورة السليمة للأربعة واردة فيما وهي الأصل $\frac{4}{4}$ لتصبح بعد تحريكها هكذا $\underline{\underline{4}}$

أما الخامسة الواردة في الجداول الثلاثة فهي مجرد تحويل للخمسة في العربية الأم وهي $\underline{\underline{5}}$ بعد أن يسقط عنها السن وتدور بمقدار 180° إلى اليمين .

أما السادسة فهي صورة التسعة في العربية الهندية بعد تدويرها بمقدار 180° إلى اليمين .

أما السابعة فهي في العربية الهندية . أما الثمانية فهي من العربية الهندية ومخوذة عن السنسكريتية . والصفر هو الصفر في العربية الهندية .

وتصوّرنا لنشوء الغبارية باختصار هو : أن الأرقام من واحد إلى خمسة جاءت من مثيلتها في العربية الهندية، كما أخذت . السادسة من التسعة وتم تبنيّ الثمانية من الهندية السنسكريتية ، أما التسعة فهي من العربية الهندية أصلاً كذلك الصفر .

(٤) ابن الهائم (احمد بن محمد بن عماد الدين بن علي ، شهاب الدين بن الهائم) : (١٢٢٢-١٤٠١م) مصرى : الولد والنثأة ، انتقل إلى القدس وأشتهرَ وما ت فيها ، من تصانيفه: «اللّمع» في الحساب و «غاية السُّول في الإقرار بالمحظوظ» في الجبر والمقابلة ، «مرشد الطالب في الحساب . » والمقنع مع شرح له في الجبر . . . و «نزهة الناظار في علم الغبار . . .

هذا وقد لا يكون بعيداً عن الصواب أن نستنتج من استعراضنا الجداول الفبارية كُلّها أنه كلما يَعْدَ عهـدـ كتابة الفبارية عن أيامها الأولى أي عن تاريخ نشأتها فالأرقام تصبـحـ إلى شـكـلـ الأـحـرـفـ أـقـرـبـ وهذا ما حـدـاـ بالـعـالـمـ عبدـالـقـادـرـ السـخـاوـيـ (١)ـ المتـوفـيـ حـوـالـيـ سـنـةـ ١٠٠٠ـ هـجـرـيـ أيـ ١٦٠٤ـ مـيـلـادـيـ أنـ يـنـشـرـ فيـ مـقـدـمـتـهـ عنـ «ـعـلـمـ النـبـارـ»ـ ثـلـاثـةـ أـبـيـاتـ فيـ وـصـفـ الـأـرـقـامـ الفـبـارـيـةـ وـأـنـ يـسـمـيـهاـ بـالـأـحـرـفـ الفـبـارـيـةـ :

أـلـفـ وـحـاءـ ثـمـ حـيـجـ بـعـدـ عـيـنـ تـرـسـمـ
هـاءـ وـبـعـدـ الـهـاءـ حـرـفـ ظـاهـرـ
يـبـدوـ كـخـطـافـ إـذـاـ هوـ يـرـقـمـ
صـيـفـرـانـ ثـامـنـهـاـ وـقـدـ ضـمـمـأـمـاـ
وـالـلـوـاـوـ تـاسـعـهـاـ بـذـلـكـ يـخـتمـ

سلسلة الأحرف الفبارية

١١٧ حـيـجـ عـرـعـكـ حـ٨٩٥

أـلـفـ حـاءـ حـيـجـ عـيـنـ هـاءـ فـطـانـ مـيـنـ دـاـوـ

وقد يكون غـرـضـهـ منـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ تـقـرـيـبـ صـورـ الـأـرـقـامـ الفـبـارـيـةـ مـنـ عـقـولـ عـامـةـ النـاسـ ليـتـمـ لـهـمـ تـصـوـرـهـاـ عـنـ طـرـيقـ الـأـحـرـفـ وـالـشـكـلـ .

ولـنـ تـفـوتـنـاـ بـهـذـهـ الـمـلـاحـظـةـ وـرـدـتـ عـلـىـ لـسـانـ أـحـمـدـ بـنـ الـهـائـمـ المـتـوفـيـ سـنـةـ ٨١٥ـ هـجـرـيـ أيـ ١٤٠١ـ مـيـلـادـيـ فـيـ مـغـتـصـرـ كـتـابـهـ «ـصـنـاعـةـ النـبـارـ»ـ اـذـ يـقـولـ «ـالـأـحـرـفـ الـهـنـدـيـةـ»ـ (ـأـيـ الـمـشـرـقـيـةـ)ـ هـيـ الـمـسـتـعـمـلـةـ عـنـدـنـاـ غالـباـ أـمـاـ الـأـحـرـفـ الفـبـارـيـةـ فـهـيـ قـلـيلـةـ الـاـسـتـعـمـالـ عـنـدـنـاـ (ـ2ـ)

وـقـدـ يـكـونـ مـرـدـ هـذـاـ الـوـاقـعـ الـبـاسـاطـةـ فـيـ أـشـكـالـ صـوـرـ الـكـتـابـةـ الـهـنـدـيـةـ (ـأـيـ الـمـشـرـقـيـةـ)ـ .

(١) لم نجد للعالم عبدـالـقـادـرـ السـخـاوـيـ فيـ المـاجـمـعـ سـيـرـةـ تـفـصـلـيـةـ لـحـيـاتهـ بـدـءـاـ مـنـ مـولـدهـ حـتـىـ تـصـابـيفـهـ ،ـ وـلـطـنـاـ نـثـرـ عـلـيـهـاـ فـيـ الـمـسـتـقـلـ .

(٢) وـيرـيدـ بـكـلـمـةـ «ـعـنـدـنـاـ»ـ مـصـرـ .

ح - كيف آلت الغاربية إلى الصغرىات العربية (١)

Iraq c. 1000 A.D.	٢٢٨٥٤٦٣٠
Arabic little changed in 1000 years	١٢٣٤٥٦٧٨٩٠
Spain 976 A.D.	٧٨٩٦٧٣٥١
W. Europe c. 1360 A.D.	٩٢٦٩٤٦٨٩٠
Italy c. 1400 A.D.	١٢٣٧٨٩٥

فلننضم النظر في الكتابات المعروضة أعلاه (٢)

تاركين جانبَ الكتابةَ المشرقيةَ التي سبقَ لنا شرحُها وذاعَ انتشارُها في المشرقِ العربيِ كله ولنستعرضَ ما بقيَ :

أولاً : أنَّ العربيةَ الأندلسيةَ هي منَ الغاربيَةِ تماماً وقد وردتَ أعلاه كأسبانية.

ثانياً : الكتابةُ الأوروبيَةُ الغربيَةُ هي الغاربيَةُ المغربيةُ نفسهاُ الا الأربعةُ صورتها \varnothing (ربطةُ لها ذراعان مفتوحان هي أربعةُ العراقيةُ بعد قلبها) والشأنيةُ تنشأُ عن الأربعةِ بعد ضمِ الذراعين وقد سبقَ أنْ تعرَفنا إليها في الهنديةِ \circ

ثالثاً : الإيطاليةُ سنة ١٤٠٠ ميلادية هي كالأوروبيَةِ مع فارقين :

أولهما : الأربعةُ هنا \varnothing هي الأربعةُ الأوروبيَةُ \varnothing بعد توسيع عقدةِ الربطةِ وتحريرِ الصورة \circ

ثانيهما : السبعةُ في الإيطاليةِ وهي \heartsuit نفسُ السبعةِ في المغربيةِ الأندلسيةِ \circ

(١) مرجع هذه الكتابات أدناه هو Mathematics in the Making لصاحبه Lancelot Hogben.

(٢) المراد بالأسبانية هنا هو المغربيةِ الأندلسية \circ

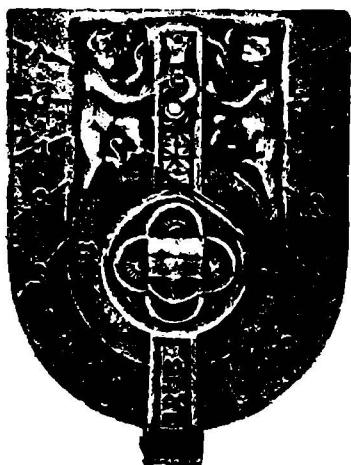
(٣) لا نزعم أنَّ صورَ الأرقامِ هذه لم تكن تستعمل قبل تاريخَ المثبتةِ إلى جانبها \circ

رابعاً وأخيراً : ها نحن أولاء نقف أمام الصفرات العربية Les Chiffres arabes وجهاً لوجه (شريطة إعادة السن إلى الخمسة) لتصبح كما في العربية الأم هكذا وهاكم أخيراً الصفرات العربية

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

في حلتها المعروفة لدى العالم الكبير وباسم العرب الذين جاؤوا بها من المغرب .

Sundial of A.D. 1453 bearing Hindu-Arab numerals.



مزولة يعود صناعها إلى عام ١٤٥٣ ميلادية
مترجمة بالكتابية العربية الهندية
يقع تاريخ صناعها في أدناه

ضمن المستطيل .

ط - خاتمة الدراسة

نختصر ما جاء في دراستنا الوافية والمرروضة على أنظار الم هيئات العلمية في العالم أجمع ، المسائلة عن صلة العرب والمسلمين بصور الأرقام المستعملة في المغرب العربي وأوروبا ، الطالبة منا الأسناد الصاحح والمحجّحة القاطعة في الجواب عن مسائلها ، نختصر هذه الدراسة بأن نورد خلاصتها في نقاط :

- ١ - كان للعرب ولا شك يد "جيالة" بيضاءً في تطوير صور الأرقام آسواً بحال الهند بل كان هنالك مشاركة "مؤكدة" ومحكمة" بين حضارتي" العرب والهند في مضمار وضعهم لقواعد العساب المتماثلة ، وفي تطوير صور الأرقام أيضاً ، الأمر الذي أفضى بنا إلى أن نشهد ولادة ما نسميه «الكتابة العربية الهندية للأرقام» تسمية نوردها هكذا بنصٍ دقيق واتّا لنتبر هذه الكتابة بمثابة مرحلة أولى في التطوير .
- ٢ - ثم تَبَعَّتْها مرحلة أخرى في التطوير هي مرحلة 'تبسيط' العرب لطريقتهم في انجاب «الكتابه المشرقيه للأرقام» التي ان بدلت للناس غاية في البساطة وكانت طويلة العمر حقاً ، الا أنهما حملتُ بين أرداهُما وبالأسف عيب بساطتها في عدة الأسنان الصغيرة ، الأمر الذي طالما شكت منه العيون .
- وَثُمَّة عِيبٌ آخر هو تبسيط 'الخمسة بجعلها دائرة' ثم مس 'صورة الصفر بالأذية' اذ جعلت دائرةً صغيراً محبّرة طالما التبس معها على القراء أمرها فحسبوها نقطة .
- ٣ - ثم تَبَعَّتْها نشأة الكتابة الغبارية بــ المــغربــ العربيــ وفيــهاــ الكــثيرــ منــ فــقــارــ الكتابــةــ العــربــيــةــ الــهــنــدــيــةــ ،ــ وــنــظــيفــ إــلــىــ ذــلــكــ أــنــ الــنــبــارــيــةــ أــعــادــتــ إــلــىــ أــشــكــالــ الــأــرــقــامــ حلــيــةــ التــزوــيقــ بــلــ زــادــتــ فــيــهــاــ فــكــادــتــ مــعــهــاــ أــنــ تــحــيدــ بــأــشــكــالــ الــأــرــقــامــ إــلــىــ أــحــرــفــ أــوــ كــلــمــاتــ .

٤ - ثم ما أن انتقلت الفبارية إلى أوروبا يدخلون العرب إلى الأندلس حتى عاد إلى الفبارية قُوَّتها ورونقها وذاع أمرها وانتصر الكثيرون لها فعمّتُ البلاد الأوروبيّة كافّة لا سيما إيطاليا على طريقين هما صقلية والأندلس وعُرِفتْ لدى جميعهم بالصُّفريّات العربيّة تسمية جديرة باسهام العرب الكبير في تصويرها .

٥ - وأخيراً فان الصُّفريّات العربيّة تحمل في طياتها بذوراً ورموزاً حضاراتٍ عريقةٍ مختلفةٍ متعددةٍ لئن هي نشَّرتْ في مشارق الأرض ومغاربها اذن لأنبتت نباتاً طيباً في كلّ أرض ، وعسى أن يأتي يوم "قريب" تطفع بالبشر فيه جوهُ أقوامٍ كثُر ، اليوم الذي تتوحدُ فيه لغةُ أرقامِهم .

ي - صورة فنية للصُّفريّات العربيّة



★ ★ *

الهوية في الطرف العربي

د. سلمان قطبي

عرف العرب الأوئلة منذ قديم الزمان .
ويقول في ذلك لوسيان لوكليير^(١) « ثمة حادث هام يجب ذكره ، وهو يعود
إلى ما قبل الإسلام . وهو ظهور أول جدرى
حوالي ٥٧٠ ، أراد أمير مسيحي من اليمن ، وهو ضابط في جيش النجاشي
يدعى أبرهة ، أن يجعل من صنعاء ، مدنه ، مكة أخرى ، أي مركزاً للحج وذلك
في صالح المسيحية . لذا كان عليه أن يهزم أركان عبادة الأواثان عند العرب
بقوة . ومن أركانها : العج إلى مكة .
ولتحقيق غايته بنى أبرهة كنيسة رائعة .
وكان لأهل قريش حق حماية الكعبة ، وهو سبب أهميتها وثروتهم ، ففكروا
في تخريب ذلك المشروع . فأرسلوا رجلاً من قبلهم استطاع أن يتسلم حراسة
كنيسة صنعاء وفي مساء أحدى العطلات الكبرى ، دخل إلى المعبد ليلاً وسلح
فيه ، ثم هرب بعدما أن أعلن عن فعلته .
فوجد أبرهة أن واجبه يقتضي بالانتقام لهذا التدنيس . فجهر جيشه وذهب
إلى مكة وضرب عليها الحصار . وكان على ظهر فيل أبيض اسمه : محمود .
إلا أن حادثة غير متوقعة أنزلت الإضطراب والفسوضى في جيشه ، ورأى
المكيون في تلك الهزيمة انتقاماً سماوياً . وقد وصف القرآن هذه الحادثة في سورة

الفيل اذ يقول : « ألم ترَ كيف فعل ربك ب أصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبا ييل ، ترميمهم بعجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » .

أرسل الله ، اذن ، ضد العبيشين المدنسين ، الطيور الأباييل ، يحمل كل منها ثلاثة حجارة واحدة في منقاره واثنتين في رجليه . فألقتها على العبيشين فقتلتهم في الحال ما عدا أبرهه رئيسهم الذي هرب بسرعة الى العبشرة . وهناك بينما كان يقص الأمر على ملكه جاءه طير آخر فألقى عليه حبراً فسقط ميتاً . ومن الطبيعي أن ينقب الباحثون عن العادلة الطبيعية وراء هذه المعجزة . يعتقد الكاتب الإيطالي رامبولي ، أنه يمكن تقبل فكرة حدوث عواصف عنيفة أعمت جنود أبرهة .

ولكننا نعتقد ، مع أكثر من مستشرق ، أن الأقرب أن نرى في هذه المعجزة جائحة جドري ، خاصة أن هذا التفسير يتناسب مع شواهد تاريخية .

ان عام حصار مكة ، هو عام ولادة محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أطلق عليه بعض المؤرخين العرب عام الفيل . وتوجد وثائق تاريخية تفيد أن أول جائحة جدرى حدثت عند العرب في ذلك التاريخ . « . »

ومهما يكن من أمر فالعادلة تشير الى حدوث جدرى في ذلك التاريخ والى معرفة العرب له .

هذا وقد جاء في الكتب الطبية العربية ذكر مفصل للأوبئة مع ذكر أسبابها وعلاماتها ومعالجتها .

يقول مدين القوصوني المصري^(٢) « الوباء : هو الطاعون أو كل مرض عام . وقال حذاق الأطباء : هو تغير يعرض لجوهر الهواء فيستحيل الى الرداءة ، ويسري في الأبدان بالاستنشاق كسريان السم » .

اما أسباب الأوبئة فيجمعها علي بن رضوان^(٣) في أربعة :

١ - تغير كيفية الهواء : ويكون على نوعين : اما تغير معتاد فلا ضرر منه .

واما تغير خارج مجرى الماء كان تزداد سخونته أو برودته أو رطوبته أو جفافه أو تغالطه حال عفنية وقد تكون هذه قريبة أو بعيدة .

والملوم أن الهواء احدى الطرق لانتقال المشرفات والهوام ومعها الجراثيم .

٢ - تغير كيفية الماء : أن يفرط زيادة أو نقصانا ، أو « تغالطه حالة عفنية » .
فيضطر الناس إلى شربه . ويفسر تعفن الماء أما بوجود قتلى تعفنت أجسادهم في الماء وأما أن بعض الناس (كأهل فسطاط) يرمون بجثث قططهم وكلابهم وسنابيرهم في مجاري المياه التي يشربونها فتعفن .
وكلنا يعلم أن الماء هو أحدى الطرق المعتادة لانتقال الجراثيم الوبائية : كالكوليرا والحمى التيفية ، والزحار . . .

٣ - كيفية تغير الأغذية : اذا غير الناس طعامهم كما يحدث في الأعياد . أو اذا فسدت المراعي فتفسد لحوم الحيوانات التي يأكلها الناس ، أو اذا فسد الماء الذي يشربه الحيوان .

وبديهي أن الأطعمة على اختلاف أنواعها هي أحدى طرق نقل الجراثيم إلى الإنسان .

أما السبب الرابع فهو الأحداث النفسية لأن المرب كانوا يضعون الأمراض النفسية الجماعية من جملة الأوبئة .

ثم ان المدوى المباشرة من مريض الى آخر فيشرحها التميي بالتفصيل في الباب الثالث من المقالة الثالثة من كتابه فيقول^(٤) :

« . . . وذلك لأجل أن الهواء يحتمل رائحة ذلك الفساد الذي يظهر من جسد العليل وينفصل عنه بالتنفس فيؤديه إلى الصريح المجاور له بالتنفس وحمل الهواء للفساد من نفس العليل وايصاله إيهالاً إلى الصريح المجاور له إنما هو بكثرة نفس العليل ، فإذا استنشق ذلك النفس الفاسد المنفصل منه نفس العليل ، من يجاور العليل من الأصحاب الذين يأتون معه ويقربون منه ، فسدت أمزجة أبدانهم ، وغلبت العفونة عليهم فامرضاهم فشاركوا العليل في علته . . . »

قال محمد بن أحمد : والدليل على صحة ذلك أنا نرى المنزل الذي فيه

الجماعة من لم يعصب أو يجدر قط اذا حدث بواحد منهم احدى هاتين العلتين لم تثبت تلك الجماعة الا بيسير حتى تناولهم تلك العلة بعينها اما واحداً بعد واحد ، واما لوقت واحد ، وليس السبب في ذلك سوى تنفسهم ذلك الهواء المازج لنفس الوصب ٠

وقد نجد كثيراً من العلل تعيدي من ناقل العليل أو باشره أو واكله أو شاربه أو شرب من أنائه الذي يشرب فيه أو ضاجعه في فراشه ٠ فمن ذلك داء الأسد فإنه يعدي من واكل المجنون أو شاربه أو أكثر الدنو منه والمجالسة له ٠ وكذلك الوضاح أيضاً فإنه من الأمراض المعدية التي تعدي من واكل الأبرص وشاربه وهذا الداء ان ليس إنما يعديان الأجنبي من الناس ومن يأكل من كانوا به أو يشاربه لكنهما يجريان في النطفة ويتباعان النسل ويحدثان في ولد الولد بعد ثلاثة أيام أو أكثر ٠ والسبب الموجب لذلك فساد النطفة الفاسدة المزاج وحلولها في الرحم وفي جوهرها نفس ذلك الفساد كاملاً فيظهر في النسل بعد النمو والترعرع وما يعدي منه العليل بقوة ، وقد يان لي لإعداده مرارة ، علة ذات الرئة أعني قرحة الرئة المفدية بالمريض إلى السل ٠ وكذلك النسمة الكائنة عن السيلان المنصب عن فضول الرأس فإن الوصب قد يعدي بها من الأصحاء من شرب في أنائه الذي يشرب فيه على الأدمان ، والسبب في ذلك ما يقبله ذلك الآباء من نفس المريض ، وما يمازج رطوبة الماء من البخار الخارج منه في العليل ومن منخريه ، فإن أدمي الشارب الشرب من أنائه تعدد تلك العلة إليه ٠

فاما العرب فإنه يعدي من استشعر أو لبس قميصه أو ضاجعه في فراش والسبب في ذلك أن جسد الصبيع يجتذب إليه من مسام جلده بالنفس الخارج من المسام والداخل فيها بمشاركة الهواء ما قد حصل في ذلك الشعار أو القميص من بخار جسد الوصب فيولد ذلك به جرياً في أسرع الأوقات ٠

ويؤكد ابن سينا^(٥) أن انتقال الأوبئة قد يكون « لسبب رياح ساقط إلى الموضع البعيد أدخلته رديئة من مواضع ثانية فيها بطائع آجنة ، أو أجسام متغيرة في ملائم ، أو أوباء قتالة ، لم تدفن ولم تعرق » ٠

ويذكر أن من علامات الوباء «أن ترى الفأر والحيوانات التي تسكن قعر الأرض تهرب إلى ظاهر الأرض سدراً مسمدة» .
والمعروف أن للفأر دوراً كبيراً في نقل الطاعون .

الجدري والعصبة

يقول القوصوني^(٦) في تعريف العصبة «بشرور حمر» متفرقة تكون عند ظهورها كقرص البراغيث ثم تتبعب ولا تنتقيح ، سببها دم صفراوي حاد لداع مهياج يظهر سريعاً » .

يقول الرازبي^(٧) « علامات العصبة : أن يفلط الصوت وتحمر العينان والوجنتان ، ويجد الوجه في العنجرة والصدر ، ويجف اللسان ، وتنتفخ الأصداف ، ويحمر الجسد ، وتدمع العينان ، ويهدج النهوع ، فان رأيت هذه فإنه ستظهر العصبة ، والعصبة تخرج بمرة والجدري شيئاً بعد شيء . والعصبة الخضراء والبنفسجية ردية وخاصة ان جاءت بفتة فإنه يغشى عليه ، ويقتل سريعاً . والجدري الذي يسود لونه ويجف ولا يمتليء بل يكون صلباً ثؤلولياً فإنه يورث الفشي وهو قاتل » .

بل يذكر بعض الحالات التي عالجها فيقول^(٨) « ابنة الفتاح كان جدريها صفاراً ثؤلولياً وكان معه ضيق نفس ، ولم يكن أسود وكان معه لهيب في البطن شديد فماتت ، وأكثر هؤلاء يموتون اذا غشى عليهم مرات واشتد ضيق النفس ، وبردت الأطراف ، وذلك يكون اذا انقلب بخار الجدري الى داخل ، ونرى الجدري يشبه العصبة حتى أنه قال الطبيب : انه حصبة » .

وقال^(٩) مكرر «خرج على مكين جدري كثير رديء فقصدناه قبل ضيق حلقه فلم يبق شيء من التطفئة الا فملناه به ، فصلح وتوسيع العلق وأقبل من الجدري حتى رجوناه ، ثم انه هاج به ضربة وجع في ساقه عظيم جداً واسود ، وعزمت على أن أشرط في ذلك الموضع فسقطت قوته في ساعة . حتى لم أرجه البتة لكن على حال سال الدم من ساقه ، ومات من شدة الوجع في يوم واحد » .
ولا بد أنه أصيب بالتهاب الشرايين مع غنفرينة في الطرف السفلي وخمج دم فأؤدي به .

ويقول في التشخيص التفريقي^(٤) «ان اوجعتهم ظهورهم ولم يكن بهم شيء آخر من علامات الجدرى البطة بل كان بعضهم به اسهال أيضاً وساوء أبيض ، فجدرى أيضاً ، وبالجملة فلا شيء أخص بالجدرى من وجع الظهر مع الحمى . فان رأيت ذلك في الغريف ، فثق بأنه سيخرج جدرى دون الحصبة والحمبة لا يكون معها وجع الظهر . واحسب أن ذلك لشدة تمدد العرق الأجواف المدود على فقار الصلب ، وفي الحصبة لا يتمدد لأنها من رداء الدم بلا امتلاء كثير » .

ولقد اعترف الغرب بالاجاع في شأن الجدرى والحمبة للعرب وللرازي بهذا الكشف العلمي القيم . وترجمت رسالة الرازي الى اللاتينية ودرست في المعاهد .

ويقول القوصوني^(٥) نقلًا عن الشيخ ابن سينا « قال الشيخ : وهي (الحمبة) كأنها جدرى صفراوى والفرق بينهما أن الحصبة صفراوية ، وأنها أصغر حجمًا ، وكأنها لا تتجاوز الجلد ، ولا لها سمك يعتقد به ، والجدرى له نتوء وسمك ، وهي أقل منه عدداً أو أقل تعرضاً للعين ، والتهوع ، والكرب فيها أكثر والاشتعال أشد ووجع الظهر فيها أقل لأنها تكون عن الدم القليل الفاسد ، وهو عن الكثير ، وهي في الأكثر تخرج دفعة ، وهو يخرج شيئاً بعد شيء وعلامات السالم منها كلمات السالم منه فالسرير البروز والنضج سليم ، والصلب والأخضر والبنفسجي والذي ينبع دفعة ردئ ، والبطيء النضج مع توادر الغشى والكرب قاتل » .

وكل هذا صحيح برمته .

الطاعون

يقول ابن سينا^(٦) في وصف الطاعون في الفصل المسمى «فصل في الطواعن»: هذا الورم القتال يعرض في أكثر الأمر في الأعضاء الضعيفة مثل الآباط ، والأرتبة ، وخلف الأذن ، ويكون أردوها ما يعرض في الآباط وخلف الأذن لقربها من الأعضاء التي هي أشد رئاسة . وأسلم الطواعن ما هو أحمر ثم الأصفر ثم الذي الى السواد لا يفلت منه أحد » ثم يضيف :

« كان مع ذلك ورماً حاراً قتالاً ٠٠٠ وربما رشح دماً وصديداً ونحوه ويؤدي كيفية رديئة الى القلب من طريق الشرايين فيحدث القيء والخفقان والغثيان ، واذا اشتهرت عوارضه قتل » ٠

ويقول الرازى^(١) في الحاوي « الطوعين ورم حار يعرض في الأربعات والابط ، ويقتل في أربعة أيام أو في خمسة ٠ والطاعون الرديء أسود ، والطاعون الأحمر أقل شرًا على أنه ربما قتل ، ولا يكاد ينجو من الأسود والأخضر أحد » ٠

والعلوم أن للطاعون شكلين : أحد هما عقدي وهو الذي وصفه ابن سينا والرازى وهو الأكثر تواترًا ، والثاني : رئوى ، وهو أندر وقد أشار اليه ابن خلدون^(٢) مكرر فقال : « اذا فسد الهواء ، وهو غذاء الروح العيواني وملابسه دائمًا ، فيسري الفساد الى مزاجه ٠ فإذا كان الفساد قويًا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطوعين وأمراضها مخصوصة بالرئة » ٠

وكان الطاعون من الأوبئة التي كانت تحصد الناس باللليين خلال المصور الوسطي ٠

وذكر بلوتارك المؤرخ اليوناني ان أقدم طاعون هو الذي وقع في منتصف المائة السابعة قبل المسيح ٠ وكان الطاعون يهاجم العالم من آن الى آخر فيحصد الآلاف بل الملايين من البشر ومن أشهر وأفظع الطاعون في التاريخ هو الذي حدث في القرن السادس الميلادي ودام ٥٢ سنة (٥٩٤ - ٥٤٢ م) ٠

وأقدم طاعون في الاسلام ظهر أيام عمر بن الخطاب وقتيل من الجملة أبو عبيدة بن الجراح ٠ أما أروع وافدة فهي ما سمي بالموت الأسود وحدث في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وقدر عدد الموتى بعشرات الملايين ٠ ويبعدوا أنه ظهر في الصين عام ١٣٣٣ ، ثم انتقل الى الشرق الأوسط ثم الى اوروبا كلها ٠

وقد ذكر الغزي في تاريخه ٢٠ وافدة انتابت حلب بين سنة ٦٥٦ هـ /

١٢٥٨ م وسنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م وكان طاغعون عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م^(١)
رهيباً ، وظل يفتك بالناس حتى في سوريا عام ١٣٥١ م .

ولكنه انقطع في سوريا حوالي عام ١٨٣٧ م ، إنما ظل في مصر وانقطع سنة ١٨٤٤ م وكانت آخر وافدة عالمية هي عام ١٨٩٤ م الا أن العلم كان قد تقدم واكتشف أسباب الداء ووضع له مصراً مضاداً وذلك على يد يرسان Yersin أحد تلامذة باستور . والوباء حالياً منحصر في بعض مناطق الهند ، اذ استطاع العلم العديث أن يقضي عليه تقريباً كما قضى على الجبوري وغيره من الأمراض السارية .

ومن أجود أوصاف وباء الطاغعون ما ذكره عبداللطيف البغدادي^(١٢) في كتابه « الافادة والاعتبار بأرض مصر » من أكل لحم الأدمي وغيره فيقول :
« ولو أخذنا نقتضي كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة أو في المذنر ،
وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وإنما هو شيء صادفناه
اتفاقاً بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته ل بشاعة منظره .

وأما من يتعين ذلك بدار الوالي فإنه يجد منه أصنافاً تحضر مع آناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجد في بعض الأيام قدر فيها عشر أيد كما تطبخ أكارع الفنم ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الأطراف مطبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تفتت الأحشاء .

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبالتهم شيخ كتب بيدين من يتبيننا الكتب فافتلت بجسر يُمْعِنُ الدقن^(١٣) وكذلك بعض قواط جامع مصر وقع في حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس فخلص من الوهق وله

١ - يصلة الشيخ كامل الغزى في كتابه نهر الذهب بقوله : « فيها كان اللئاء الطيس والطاغعون العيم ، الذي جاز البلاد والاسصار ولم يسمع به في سالف الاعصار والخليل الديار والبيوت واقع الناس في غلة السكوت وكان اذا طعن به انسان لا يعيش اكثر من ساعة وملية ، وإذا عاين ذلك ودع أصحابه واغلق حاؤته وحضر البره ومضى الى بيته ومات وقد بلغ عدد الموتى في حلب في اليوم الواحد نحو خمسينية ويدمشق الى اكثر من ألف ومات بالديار المصرية في يوم واحد نحو المائتين والما وعشرين اورد الغير واستمر نحو ستة وعشرين نحو ثلاثين وفيه يقول ابن الوردي : قيل ان هذا الوباء ابتدأ من الظلمات قبل وصوله الى حلب بخمسة عشر عاماً وهو سادس طاغون وقع في الاسلام وعنه قيل انه المؤتان الذي اندى به عليه السلام . . . الغزى ج ٣ من ١٨٦

حصاص(١٤) وأما من خرج من أهله فنسم يرجع اليهم فخلق كثير : وحکى لي من أثق به أنه اجتاز على امرأة بخرية وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهي تأكل من أفغاده ، فأنكر عليها فزعمت أنه زوجها وكثيراً ما يدعى الأكل أن المأكل ولده أو زوجه أو نحو ذلك . ورؤى مع عجوز صغير تأكله فأعتذر بأن قالت إنما هو ولد ابنتي وليس بأجنبي مني ولأن آكله أنا خير من أن يأكله غيري . وأشباء هذا كثير جداً حتى أنك لا تجد أحداً في ديار مصر إلا وقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء في خدورهن .

ومما شاع أيضاً نبش القبور وأكل الموتى وبيع لعومهم .

وهذه البلية التي شرحتناها وجدت في جميع بلاد مصر ليس فيها بلد إلا وقد أكل فيه الناس أكلاً ذريعاً من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي .

وخبرني بعض أصحابي وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك . وأعجب ما حکى لي أنه عاين أرؤس خمسة صفار مطبوخة في قدر واحدة بالتواابل العجيدة . وهذا المقدار من هذا الاقتاصاص كاف فاني وإن كنت قد أمهلت أعتقد أنني قد قصرت .

وأما القتل والفتوك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولا سيما طريقسي الفيوم والاسكندرية ، وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الأجرة على الركاب فإذا توسلوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا أسلامهم . وظفر الوالي منهم بجماعة فمثل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضرباً أن الذي خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار .

وأما موت القراء هزا لا وجوعاً فامر لا يطيق علمه الا الله سبحانه وتعالى وإنما نذكر منه كالأنموذج يستدل به للبيب على فظاعة الأمر .

فالذى شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك أن الماشي أين كان لا يزال يقع قدمه أو يصره على ميت ومن هو في السياق أو على جمع كثير بهذه الحال ، وكان يرفع عن القاهرة خاصة إلى الميساة كل يوم ما بين مائة إلى خمس مائة ،

وأما مصر فليس لها تها عدد ويرمون ولا يوارون . ثم بأخره عَجِزَ عن رميهم فبقوا في الأسواق بين البيوت والدكاكين وفيها والميت منهم قد تقطع والى جانبه الشواء والغبار ونحوه .

وأما الضواحي والقرى فإنه هلك أهلها قاطبة الا ما شاء الله ، وبعضهم انجلى عنها اللهم الا الأنهرات والقرى الكبار كقصص والأشمونين والمحلة ونحو ذلك ، ومع هذا أيضاً فلم يبق فيها الاتحالة القسم^(١٥) وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتوحة وأهلها متقابلين ، بعضهم قد رم وبعضهم طري وربما وجد في البيت أثاثه وليس له من يأخذ .

حدثني بذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعنى به قوله الآخر قال أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيواناً في الأرض ولا في السماء فتخيلنا البيوت فالفيينا أهلها كما قال الله عز وجل « جعلناهم حسيداً خامدين » فتجد ساكن كل دار متوفى فيها الرجل وزوجته وأولاده . قال : ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا انه كان فيه أربع مائة دكان للعيادة فوجدناها كالتي قبلها في الغراب ، وان العائد في بير حياكته ميت وأهله متوفى حوله ، فحضرني قوله تعالى « ان كانت الا صيحة واحدة فاذادا هم خامدون » ، قال : ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه كالذى قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموتى أهله . قال : واحتبعنا الى الاقامة به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم ، قال : ولكن قد بدللت البلاد بالذهب والضياع ترتع في لعوم أهلها .

ومن عجيب ما شاهدت أني كنت يوماً مشرقاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا في نحو ساعة نحو عشرة موتى كانوا قرب المنفورة هذا من غير أن نتصدى لرؤيتهم ولا أحطنا بعرض البصر . وفي غد ذلك اليوم ركبنا سفينتين فرأينا أشلاء الموتى في الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بآنا ييش العنصر وخبرت عن صياد بفرضية تنبئ أنه من به في بعض نهار أربع مائة غريق يقتدف بهم النيل الى البحر الملح . وأما طريق الشام فقد تواترت الأخبار أنها صارت مزرعة لبني آدم بل محصدة ، وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التي صحبتهم من مجالهم هي التي تأكل فيهم .

وأول من هلك في هذه الطريق أهل العرف عندما انتجعوا إلى الشام وانتشروا في هذه المسافة مع طولها كالجراhd المحسوس ، ولم تزل تتواصل هلاكهم إلى الآن ، وانتهت انتجاعهم إلى الموصل وبغداد وخراسان وإلى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا في البلاد كل ممزق .

وكثيراً ما كانت المرأة تتملص من صبيتها في الزحام فيتضسرون حتى يموتوا .

وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عندمن لا يرافق الله ، حتى تباع الجارية الحسناة بدرأهم معدودة ، وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد، ورأيت مرة أخرى جاريتين احداهما بكر ينادي عليهما بأحد عشر درهماً .

وسألتني امرأة أن أشتري ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعفّفتها أن ذلك حرام فقالت خذها هدية . وكثيراً ما يتراهم النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سببهم إلى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك » .

وقد ألقت كتب كثيرة في الطاعون ، وخاصة في عصور الاحطاط حيث نم بعد يعرف الإنسان كيف يفعل ليتدارك هذا الوباء .

ومن أشهر الكتب كتاب « بذل الماعون بفضل الطاعون » للمسقلاني الكتاني . وهو قليل الفائدة الطبية .

يذكر فيه أن أبغض طاعون كان بمصر والشام ١٤٤٥ هـ / ٨٤٩ م ثم يصف الطاعون في حلب فيقول « وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج استرسل بمعناه أو انساب وسمى طاعون الانساب وهو أعظم طاعون وقع في الاسلام ، وعندى أنه الموت الذي أندى به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلو رأيت الأعيان وهم يطالعون في كتب الطب الفوamp؛ ويكثرون في العلاج من أكل التواشf والحوامض ، قد تنفص عيشهم الهني ، بملائحة مسلم الطينة الطين الأرمني ، وقد لاطف كل منهم مزاجه وعدل ، وبغروا بيوتهم بالعنبر والكافور والسعد والصندل ، وتختموا بالياقوت ، وجعلوا البصل والخل والطحينة من جملة

الادم والقوت وأقلوا من الامراق والفاكهه ، وقربوا اليهم الأترج وما شابهه :

**حلب والله يكفي شرعاً أرض مشقة
أصبحت حية سوم تقتل الناس بيزقة**

فلو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى ، وسمعت بكل قطر من حلب نعيها وصوتا ، لوليت منهم فرارا ، وأبيت فيهم قرارا ، ولقد كثرت فيها أرザق الجنائزية فلا رزقا ، وعاشوا بهذا الموسم وعرقوا ، فلا عاشوا ولا عرقوا ، فهم يلهون ويلعبون ، ويتقاعدون على الزبون ، اسودت الشهباء في عيني من وهم وغش ، كاد بنو نعش ، أن يلحقوا ببنات نعش ، فنستغفر الله من هوى النفوس فهذا بعض عقابه ، ونعود برضاه من سخطه وبمعافاته من عقابه :

**قالوا فساد الهوا يربى فقلت يربى هوى الفساد
كم سيناث وكم خطايا نادي علينا بها المنادي**

ومما أغضب الاسلام ، وأوجب الآلام ، ان أهل سيس^(*) الملائين مسرورون للبلائنا بالطوعين ، حتى كأنهم في أمان أو عليه أن لا يقربهم ضمان ، أو كأنهم اذا ظفروا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا :

**سكان سيس يسر لهم ما ساعنا وكذا العوائد من عدو الدين
الله ينفذه اليهم عاجلا ليمزق الطاعون بالطاعون**

وفي دار الأوقاف الاسلامية يطبع للكتب ، ستة مخطوطات عن الطاعون معظمها إن لم نقل كلها مأخوذ عن هذا أي كتاب ابن حجر ، وهذا يدلنا على ما كان للطاعون من رهبة وأهمية والواقع أنه داء رهيب ، ذاقت منه حلب الأهوال الشداد .

والمؤلف هو الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الكناني الشافعي ولد في القاهرة سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ودرس بدمشق والعباز وبغداد والقاهرة وأصبح قاضي القضاة وتوفي سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م وله عشرات

* سيس مدينة في قيليقية (آده) حاصرها الصرب ٧٠٤ وكانت عاصمة مملكة اريمينا الصفرى (١١٨٦) فتحها الملك وخرابها (١٣٧٤) لها مقام ديني خطير عند الأرمن لأنه جرت فيها رسمة القديس غريغوريوس المور استقل أول بطاركتهم (٢٦٧) المتبد - الآب معلوف . ص ٢٧٧

الكتب في مختلف المواضيع والكتاب يعود إلى عصور الانقطاع بعد أن انحصر الفكر العلمي وطفي الفكر اللا علمي الذي يعتمد على الروحانيات في شكلها البديء وأقصد القريب من الشعوذة والسحر . وقد يكون العذر في ذلك هو العجز التام للطب في الوقوف في وجه الداء الرهيب .

ولم يكن الحال في أوروبا بأفضل . ويقول كنيث والكر^(١٦) في ذلك : « ان ظهور الأوبئة وبشكل خاص الطاعون ، كان يُعزى إلى أسباب الهيبة وتعني عقاب البشر بسبب ذنوبهم . »

ولقد سبب هذا الشعور الآليم بالذنب ، في أوروبا ، ظهور بدعات يمكن تصنيفها « بالهستيريا الجماعية »^(١٧) . وهكذا فكانت الكنائس تمتليء بالمصلين وتسمع الصلوات المزوجة الأنين والصرخات في كل مكان .

أما المتعصبين فقد كانوا يعاقبون أنفسهم بأنفسهم وعلانية ، ويشجعون الآخرين على ذلك . وانتشرت الهستيريا في كل مكان .

ووصل الأمر في هنغاريا أن أسست جمعيات لجلد المذنبين عرفت باسم « اخوة الصليب » وكانت ترسل إلى كل أنحاء العالم مبشرين مرتدين ملابس خشنة ذات ألوان قاتمة ، مع صليب ضخم أحمر على صدورهم . كان هؤلاء يعملون أسياطا ذات ثلاث شعب تنتهي كل منها بكرة صغيرة من الحديد ، فكانوا يجتازون المدن ، رؤوسهم منقطة بالقلنسوة ، وأعينهم تنظر إلى أسفل . وكانوا يستقبلون بครع الأجراس . عندئذ يجتمع السكان في ساحة القرية أو المدينة ، لمشاهدة التعذيب . وكانت تقام هذه العفولة مرتين في اليوم . وبعد أن يحصل المبشرون على عدد واف من المقتنيين بالطريقة ، يذهبون إلى مدينة أخرى .

ولكن هذه الهستيريا كانت أحياناً تظهر بأشكال مغايرة ، على شكل رقصات تشنجية عصبية تسمى برقصة القديس جي Saint Guy ، أو القديس حنا وكانت تقام في الساحات العامة ، يشترك فيها بعض الراقصين فيصرخون

ويولولون ويبكون ويتشنجون حتى يسقطوا على الأرض من الانهاك .
ويشترك معهم الناس فيصبح الأمر عبارة عن تظاهرة جنونية جماعية علنية .
وهكذا مثلاً في عام ١٣٧٤ في مدينة ايكس لاشايل اشتراك مئات من النساء
والرجال في رقصة من هذا النوع ، فذهبوا بعد ذلك الى مدن أخرى .
وعندما وجدت الكنيسة أن الأمر كاد أن يفلت من زمامها أمرت باقامة
حفلات منظمة لطرد الأرواح الشريرة من هؤلاء الذين تلبستهم » .

المعالجة

لعل أفضل كتاب وضع في العريبة عن الأوبئة هو كتاب « مادة البقاء في
اصلاح فساد الهواء والتعزز من ضرر الوباء » ، للتميمي ويقول في المقدمة^(٤) :

« فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها وخاصة رؤسائها وعامة
أهلها أن تكون عنايتهم بدمداواة الهواء الفاسد المحدث لوقوع الأوبئة بها الجالب
الطواعين على سكانها أولى وأوجب من عنايتهم بدمداواة ما يحصل بذلك من
الأمراض المخوفة في أجساد أهلها ، وأن يصرفوا همهمهم الى ذلك ، ويفرغوا له
نفوسهم . »

و لم أر أحداً من المقدمين منهم ولا من المتأخرین أمعن النظر في ذلك
وعني به أتم عناية حتى وضع له كتاباً ونصب له أمثاله من العلاجات فكان من
بعده يقتدي به ويسلك في ذلك مججته غير الفاضل أبقراط فإنه وضع كتاب
الاهوية والبلدان والمياه ٠٠ وكذلك وجدته في وضعه الكتاب المسمى افیدیمیا
وما ذكر فيه من الأمراض الوافدة ٠»
الكتاب مؤلف من عشر مقالات ذكرنا نبذأ منها فيما سبق . ونسرد نبذأ
آخر تتعلق بالمعالجة الوقائية والدوائية فيقول :^(٤)

« فاسأل كافة الناس من ذوي الأسنان المختلفة الأمزاج المتفايرة عند فساد
الهواء ، وتنسم الطواعين ، والأمراض الوافدة في الناس أن يتجنبوا دخول
الحمامات وأن يهجروها مدة ذلك الفساد ٠٠٠ أما ذوو النعمة من الملوك والرؤساء
وذوو الثروة واتساع العمال من له حمام ملاصق لمنزله أو بالقرب منه
فليدخلها ولا يطل المكث فيها » .

ويشدد على أهمية النار كاداة للتعقيم والتطهير فيقول :^(٤)

« قال محمد بن أحمد : اني نظرت في حال المناصر الأربعة فلم أجد عنصرا منها له سلطان على الهواء والماء وعلى المنصر الثالث أعني الأرض وما ينشأ فيها ، ويعيش على ظهرها من العيوان غير المنصر الرابع الذي هو النار وسأذكر كيفية اصلاح النار للمناصر الثلاثة الاخر اذا هي فسدت مما أو فسد أحدهما ونعت كيفية انحطاط شعاعها وحرها الى وجه الأرض ووصوله الى أرحامها لاخراج النبات وتوليدها أحجار المعادن ، وما في ذلك للعيوان والنبات من المنافع والنشوء ودوم الحياة ، ولما كانت النار أصلف المناصر طباعاً وأعلاها مكاناً وكانت في كيفيتها حاوية لما دونها من المناصر الثلاثة ومستولية عليها وحاكمة فيها وجب أن يكون يستدرك اصلاح ما فسد منه غيرها وتلطيف ما كيف منها وغلظ ووخدناها بالحقيقة تفعل في ذلك فعلا قوياً ، ويؤثر فيه تأثيراً حسناً » .

وينصح باستعمالها لتنقية الهواء بواسطة التدخين :

« وذلك انا لا نصل الى تلطيف الهواء الغليظ وترقيقه وتعليق النظر المارض فيه بغير ايقاد النيران في المجالس والمساكن وبالقرب من المراقد وباستعمال الدخن التي ركبتها الأوائل وغيرها من الدخن المصلحة للهواء التي أتينا بذكرها آننا » .

أما المياه فيجب غليها ثم تصفيتها بالغزف المخلخل ، واذا كان فيه بعض التراب وغيره فتستعمل أدوية خاصة فيقول :

« وان يعنوا من ذلك باصلاح الذي تفتدي به أجسادهم وترتبط به أكبادهم اذ بالماء حياة كل حي ونمو كل نام من العيوان والنبات والمعادن وليس اصلاح الماء الفاسد ممكناً بغير طبخه بالنار اذ النار بحرها تحلل ما فيه من الغلظ وتزيل عنه ما مازجه من فساد الهواء

قال محمد : فاما اصلاح الماء الفاسد بالنار وكيفية عمله فسبيل من أراد اصلاحه بالنار أن يطبخه في آنية من النحاس المونك^(١٧) او من حديد البرام وسبيله أن يديم طبعه حتى يذهب منه الربيع ثم ليبرد في آنية من جديد الغزف الرقيق المتخلل الأخير الكثير الرشح وينبغي أن نعلم أن أفضل هذا الماء المطبوخ المبرد وألطفه وأنفعه رشحه وهو ما رشح منه في آنية الغزف الجديد

المتعلل الأجزاء الدائم الرشح فليعدم شرب ذلك منه ٠٠٠ فاما تصفية الماء الكدر فانه قد يحتال لتصفيه الماء الطيب الخفيف اذا كان كدرأ في اوقات المدود لأجل انواع الترب التي يمر بها ويجري عليها بوجوه من العلاج ف منه ما يصفى بأن يلقى فيه اليسير من الشعب الابيض اليماني ، او يأن يلقى فيه شيء من لب نوى المشمش او قلوب اللوز المدقوقه او اليسير من ملح الطعام مدقوقاً او يلقى فيه شيء من خشب الساج فانه اذا ألقى في الماء العلو الكدر أحد هذه الاشياء وحرك به تحريراً جيداً ثم ترك ساعه زمانية فانه يصفى ويرقه ويميز العنصر الأرضي منه بسرعة » .

وكل هذا صحيح يرمته حتى يومنا هذا وકأنما اكتشف مصفاة «شامبرلان» المبنية على تصفية الماء بالغزف على عدة طبقات .

المصادر

- ١ - Leclerc Lucien : *Histoire de la Médecine Arabe* — T. I — P. 19.
- ٢ - القوصوني المصري : مدين بن عبد الرحمن — قاموس الاطباء، ونقوس الوباء، — مصودات مجعع اللغة العربية دمشق - ١٩٧٩ - ج ١ ص ١٦ .
- ٣ - ابن رضوان : علي - كتاب في دفع مضار الابدان عن ارض مصر - مخطوطه دار الكتب المصرية . الفصل العاشر عشر .
- ٤ - التبيبي ابو عبد الله - محمد بن احمد بن سعيد العكيم المقدسى ثم المصري التبيبي . مادة البقا، في اصلاح فساد الهوا، والتحرر من خرق الوابا - المكتبة المارونية بعلب . مخطوطة ورقة ٥٦١ .
- ٥ - ابن سينا : الحسين بن علي - القانون - طبعة بولاق - اوفست بغداد ج ٣ - ص ٦٤ - ٦٦ .
طبعة دو ما سنة ١٥٩٣ المقالة الثانية من الفتن الاول ص ٣٤ - ٣٥ .
- ٦ - الصدر دلم ١ ص ٢٧ .
- ٧ - الرازى : ابو بكر محمد بن ذكرييا - العاوي - حيدر آباد الكن - ج ١٧ ص ٢ - ٣ .
- ٨ - الرازى : ج ١٧ - ص ١٤ .
- ٩ - سعفرا - الرازى حاوي - ج ١٧ - ص ١٥ .
- ١٠ - الرازى ج ١٧ - ص ٢٢ .
- ١١ - الصدر دلم ٥ ج ٣ - ص ١٢١ .
- ١٢ - الصدر دلم ٧ ج ١٧ ص ٤ .
- ١٣ - سعفرا - ابن خلدون - المقatta - بيروت - ص ٣٣٩ .
- ١٤ - البشداوي : عبداللطيف موفق الدين محمد - كتاب الافتاده والاعتبار في الامور الشاهدة والعاينة بارض مصر - طبعة المجلة المصرية بلا تاريخ - ص ٦٥ - ٦٨ .
- ١٥ - يقال : الملت للان بجريدة اللآن اي نجا بعد اذ اشترف على التلف . (المجلة)
- ١٦ - يقال : « الملت وله حنصال » مثل يضرت لنجم ثلاثة اولاد وتحسنت النار الا تحمله القسم . (المجلة)
- ١٧ - اي القليل اشارة الى الحديث : « لا يموت المؤمن ثلاثة اولاد وتحسنت النار الا تحمله القسم » . (المجلة)
- Walker Kenneth : *Histoire de la Médecine* — Bruxelles — 1962 — PP. 97-98 .
- ١٨ - المؤنث اي المطل بـالانك وهو الاسب اي التصدير ونقول في الصر العاشر الميئس . (المجلة)

أعجاز القرآن وترجمته*

د. جعفر دلّي الباب
جامعة دمشق

لا بد من التطرق بياياز الى موضوع اعجاز القرآن الكريم قبل البحث في مسألة ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة .
أولاً - اعجاز القرآن :

ذكر القاضي الباقلياني في كتابه «اعجاز القرآن» ، ان «الذي يجب الاهتمام التام بمعرفة اعجاز القرآن أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة»^(١) . وأشار الى ثلاثة أوجه من اعجاز القرآن^(٢) :

- ا) الاخبار عن النبوب ، وذلك مسالا يقدر عليه البشر .
- ب) الاخبار عما تقدممنذ خلق الله آدم عليه السلام ، مع ان النبي الكريم كان أميا ولم يكن يعرف شيئا من كتب المقددين .
- ج) ان القرآن بديع النظم عجيب التاليف متناه في البلاغة الى العدد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

وذكر السكاكي في كتابه «مفتاح العلوم» أن قارعي باب الاستدلال بعد الاتفاق على أنه معجز مختلفون في وجه الاعجاز .

أ) فمنهم من يقول وجه الاعجاز هو أنه عن سلطانه صرف المتعديين لمعارضة القرآن عن الاتيان بمثله بمشيئته .

* التقى هذا البحث في حلوله المريضية في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الذي أقامته وزارة التعليم العالي في جامعة دمشق بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري (٢٠ - ٢٦ نيسان ١٩٨١) ، لدى مناشلة معاضرة الدكتور محمد نوري عثمانوف (الاتحاد السوفيتي) بعنوان «مزايا ترجمة القرآن الى الروسية للأكاديميين الشاثني كراتشفسكي» .

«The merits of the Russian translation of the Koran by academician Ignaty Y. Krashkovsky».

ب) ومنهم من يقول وجه اعجاز القرآن وروده على أسلوب مبتدئ مباني لأساليب
كلامهم في خطبهم وأشعارهم ، لا سيما في مطلع السور ومقاطع الآي .

ج) ومنهم من يقول وجه اعجازه سلامته عن التناقض .

د) ومنهم من يقول وجه الاعجاز الاشتغال على النبوء .

ه) فهذه أقوال أربعة يخسمها ما يجده أصحاب الدوق من أن وجه الاعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة^(٣) .

وقال السيوطي في كتابه ، الاتقان في علوم القرآن ، ما يلي : « لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز . وقد خاض الناس في ذلك كثيراً في بين محسن ومسيء »^(٤) . ولخص السيوطي الآراء المتعلقة حول اعجاز القرآن .

كان للتكلمين الدور الأكبر في تاريخ دراسة اعجاز القرآن الكريم . وبالرغم من ذلك ينفل عدد من الباحثين المعاصرین فضل التتكلمين في هذا المضمار . هذا ويتم أيضاً بشكل عام افتقار دور التتكلمين الایجابي في علم اللغة العربية^(٥) . وعلى سبيل المثال أشير الى أن الأستاذ مناع القطان كتب في كتابه ، مباحث في علوم القرآن ، في فصل (اعجاز القرآن) ما يلي : « لقد كان لنشأة علم الكلام في الاسلام أثر أصدق ما يقال فيه : انه كلام في كلام ، وما فيه من وعي التفكير يجر متتبعه الى مجاهل من القول بعضاها فوق بعض . وقد بدأت مأساة علماء الكلام في القول بخلق القرآن ، ثم اختلفت آراؤهم وتضاربت في وجوه اعجازه »^(٦) .

وقد أنسف التتكلمين الدكتور محمد علي سلطاني في كتابه ، مع البلاغة العربية في تاريخها ، حين كتب : « وما يلفت النظر أن تنھض فئة التتكلمين بالتصنيف الأولى في البحوث الدائمة للكشف عن سر اعجاز القرآن من الناحية الفنية البلاغية على وجه الخصوص ، مزودين بشقاقة واسعة : عربية واسلامية ومتدرجة ، ترقدها قدرة فائقة على الجدل والمناقشة ، تكينا للدين في النفوس »^(٧) . وقد ميز د. سلطاني مرحلتين في تاريخ دراسات الاعجاز البياني للقرآن : مرحلة ما قبل عبد القاهر البرجاني، ومرحلة عبد القاهر البرجاني .

ففي مرحلة (ما قبل عبد القاهر) أشار د. سلطاني الى أن الباقلانى كان مضطراً الى استخدام طرائق التتكلمين للتدليل على اعجاز القرآن : « غير أن الباقلانى لم يدلنا على الوجوه التي تصلح مقاييساً لأدراك اعجاز النظم ، ويعجز البشر عن اللعاق بها ... فلم يلبث أن هداه تفكيره الى محاولة جديدة، ليس لها رداء المتكلمين ليصبب هدفه من أقرب السبيل وأوضحتها ، بعد أن تزود لها بمنطلقات جديدة لا صلة له بالتلمس الفنى لجوانب الاعجاز ، فعمد الى تصنیف النام ثلاثه اصناف : اعجمي وعربي كالأعجمي وعربي قد تناهى في الفصاحة والبيان . فإذا عجزت الفتنة الثالثة عن محاكاة القرآن ومعارضته بيانه المذى ، وهم العرب الأقدمون بعد أن لسوافقه واعجازه ، فالثنتان الأخرى لبلوغ ذلك أعجز »^(٨) .

ان بروز تيار أدبي انهمك بالاعتناء بالسجع وتنسيق توافق الكلمات من حيث اللفظ دون المعنى ، أدى في القرن الخامس للهجرة الى ردة فعل تجلت في الدعوة الى اهمال الشعر والانصراف عن النحو . وقد تصدى الامام عبد القاهر الجرجاني للتيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى . وهاجم الدعوة الى اهمال الشعر والانصراف عن علم النحو . وأكد ان البلاغة ليست امرا مستقلا عن اللغة ، وبين أن البلاغة تساعد اللغة على أداء وظيفتها المتمثلة في الاتصال . فكان كتابه ، دلائل الاعجاز في علم المعاني ، بداية مرحلة جديدة في تاريخ علم اللغة العربية هي مرحلة الدراسة الوظيفية للغة العربية . واشتمل كتاب دلائل الاعجاز ، على نظرية متكاملة في اللغة ووظائفها . وقد قمت ببلورة نظرية الامام الجرجاني اللغوية وحددت موقعها في علم اللغة العام الحديث في كتابي ، الموجز في شرح (دلائل الاعجاز في علم المعاني) ، (١) .

و قبل أن أعرض رأي الامام الجرجاني في اعجاز القرآن ، سأقدم بعض التوضيحات للمفاهيم والمصطلحات التي يستخدمها الجرجاني .

١ - ان الجرجاني حين يؤكد أن (الألفاظ او وعيه للمعاني وخادمة لها) ينطلق في ذلك من الوحدة التي لا تنقسم بين الشكل (اللفظ) والمضمون (المعنى) .

ـ وليت شمرى ، هل كانت الألفاظ الامن أجل المعاني ؟ وهل هي الا خدم لها ومصرفة على حكمها ، ٠٠٠ ، (٢) .

ـ ان الألفاظ اذا كانت اوعية للمعاني ، فانها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب اللفظ الس DAL عليه أن يكون مثله أولا في النطق ، (٣) .

٢ - يفيد تعريف (نظم الكلم) عند الجرجاني (ترتيب الكلمات وتأليف الكلام) . ويمكن تلخيص علاقة الكلمة المفردة بالنظم بما يلي :

ـ أ) لا ترتبط البلاغة بالكلمة المفردة دون اعتبار موقعها في النظم .

ـ إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موقع ، ثم تراها بعينها تشق عليك وتوحشك في موضع آخر ، (٤) .

ـ فلو كانت الكلمة اذا حست حست من حيث هي لفظ ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلفت بها الحال ول كانت اما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا ، (٥) .

ـ ب) لا بد في النظم من أن تلتقي معاني الكلمات على الوجه الذي يتضمنه المثلث .

ـ ليس الفرض بنظم الكلم أن تواكب ألفاظها في النطق ، بل أن تنسق دلالاتها وتلتقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه المثلث ، (٦) .

ج) يتم نظم الكلم وفق قوانين النحو . ومعنى النحو هي المعاني ذات الدلالات العقلية والمهم معرفة مدلولات النحو لا العبارات النحوية نفسها .

د) لا ينكر تعلق الفكر بمعانٍ الكلم المفردة أصلاً ، ولكن الفكر لا يتعلق بمعانٍ الكلم مجرد عن معانٍ النحو .

ولا بد هنا من مناقشة رأي تبناه د. سلطانى حول «تأثير البرجاني بفضل الباحث للغرض مما أوصله إلى موقف منافق للمعروف عنه»⁽¹⁰⁾ .

انتا نرى أن القول (بوجود تناقض في موقف الإمام البرجاني) ينبع من الفصل بين الشكل والمعنى . وقد أشار البرجاني إلى تلازم الشكل والمعنى بقوله : « واعلم أنهم لم يعيروا تقديم الكلام بمعناه من حيث جعلوا أن المعنى إذا كان أدباً وحكمة وكان غريباً نادراً ، فهو أشرف مما ليس كذلك ». بل عابوه من حيث كان من حكم من قصوى في جنس من الأجناس بفضل أو نقص أن لا يعتبر في قضيته تلك إلا الأوصاف التي تخص ذلك الجنس وترجع إلى حقيقته ، وأن لا ينظر فيها إلى جنس آخر ، وإن كان من الأول بسبيل أو متصلة به اتصال مالا ينفك منه »⁽¹¹⁾ .

وكتبت قد أشرت في « الموجز في شرح دلائل الاعتراض » إلى أن مهاجمة البرجاني من يقدم الشعر بمعناه فقط دون الاهتمام بنظر الفاظ يجب أن تفهمها في ضوء شرحه للعلاقة بين المضمنون (الذي هو المعنى) والشكل (الذي هو اللفظ) وأنه لا يجوز فصل أحدهما عن الآخر⁽¹²⁾ . كما أشرت إلى أن العلاقة بين الشكل والمعنى علاقة جدلية لا انفصام فيها . لهذا لا يجوز أن تأخذ بمعنى الاعتراض جانبًا واحدًا منها فقط ونهمل الجانب الآخر . وهذا هو السبب في الانتقاد الشديد الذي وجهه القدماء ممن صنف في البلاغة كالباحث لن أهملوا الشكل ولم يوجبا الفضل والمزية في الشعر إلا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة أو أدباً واستخرج معنى غريباً أو شبيهاً نادراً⁽¹³⁾ .

٣ - إن مصطلح (المعنى) الذي يستخدمه البرجاني - حين لا يقصد به معانٍ الكلم المفردة بل معانٍ الكلم المرتبطة بالنظام - يفيد (معنى الكلام) . وسنلخص بايجاز رأي البرجاني في معانٍ الكلم .

آ) الكلام خبر وأمر ونفي واستفهام وتعجب .

ب) الغير وجميع الكلام معان توصف بأنها مقاصد وأغراض وأعظمها شأنًا الخبر . وترتبط جميعها بوظيفة اللغة الأساسية وسيلة للاتصال بين الناس تتجلّى في نقل ما يقصده المتكلم إلى السامع .

ج) لا يقصد المتكلم أن يعلم السامع معانٍ الكلم المفردة التي يكلمه بها ، بل يقصد أن يعلم السامع بها شيئاً جديداً لا يعلمه . وينقسم معنى الغير ، فيما لجاجة السامع المحددة بالوقت أو الحال الذي يقال فيه الكلام إلى خبر ابتدائي وخبر غير ابتدائي .

د) ليس الخبر صفة للنقط ، ولكن حقيقة الخبر هي الحكم بوجود المعنى أو عدمه . ويسمى وجود المعنى من الشيء أو فيه اثباتا ، ويسمى عدم المعنى وانتفاءه عن الشيء نفيا . والاثباتات أو النفي بعد ذاتهم معنى ، لذا فإن معنى الخبر هو معنى منفصل عن معنى المخبر به والمخبر عنه .

وهكذا نرى أن مصطلح (المعنى) عند البرجاني يفيد (معنى الخبر وبجميع الكلام) . ويرتبط هذا المعنى بالمرفق أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه . وفي ضوء ذلك أرى أن عنوان كتاب الإمام البرجاني ، دلائل الاعجاز في علم المعانى ، يعنى أن (دلائل الاعجاز تكون في معرفة ارتباط معنى الكلام بالمرفق أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلى الذي يدخل فيه) .

و ساعرض الآن بایعاز رأي الإمام البرجاني في اعجاز القرآن .

١ - يناقش البرجاني الرأي الذي يميز في البلاغة بين العرب وغير العرب ، لأن اللغة للعرب بالطبع ولغيرهم بالتكلف ، فيقول : « فمن ذلك أن تجد كثيراً من يتكلّم في شأن البلاغة إذا ذكر أن للعرب الفضل والمزية في حسن النظم والتاليق ، وأن لها في ذلك شاوا لا يبلّغ الدخلام في كلامهم والملوسون ، جعل يملّل ذلك يأن يقول : لا غرو فإن اللغة لها بالطبع ولنا بالتكلف ، وإن يبلغ الدخلام في اللغات والألسنة مبلغ من نشا عليها ، وبدىء من أول خلقه بها وأشياء هذا مما يوهم أن المزية أتها من جانب العلم باللغة ، وهو خطأ عظيم وغلط منكر يفضي بقاتلـه إلى رفع الاعجاز من حيث لا يعلم » .

وذلك أنه لا يثبت اعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر ، وتقتصر قوى نظرهم عنها ومعلومات ليس في مُنْ كارهم وخواطرهم أن تفاضي بهم إليها وأن يظلمهم عليها . وذلك محال فيما كان علماً باللغة لأنه يؤدي إلى أن يحدث في دلائل اللغة ما لم يتواتر عليه أهل اللغة . وذلك ما لا يخفى امتناعه على عاقل » (١٩) .

٢ - يناقش البرجاني رأي من يثبت اعجاز القرآن بدليل عجز العرب عن أن يأتوا بمثله ، فيقول : « فان قال منهم قائل : إنك قد أغفلت فيما رتبت ، فان لنا طريقة الى اعجاز القرآن غير ما قلت ، وهو علمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله . وتركتهم ان يعارضوه مع تكرار التعدي عليهم وطول التقرير لهم بالعجز عنه ، ولأن الأمر كذلك (ما قامت) * به العجّة على الجم قيامها على العرب واستوى الناس قاطبة ، فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من أن يكون محجوجاً بالقرآن . »

قيل له : خيـرـنا عـما اتفـقـ عـلـيـهـ المـسـلـمـونـ منـ اـخـصـاصـ نـبـيـنـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـاـنـ كـاتـ مـعـجزـتـهـ بـاـقـيـةـ عـلـيـ وـجـهـ الـدـهـرـ . أـتـرـفـ لـهـ مـعـنىـ : غـيرـ أـنـ لـاـ يـرـازـ الـبـرـهـانـ مـنـهـ لـاـنـعاـ مـعـرـضـاـ لـكـلـ مـنـ أـرـادـ الـعـلـمـ بـهـ ، وـطـلـبـ الـوـصـولـ إـلـيـهـ ، وـالـعـجـةـ فـيـهـ وـبـهـ ظـاهـرـاـ لـمـ أـرـادـهـ ، وـالـعـلـمـ بـهـ مـكـنـاـ لـمـ تـعـسـهـ ؟ فـانـ كـنـتـ لـاـ تـشـكـ فـيـ أـنـ لـاـ مـعـنىـ لـبـقاءـ الـعـجـزـ بـالـقـرـآنـ . »

الا أن الوصف الذي له كان معجزا قائم فيه أبدا ، وأن الطريق الى العلم به موجود ، والوصول اليه يمكن فانتظر أي رجل تكون اذا أنت زمدت في أن تعرف حجة الله تعالى وأثرت في الجهل على العلم ، وعدم الاستبابة على وجودها . وكان التقليد فيها أحب اليك ، والتعوييل على علم غيرك أثث لديك ، ونحو الهوى عنك ، وراجع عقلك ، واصدق نفسك ، وبين لك فحشن النلط فيما رأيت ، وقبع الخطأ في الذي توهمت ، وهل رأيت رأياً أعجز واختياراً أقيع : من كره أن تعرف حجة الله تعالى من الجهة التي اذا عرفت منها كانت أنور وأبهى وأقوى وأفهـ (٢٠) .

٣ - يهاجم البرجاني الدعوة الى اهمال الشعر والانصراف عن علم النحو ، لأن ذلك يؤدي الى الصد عن أن تعرف حجة الله في اعجاز القرآن ، فيقول : ، وأما النحو فظنته ضربا من التكلف وبابا من التسفس ، وشينلا يستند الى أصل ولا يعتمد فيه على عقل . وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ فهو فضل لا يجده نفما ولا تحصل منه علىفائدة . . . ذات لأنهم ي اختيارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصاد عن سبيل الله ، والمبتغي الى اطمأنة نور الله تعالى .

وذاك أنا اذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، وبيانت وبهرت ، هي أن كان على حد من الفصاحـ تقصر عنه قوى البشر ، ومنتهـا الى غاية لا يطبع اليها بالتفكير ، وكان محـا أن يعرفـ كونـه كذلك الا من عـرـفـ الشـعـرـ الـذـيـ هو ديوـانـ العـرـبـ وـعـنـوـانـ الأـدـبـ . . . كان المسـادـعـنـ ذلك صـادـاـ عنـ أنـ تـعـرـفـ حـجـةـ اللهـ تعالىـ . . . (٢١) .

٤ - يورد البرجاني تساؤلات من ينكر اعجاز القرآن : ، . . . فـماـ هـذـاـ الـذـيـ تـجـدـ بـالـقـرـآنـ مـنـ عـظـيمـ الـزـرـةـ وـبـاهـرـ الـفـضـلـ وـالـعـجـيـبـ مـنـ الـوـصـفـ ،ـ حـتـىـ أـعـجـزـ النـاسـ قـاطـبـةـ ،ـ وـحتـىـ قـهـرـ مـنـ الـبـلـافـ وـالـفـصـحـاءـ الـقـويـ وـالـقـدرـ ،ـ وـقـيـدـ الـغـواـطـرـ وـالـفـكـرـ ،ـ حتـىـ خـرـستـ الشـقـاشـقـ . . . (٢٢) .

ويجيب البرجاني على هذه التساؤلات بأن الاعجاز يظهر في مزايا نظم القرآن وخصائص سياق لفظه . . . فـقـيـلـ لـنـاقـدـ سـمـعـنـاـ ماـ قـلـتـ ،ـ فـخـبـرـوـنـاـ عـنـهـ عمـاـ عـجـزـواـ أـعـنـ مـعـانـهـ دـقـةـ مـعـانـيـهـ وـحـسـنـهـ اوـصـحتـهـ فـيـ الـعـقـولـ ؟ـ آـمـ مـنـ الـفـاظـ مـشـلـ الـفـاظـ ؟ـ فـانـقـلـتـمـ :ـ عـنـ الـالـفـاظـ .ـ فـمـاـذـأـعـجـزـمـ مـنـ الـلـفـظـ ؟ـ آـمـ بـهـرـمـ مـنـهـ ؟ـ فـقـلـتـاـ عـجـزـتـهـ مـزاـيـاـ ظـهـرـتـ لـهـ فـيـ نـقـمـهـ وـخـصـائـصـ صـادـفـوـهـاـ فـيـ سـيـاقـ لـفـظـهـ وـبـدـائـعـ رـاعـتـهـ مـنـ مـبـادـئـ آـيـهـ وـمـقـاطـمـهـ . . . (٢٣) .

ويشترط البرجاني لوصف الكلام بالبلاغة أن يجتمع فيه عنصـرانـ :

- آ) حـسـنـ الدـلـالـةـ وـتـامـهـ فـيـماـ كـانـتـ لـهـ الدـلـالـةـ ،ـ وـذـكـرـ بـاـنـ يـؤـتـىـ الـعـنـيـ منـ الـجـهـةـ التيـ هيـ اـسـعـ لـتـاذـيـتـهـ .
- بـ) تـبـرـجـ الدـلـالـةـ فـيـ صـورـةـ بـهـيـةـ ،ـ وـذـكـرـ بـاـنـ يـخـتـارـ لـلـمـعـنـىـ الـلـفـظـ الـذـيـ هوـ اـخـصـ بـهـ وـأـكـثـرـ عـنـهـ وـأـتـ لـهـ . . . (٢٤)

ويشير البرجاني الى أن المجاز والابيغاز من أركان الاعجاز كذلك . ويؤكد على دور النظم في الاعجاز ، ويرفض الرعم بأن الاعجاز في مذكرة العروض وفي سلامتها مما ينقل على اللسان . فيقول : «ذلك لأن أول شيء يؤدي إلى أن يكون القرآن مجزأ لا بما به كان قرآناً وكلام الله عن وجّل . لأنه على كل حال انتهاك قرآن وكلام الله عن وجّل بالنظم الذي هو عليه . ومعلوم أن ليس النظم من مذكرة العروض وسلامتها مما ينقل على اللسان في شيء . ثم انه اتفاق من العقلاه ان الوصف الذي به تناهى القرآن الى حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة وما رأينا عاقلا جمل القرآن فصيحا أو بلينا بـأن لا يكون في حروفه ما ينقل على اللسان » (٢٥) .

، . . . وتراءم على لسان واحد في أن المعاز والابيغاز من الأركان في أمر الاعجاز .

وإذا كان الأمر كذلك عند كافة الذين تكلموا في المزايا التي للقرآن فينبغي أن ينظر في أمر الذي يسلم نفسه الى الفسورة فيزعم أن الوصف الذي كان له القرآن مجزأ هو سلامة حروفه مما ينقل على اللسان ، أيصبح له القول بذلك الا من بعد أن يدعى الفلط على المقلاء قاطبة فيما قالوه ، والتعطا فيما أجمعوا عليه ؟ ٠٠٠ (٢٦) .

، وأعلم أنا لا نابي أن تكون مذكرة العروض وسلامتها مما ينقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد أمر الاعجاز ، وإنما الذي نكره وتغيل رأي من يذهب اليه أن يجعله مجزأ بــهــ وــيــعــلــهــ الأــصــلــ وــالــســدــةــ ٠٠٠ (٢٧) .

٥ - يناقش البرجاني في فصل خاص (٢٨) معنى التحدى بالاعجاز ، فيقول : « يقال لهم : إنكم تتلون قول الله تعالى (قل لئن اجتمع الناس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) * قوله عزوجل (قل فاتوا بــعــشــرــ ســوــرــ مــثــلــهــ) ** قوله (بــســوــرــةــ مــثــلــهــ) *** فــتــوــلــوــاــ إــلــاــ أــيــجــوــزــ أــنــ يــكــوــنــ تــعــالــيــ قــدــ أــمــرــ نــبــيــ صــلــيــ اللهــ عــلــيــ وــســلــمــ يــأــنــ يــتــحــدــىــ الــعــرــبــ إــلــىــ أــنــ يــعــرــضــ الــقــرــآنــ بــمــثــلــهــ مــنــ غــيرــ أــنــ يــكــوــنــ تــعــالــيــ قــدــ عــرــفــواــ الــوــصــفــ الــذــيــ إــذــ أــتــوــاــ بــكــلــامــ عــلــىــ ذــلــكــ الــوــصــفــ كــاـنــاـقــدــ أــتــوــاــ بــمــثــلــهــ ؟ــ وــلــاــ بــدــ مــنــ (ــ لــاــ)ــ لــأــنــمــ إــنــ أــتــوــاــ قــالــوــاــ يــجــوــزــ ،ــ أــبــطــلــوــاــ التــحــدــيــ مــنــ حــيــثــ إــنــ التــحــدــيــ كــاـمــاـ لــاــ يــغــفــيــ مــطــالــبــ يــأــنــ يــاتــوــاــ بــكــلــامــ عــلــىــ وــصــفــ ،ــ وــلــاــ تــصــحــ الــمــطــالــبــ بــالــاتــيــانــ بــهــعــلــيــ وــصــفــ مــنــ غــيرــ أــنــ يــكــوــنــ ذــلــكــ الــوــصــفــ مــعــلــوــمــ لــلــمــطــالــبــ وــيــبــطــلــ بــذــلــكــ دــهــوــيــ الــاعــجــازــ أــيــضاــ ٠٠٠ . . . »

ويخلص البرجاني من ذلك الى القول ان الوصف بالاعجاز « يتبين أن يكون وصفا قد تجلد بالقرآن وأمرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله » . ويقرر البرجاني في ضوء ذلك أن الوصف بالاعجاز لا يجوز أن يكون :

* الاسراء ٨٨.

** هود ١٣.

٢٨/يونس ***.

- ٠) في الكلم المفردة .
- ب) في تركيب العركات والسكنات .
- ج) في المقاطع والفوائل .
- د) بأن لا يكون في حروفه ما يُقلل على اللسان .

كما يرفض البرجاني القول بالصرف، فيقول : « ثم ان هذه الشناعات التي تقدم ذكرها تلزم أصحاب الصرف ايضاً » . ويعقب على كل ذلك قائلاً : « فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عدناه ، لم يبق إلا أن يكون الاستعارة . ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الاعجاز ، وأن يقصد إليها ، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الاعجاز في أي معلومة ، في مواضع من السور الطوال مخصوصة » . ويظهر هنا جلياً أن البرجاني يرفض القول بأن القرآن معجز فقط في بعض المواضع . ويتبع قائلاً : « وإذا امتنع ذلك فيها لم يبق إلا أن يكون في النظم والتاليف ، وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم » .

فإن قيل : قوله (الا النظم) يقتضي اخراج ما في القرآن من الاستعارة وضرورب المجاز من جملة ما هو به معجز ، وذلك لا مساغ له . قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونطائرها فيما هو به معجز ، وذلك لأن هذه المانوي التي هي الاستعارة والكتابية والتتمثيل وسائل ضرورب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث وبها يكون ، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيها حكم من أحكام النحو .

ثم يناقش البرجاني القول بأن الوصف بالاعجاز هو في غريب القرآن ، فيرفضه : « ... كيّف وأنت تقرأ السورة من السور الطوال ، فلا تجد فيها من الفريب شيئاً . وتأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن ، فترى الغريب منه الا في القليل ، إنما كان غريباً من أجل استعارة هي فيه ... ثم انلوا كان أكثر الفاظ القرآن غريباً لكان محلاً أن يدخل ذلك في الاعجاز وأن يصح التحدّي به » . ويظهر هنا أن البرجاني لا يرى أن القرآن معجز في بعض مواضعه فقط ، بل اعجازه في كل مواضعه .

ويمكن تلخيص رأي البرجاني في اعجاز القرآن بما يلي :

- ١ - ان الوصف الذي له كان القرآن معجزاً - وهو الفصاحة والبلاغة - قائم فيه أبداً . والطريق إلى العلم به موجود والوصول إليه معكنا .
- ٢ - لا بد من الرجوع إلى علم النحو والشعر العربي من أجل الكشف عن اعجاز القرآن .
- ٣ - لا ترتبط البلاغة بالكلمة المفردة دون اعتبارها في النظم . ويجب أن يتواافق في الكلام البليغ عنصران : حسن الدلالة وتبرجها في سورة بعينها . لهذا يظهر اعجاز القرآن في مزايا نظمها وخصائصها سياق لفظه .
- ٤ - ليس النظم شيئاً غير توخي معانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم ، كما أن الاستعارة وسائل ضرورب المجاز من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون . وهذا يعني

أنه لا يجوز فصل النحو عن البلاغة . لذا فإن دلائل الاعجاز تكون في معرفة الارتباطات النحوية بين الكلم من جهة ، ومن جهة ثانية في معرفة ارتباط معاني الكلام بالوقت أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلى الذي يدخل فيه . وانطلاقاً من رأي الإمام العرجاني في اعجاز القرآن ، ساهمت إلى البعث في مسألة ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية .

ثانياً - ترجمة القرآن :

نص القرآن الكريم صراحة على أنه (قرآن عربي) و (بلسان عربي مبين) . كتاب فصلت آياته قرأتنا عربياً لتقوم بعلمون / فصلت - ٣ / دانا أثرناه قرأتنا عربياً لكم تقللون » / يوسف - ٢ / « وانه تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المترددين ، بلسان عربي مبين » / الشعراء ، ١٩٢ - ١٩٥ / . » ٠٠٠ لسان الذي يلحدون اليه أجمعى وهذا لسان عربي مبين » / النحل - ١٠٣ / . وقد اتفق الفقهاء على أن (القرآن كلام الله ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتبع بتلاوته) (٢٩) . لذا فإن ترجمة القرآن إلى أي لغة غير العربية ليس قرأتنا ، سواء كانت الترجمة حرفيّة أم معنوية .

أفرد الأستاذ مناع القطان فصلاً خاصاً الموضوع (ترجمة القرآن) (٣٠) . وميز فيه نوعين من الترجمة :

- ١ - الترجمة العربية . وهي نقل الفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقاً للنظام .
- ٢ - الترجمة التفسيرية أو المعنوية . وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل .

وأشار الأستاذقطان إلى أن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى في ترتيب أجزاء الجملة . وخلص من ذلك إلى القول بأن ترجمة القرآن العربية - مما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبيها - تخرج القرآن عن أن يكون قرأتنا .

وتنقل الأستاذقطان ماذكره الشاطبي في المواقف وهو للقرآن معانٍ أصلية ومعانٍ ثانوية . والمراد بالمعانٍ الأصلية التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبيها معرفة اجمالية . والمراد بالمعانٍ الثانوية خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام ، وبها كان القرآن معجزاً .

وذكر الأستاذقطان أن ترجمة معانٍ القرآن الثانوية أمر غير ميسور ، لأن وجوه البلاغة القرآنية في اللفظ أو التركيب (لا ي gritty بعثتها في إدام معناها لغة أخرى ، لأن أي لغة لا تحمل تلك الخواص) . أما المعانٍ الأصلية فهي التي يمكن نقلها إلى لغة أخرى .

لم يميز الإمام الجرجاني بين معانٍ أصلية ومعانٍ ثانوية للقرآن الكريم ، بل جاء في « دلائل الاعجاز في علم المعانٍ » بنظريّة لغوية تطرقت إلى فلسفة اللغة وبيان ارتباطها بالتفكير ، وببحثت في نشأة اللغة ووظيفتها الأساسية كوسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض . وحدد الجرجاني في ضوء ذلك معنى الفصاحة والبلاغة وشرح مفهوم نظم الكلم ومعانٍ الكلام ، وبينَ ارتباط معانٍ النحو بالدلالات المقلية لمعانٍ الكلم وإن نظم الكلم هو توخي معانٍ النحو ، وأشار إلى أن الاستمارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم . ومكداً نرى أن العرجاني أكد على ضرورة الربط بين النحو والبلاغة .

أما التمييز بين معانٍ أصلية ومعانٍ ثانوية للقرآن فينطلق برأسٍ من الفصل بين النحو والبلاغة . ويؤدي ذلك إلى القول بأن التحويختص بصحة العبارة في ذاتها بمعرف النظر عن صلتها بالقراء والسامعين (وهو ما يعبرون عنه بالمعنى الأصلي) ، وبأن البلاغة تختص بعرض الأفكار والمعلومات عرضاً ملائماً للمخاطبين^(٣١) (وهو ما يعبرون عنه بالمعنى الثاني) .

أني أرى أن فصل البلاغة عن التحوي ينعكس سلبياً على فهم خصائص بنية العربية، وينعكس وبالتالي على فهم اعجاز القرآن لأنّ يؤدي إلى القول بأن القرآن مجرد فقط في بعض مواضعه . وكانت قد وجهت الدعوة^(٣٢) إلى إعادة توحيد معرف العربية ونحوها ومعانٍها في علم واحد ، وبينَ خصائص بنية العربية ويؤكد على الوظيفة الأساسية للفة كوسيلة للاتصال بين الناس ، وينطلق من نظرية الإمام الجرجاني اللغوية التي تستوجب دراسة الجملة من حيث بيتهما التحوية (الساكنة) ومن حيث بيتهما الاخبارية (الديناميكية) التي ترتبط بالسياق الكلامي الفعلي الذي تدخل فيه وبالوقت أو الحال الذي يقال الكلام فيه .

وأدري في ضوء ما عرضته أن التمييز بشكل عام بين نويعين من الترجمة (حرفية ومعنىّة) ضروري للتاكيد فقط أن الترجمة العجيدة يجب أن تكون معنوية دوماً . أما الترجمة العرفية فهي بالضرورة ترجمة سيئة لا توفي المعنى حقه وقد تشوهه ، لأنها تقوم على نقل الانتظام المفردة من لغة إلى أخرى مع التقيد الصارم برتبيها في اللسنة الأصل . وقد يرى بعضهم أن الترجمة العرفية هي المثلث، لأن طرق التفكير الانساني واحدة ويجب أن تتطابق المقولات اللغوية والمقولات المتنطقية في جميع اللغات . ولكن الأمر ليس كذلك ، فالرغم من أن قوانين المنطق تمكّن الخصائص العامة للتفكير الإنساني المشتركة بين جميع أفراد الجنس البشري ، أي أنه بالرغم من أن طرق التفكير الإنساني واحدة بالنسبة لجميع البشر ، فإن طرق التعبير اللغوي عن الأفكار الإنسانية يمكن أن تكون مختلفة لأنها تتعدد بالخصائص البنوية للفة التي يتم بها التعبير عن تلك الأفكار .

وعليه فإن ترجمة القرآن إلى غير العربية (سواء كانت حرفية أم معنوية) ليست قرأتنا بل هي ترجمة لمعانٍ القرآن . وتميّز الترجمة العرفية للقرآن فوق ذلك بأنها

ترجمة غير وافية بمعاني القرآن . ولذا اعترضت لدى مناقشة محاضرة الدكتور محمد نوري عشانوف التي القاما في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية بعنوان « مزايا ترجمة القرآن إلى الروسية للأكاديمي أغاثي كراتشكونفسكي » - على فقرة وردت فيها تعتبر أن من مزايا تلك الترجمة (تقييد كراتشكونفسكي بترتيب الكلمات في الجملة العربية حين يكون ذلك ممكنا لدى الترجمة إلى الروسية) . والسبب في الاعتراض أن وظيفة ترتيب الكلمات في الجملة تعدد بخصائص بنية اللغة . فاللغة العربية تتميز مثلا إلى جانب كونها لغة معربة ، بأن التعبير عن التعريف والتوكير يتم فيها صرفيًا (مورفولوجيًا) بإادة التعريف أو من دونها . أما اللغة الروسية فتتميز إلى جانب كونها لغة معربة ، بأن التعبير عن التعريف والتوكير لا يتم فيها صرفيًا بل يتم بوساطة التنفييم .

أفرد الدكتور محمود الربياوي فصلاً بعنوان (ترجمات القرآن وأثارها في اللغات الأوروبية) في كتابه « دراسات في اللغة والأدب والحضارة » (٢٣) . وتحدث فيه عن ثلاثة أنماط رئيسية للترجمات :

- ١ - نمط الترجمات الشرقية (أي إلى لغات الأمم الشرقية) ويدخل مثلاً هنا الفارسية والتركية والسريانية .
- ٢ - نمط الترجمات الأوروبية (أي إلى اللغات الأوروبية) كاللاتينية والألمانية والإنكليزية والفرنسية ...
- ٣ - نمط الترجمات الثانية (أي إلى اللغات الأقل شهرة) كالإسبانية والبرتغالية والروسية ...

ان مثل هذا التصنيف (إلى ترجمات أساسية وثانوية ، شرقية وغربية) لا يأخذ بعين الاعتبار بنية اللغة التي يترجم إليها ، لذا لا يعتبر تصنيفًا لغويًا لأنماط متعددة للترجمات .

ان الترجمة البعيدة يجب أن تكون ترجمة للمعنى تنطلق من فهم الخصائص البنوية للغة التي تتم الترجمة منها واللغة التي يترجم إليها ، وتأخذ بالاعتبار الموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه . ويحتاج التفصيل في هذا الموضوع إلى دراسة مستقلة .

* الإسبانية والروسية أكثر شهرة وواسع انتشاراً من الإنكليزية والفرنسية . أما اللاتينية فهي لغة ميتة (المجلة) .

العواشي

- ١٤ - دلائل الاعجاز / ص ٣٥ / ١٤
- ١٥ - مع البلاغة العربية في تاريخها / ص ١٩١ - ١٩٢ / ١٥
- ١٦ - دلائل الاعجاز / ص ١٦٧ / ١٦
- ١٧ - / ص ٥٣ - ٥٤ / ١٧
- ١٨ - من ٦٨ ، الفقرة ٧ / ١٨
- ١٩ - دلائل الاعجاز / ص ١٦٣ - ١٦٤ / ١٩
- ٢٠ - دلائل الاعجاز / ص ٦ - ٧ / ٢٠
- ٢١ - دلائل الاعجاز / ص ٥ - ٦ / ٢١
- ٢٢ - دلائل الاعجاز / المدخل - ف / ٢٢
- ٢٣ - دلائل الاعجاز / ص ٢٨ / ٢٣
- ٢٤ - انظر دلائل الاعجاز / ص ٣٠ - ٣١ / ٢٤
- ٢٥ - دلائل الاعجاز / ص ٣٣٨ - ٣٣٩ / ٢٥
- ٢٦ - دلائل الاعجاز / ص ٣٤٠ / ٢٦
- ٢٧ - دلائل الاعجاز / ص ٣٤١ / ٢٧
- ٢٨ - دلائل الاعجاز / ص ٢٥٨ - ٢٥٩ / ٢٨
- ٢٩ - مباحث في علوم القرآن / ص ٢١ / ٢٩
- ٣٠ - مباحث في علوم القرآن / ص ٣١٢ - ٣١٣ / ٣٠
- ٣١ - انظر الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني ،
- الخاتمة .
- ٣٢ - انظر مقالتي «ازدواجية اللغة العربية وكثيالية الفروع منها» المشورة في مجلة (المملة) بدمشق ، العدد التزوج ٢٢٢ - ٢٢٣ (آب - أيلول) ١٩٨٠ .
- ٣٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٠ .
- ١ - المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٦٣ على هامش «الاتقان في علوم القرآن » للسيوطى (فصل في أن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن) / ص ٨ / ١
- ٢ - (فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن) .
- ٣ - الطبعة الأولى - مطبعة الباجي العلبي بمصر ١٩٣٧ - / ص ٢٤٢ - ٢٤٣ / ٣
- ٤ - المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٧٣ ، الجزء الثاني (النوع الرابع والستون في اعجاز القرآن) .
- ٥ - ارجع الى معاشرتي بعنوان « الدور الابيجاري للمتكلمين والمتردلة في علم اللغة العربية » في المؤتمر العالمي ل بتاريخ الحضارة العربية الاسلامية / دمشق ٢٦-٢٠ نيسان ١٩٨١ / ٥
- ٦ - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٨١ / ٦
- ٧ - دار الماسون للتراث - دمشق ١٩٧٨ / ١٩٧٩ - / ٧
- القسم الأول / ص ١٢٢ / ٧
- ٨ - مع البلاغة العربية في تاريخها ، - القسم الأول - / ص ١٣٧ - ١٣٨ / ٨
- ٩ - مطبعة الجليل - دمشق - الطبعة الأولى ١٩٨٠ / ٩
- ١٠ - دلائل الاعجاز في علم المعاني ، للأمام عبد القاهر البرجاني - صحن أصله الإمام محمد عبد الشفيع التركي الشنقيطي - على حواشيه محمد رشيد رضا - الناشر مكتبة القاهرة ١٩٦١ / ص ٣٧١ / ١٠
- ١١ - دلائل الاعجاز / ص ٣٧ / ١١
- ١٢ - دلائل الاعجاز / ص ٣٣ / ١٢
- ١٣ - دلائل الاعجاز / ص ٣٤ / ١٣



مذاهب وآراء

حول نوؤاللغات

صلاح الدين الزعبلاوي

ذهب العلماء قديماً وحديثاً إلى أن اللغة قد نشأت في الأصل بعكارة أصوات الطبيعة . وقد بدت الصلة جلية لا ليس فيها بين اللفظ ومعناه في كثير من الكلم مؤذنة بسرها مبينة عن وجهها . وهو مذهب معروف سائر يشهد له توافر ما استغير في اللغة من الفاظ هذه الأصوات ، في طراة سنها وحداثة نشأتها . وأثبت علم اللغة الحديث تلقى اللغة من الأصوات المذكورة منذ كان الإنسان متصلاً بالطبيعة اتصالاً لا انفصاماً له ، تنبئ بأداته التعبيرية من أصواتها وتنبع منها جذور لغته من أحداثها ، مولاً في كل ذلك على رهف حسه وحدة سمه : يرعى الأذن فيتسقط العركات ويندكى الخاطر فيترصد السكتات . وهو في هذا شاهد لللب يقظ الفؤاد كلوء العين ، لا ينبله نوم أو تأخذه غفلة ، تحفظاً وحياطة . وقد اشتق العرب فعلاً أسماء المصوت حاكوا بها أسماء الطبيعة كالتعليق والغrier والصهيل والعسيس والأزير والمصرير والأنين والزثير والفحيج والطنين والهزيم والسواء والنباح والغوار والثفاء

وفي الجملة إذا صح أن يعرض لفردات اللغة ، على ما تقتضيه سنة الارتفاع ، ما ينأى بماتتها وصورتها عن أصولها الأولى فتبدل وتتغير وتؤخذ بالচقل والتهدب بالمواضعة والاصطلاح فتسمو بلغة الإنسان عما يتجوز بتسميته لغة الحيوان خلال مراحل متباينة متطاولة ، فإن في كل لغة كلما لا تزال ، على تدرجها وارتفاعها ، تعكس بظلها أسماء معانيها .

هذا وليست المحاكاة لأصوات الطبيعة في التعبير عند البشر محاكاً آلية . فقد

دل العلم أن للانسان من القدرة الفطرية ما يجعله يصوغ مقاطع لفته في مشاكلة للسموع ، وفي ابداع من الذات . وذهب المالم (نوام تشومسكي) المولود عام ١٩٢٩ أن الطفل لا تنمو مهارته اللغوية بمحض مواعيده لما يقع في سمعه حساً وجراً ، كما يتفق للبناء في حكاية ما يقرع أذنها ويمر بسمها ، وإنما يعتمد في ذلك على كفايته اللغوية الفطرية . اذ يولد الانسان ولديه من القدرة ما يتتيح له أن يتلقى اللغة ويؤلف بها مقاطع وكلمات وجملاً وتعابير يلتزم فيها أصولاً وضوابط تدخلها طاقته اللغوية المبدعة . وهكذا تتعدد في اللغة الواحدة الألفاظ الدالة على حكاية الصوت الواحد ، كما تختلف هذه العكاكية بين لغة وأخرى متقاربة حيناً متباينة حيناً آخر . فقد حاكت العربية صوت القطع في الطبيعة مثلاً فجاء فيها (قدَّ وقطَّ وبَتْ وحزَّ وجزَّ وجَدَ) كلها بمعنى القطع . وقد يكون بعضها مخصوصاً بنوع من القطع ، أو يكون قد آل إلى ما آل إليه بقلب أو ابدال . وحانت الفرنسية هذا الصوت فجاء فيها (كوبى Couper) بالباء الفارسية ، وحكت الانكليزية ذلك فجاء فيها (كت Cut) .

ودللت العربية على الهدم بـ (دك) ودللت الانكليزية بما يشبه هذا اللفظ (Dig) على العفن ، بكاف فارسية وداد مكسورة . وقد جاء أحمد فارس الشدياق بمثل هذه الأمثلة في (سر الليل) وقال : (ومنهم من توهم تمزيق الثوب يعكسي - هَتْ - فتوهمها الانكليز لصوت النطم أو الضرب فقالوا - هَتْ - Hit - ومنهم من توهم صوت القطع يعكسي - ترْ وطرْ - فتوهمه أولئك - أي الانكليز - لصوت القطع فقالوا - تير Tear - وتوهمه الفرنسي لصوت الجذب) . وأردف : (ومن مجانس هذا اللفظ التيار بتشديد الياء فتوهمته العرب للموج الذي ينضح . وتوهمه الفرنسي لفظ - تُرَان Torrent - للسائل بتشديد الراء ، وفي الانكليزية : تِرِنت Torrent) .

هذا وقد يعبر عن حكاية الصوت في العربية بمقاطع أو أكثر ثم يعتري اللفظ كما أشرنا إليه تغيير وتبديل . قال أحمد فارس الشدياق (فإنه قد ورد مثلاً بطَّ بمعنى شق ، وورد بَعْطَ بمعنى ذبح ، وورد أيضاً عَطَّ بمعنى شقَّ ، وعَطَّ بمعنى بَعْطَ ، فيحتمل أن يكون بَعْطَ مقلوباً من عَطَّ أو بالعكس . أو

أن الباء مزيدة على عطٌ أو العين على بطيٌ) ، وقال (وأكثر ما يكون القلب والابدال في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والغرق والهدم والشق والفرق والتبييد . كما أنها كلها من جنس واحد . وجلها مأخوذ من حكاية صوت ، نحو : قتٌ وقد وقضٌ وقطٌ وجَدْ وجيٌّ وجزٌ وأذٌ وهذا وقضٌ وحدٌ وجزٌ وحسٌ وفتٌ وقضٌ وبٌتٌ وبطيٌ وتبٌ وبطيٌ وبسٌ وبسٌ) .

- قال ابن جني في الخصائص (٤٤ / ١) حول أصل اللغات : (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوبي الربيع وحنين الرعد وخرين الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس وتزيب الطيبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل) .

- وقال في الخصائص (٥٤٤ / ١) حول (امساس الألفاظ أشباه المعاني) : (اعلم أن هذا موضع شريف لطيف . وقد نبه عليه الغليل وسيبوه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته . قال الغليل : كأنهم توهموا في صوت الجندي استطالة ومدًا فقالوا : صر ، وتوهموا في صوت البازى تقطيعاً فقالوا : صرصر . وقال سيبوه في المصادر التي جاءت على الفعلان : أنها تأتى للاضطراب والحركة نحو النقزان والفاليان والفتحيان ، فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال) .

وقال : (ووُجِدَتْ أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حذى به ومنهاج ما مشَّاهَ . وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعة تأتي للتكرير نحو الزعْزعة والقلقلة والصلصلة والقمعة والجرجة والقرقرة . ووُجِدَتْ أيضاً الفعلى في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو البشكى والجمزى والولقى . . . فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ، أعني باب القلقلة ، والمثال الذي توالى حركاته للأفعال التي توالى الحركات فيها .) .

- وقال : (ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فالواكستر وقطع وفتح وفتح وغلق . وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل . والمعنى أقوى من

الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لها ومتكونة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها
ومبذولان للمعارض دونها) ٠ ٠ ٠

وقال : (فاما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم
واسع ، ونهج متلثب^(١) عند عارفه ماموم . ذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات
العرف على سمت الأحداث المبر بها عندها ، فيعدلونها بها ويعتدونها عليها ،
وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره ٠ ٠ ٠ من ذلك قولهم خضير
وخصير . فالخصير الأكل للرطب كالبطيخ والثاء وما كان نحوهما من
المأكول الرطب . والخصير للصلب اليابس نحو قصمت الدابة شعرها ونحو ذلك ٠ ٠ ٠
فاختاروا الخام لرخاوتها للرطب ، والكاف لصعوبتها لليابس ، حذروا
لس惰 الأصوات على محسوس الأحداث ٠ ٠ ٠)

- وقال أيضاً : (ومن ذلك القدطولا ، والقط عرضأ . ذلك أن الطاء
أخفض للصوت وأسرع قطعاً له من الدال . فجعلوا الطاء للمناجزة لقطع
العرض لقربه وسرعته ، والدال الماطلة لما طال من الأثر ، وهو قطعه طولاً ٠ ٠ ٠)
- إلى أن قال : (فهذا ونحوه أمر اذا أنت أتيته من باه وأصلحت فكرك
لتناوله وتأمله اعطاك مقادته وأركبك ذروته وجلا عليك بجهاته ومعاسنه .
وان أنت تناكرته وقلت هذا أمر منتشر ومذهب صعب موغر ، حرمت نفسك
لذاته وسددت عليها باب الحظوة به) .

وقد أشار عباد بن سليمان الصيمرى الى قيام المناسبة الطبيعية بين اللفظ
ومعناه . قال صاحب المزهر (٢١ / ١) : (نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن
سليمان من المعزولة أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن
يضع ، والا لكان تخصيص الاسم المعين للمسمي المدين ترجيحاً من غير مرجع) .
وعقب السيوطي على مذهب عباد فقال : (وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا
يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب
عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم) . وكأن عباداً يرى ما قد رأه
أفلاطون من أن لكل لفظ معنى يتصل بطبيعته . فدلالة اللفظ دلالة ذاتية .

١ - من اثواب ادا استقام .

قال عباد (ولو لا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من الألفاظ بازاء معنى من المعاني ترجيحاً بلا مرجع ، وهو محال - ١١ / ١) . وقد أجب عن ذلك بيان اللفظ لو دل بالذات لفهم كل واحد كل اللغات لعدم اختلاف الدلالات الذاتية .

وهكذا جفا كثير من العلماء عن اعتقاد هذه المناسبة فرداً واعلى من استن بها بأنه لو صحت المناسبة بين المضمون والمعنى في اللغات عامة واقتضت بنية اللفظ معنى يعنيه لا تحدث معانى الألفاظ الواحدة في لغات شتى أو تقاربها . وبنوا على ذلك فقالوا انه لا صلة ثمة بين اللفظ ومعناه ، وإنما اللفظ رمز وأصطلاح . ومن ثم رأى أصحاب المذهب البنووي Structuralisme (٢) أنه ليس ثمة علاقة بين معنى الكلمة وصورتها الصوتية . واعتلو لذلك بتعدد اللغات في الأصل . فان معنى يعنيه إنما يعبر عنه بالفاظ ذات صور صوتية متباعدة . ولا يصدق هذا في تعاقب كلمات مختلفة على معنى في لغات متعددة وحسب ، بل في اتفاق كلمات متغيرة على معنى في لغة واحدة أيضاً (٣) .

أقول ان المناسبة بين اللفظ ومعناه إنما تتجلی خاصة في مرحلة من مراحل نشوء اللغة . فالمرحلة الصوتية مرحلة طبيعية لا بد لأي لغة أن تجذبها . وهي أظهر ما تكون في اللغات غير المرتقة أو في الدرجات الدنيا من المرتقة . وقد تقارب آثار هذه المرحلة في اللغات أو تبتعد . ولكن لا بد أن تتفق في كل لغة الفاظ هي أصوات لمعانيها على كل حال . ويعزى في الأصل تباعد هذه المقاطع في لغة عنها في لغة أخرى ولو حكت صوتاً يعنيه إلى أن محاكاة الأصوات كما من بنا لا تكون آلية . ذلك أن قدرة كل جماعة بشرية على صوغ مقاطع لفتها الخاصة بها إنما تتأثر بجارحة سمعها وجهاز نطقها . فهي تتوجه المسنوع على نمط حين تلتقاء ، وتعاكبه في تصرف حين تؤديه وتعبر عنه . فلا بد لكل جماعة من نظام صوتي ذي سمات خاصة للتلقي والأداء جميعاً . ومن ثم قال الشدياق : (ومنهم من توهם صوت القطع يعكّي ترّ وطرّ ، فتوهّمه أولئك ، أي الانكليل ، صوت القطع فقالوا tear ، وتوهّمه الفرنسيس لصوت العذب) . وليس

٢ - البنوية واللاعقلانية لأنطون شاهين (مجلة المعرفة) ، الدمشقية ١١٦ لعام ١٩٧١ .

٣ - أصوات على الدراسات اللغوية للدكتور نايف خارماً .

الشدياق أول من أشار إلى ذلك في العربية بقوله (توهם) . فقد حكى ابن جنبي عن الغليل أنه قال : (كأنهم توهموا في صوت الجندي استطالة ومدّاً فقالوا صرّ ، وتوهموا في صوت الباري تقليعاً فقلوا صرّ صرّ) .

ولا يخفى أن لجارة السمع في علم اللغة العديث جانبًا عضوياً وأخر نفسياً، وأن جهاز النطق يقضي بتعدد صور النطق بين أصحاب اللغة الواحدة وتمايزها بين أصحاب لغة وأخرى ، فتباطئ الأصوات وتتغاير حروف الهجاء بين لغة وأخرى . بل يختلف النطق بهما ولو اتحدت بين لفتيين أو أكثر ، كما يختلف بين لهجة وأخرى في لغة واحدة . ولا يخفى أن حروف الهجاء بأصواتها هي وحدات اللغات الحقيقة ، وأصواتها في العربية هي العركات نفسها .

فقد ذكر الرئيس ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث العروق / ١٤) أربع صور للنطق بالجيم ليست في لغة العرب . فمنها الصورة التي ينطق بها العرف عند الفرس في مثل قولهم (جارة) بمعنى البشر . وهي الجيم التي يعدها اطباق من حروف اللسان ، أي أطراوه ، أكثر وأشد ، وضفت عند القلع أقوى . وهناك ثلاثة صور للنطق بالجيم ليست في لغة العرب ولا الفرس ، وهي الجيم التي تضرب إلى شبه الزاي ، وشبه السين ، وشبه الصاد .

وفي كتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان أن من القبائل الأفريقية من لا أثر في لغتها للمقاطع الشفوية ، وأنه يستحيل على بعض هنود كولومبيا أن يتلفظوا بمثلها . وأنه ليس في لغة معظم أهالي أوستراليا مقاطع صفيرية ، وأن اللغة المصرية القديمة قد خلت من مقاطع الباء والجيم والدال والزاي .

وتعترض الألفاظ صنوف من التغير في ارتقائها ودرجها وانتقالها من الطور الصوتي إلى المفظي خاصة . وكلما ارتفعت اللغة كان التغير أوسع وأشمل . قال الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه : سلسلة لدرس لغة العرب : (ذلك أن اللغات المرتقة في وضعها العالي أصبحت على بعد يقرب من الغلاف بالنسبة إلى أوليتها اللغوية) . وليس شيء بعد أفعل في تغيير هيئة اللفظ العربي من الاتباع حتى أضحي طابعاً لغويًا ظهر أثره في الأصول والزوائد والكلمات

والأدوات والاشتقاق ، والاتباع اتباع البديل والقلب والحركة والاعراب
والادغام والمزاوجة ..

فإذا ثبت وقوع الاختلاف في حداثة نشوء اللغات واستمر واتسع بعد ذلك
بارتقائها ، فليس يصح أن نقول ان لغات العالم قد تشعبت عن مصدر واحد ،
على صحة نشوئها بمحاكاة أصوات الطبيعية . ولا جرم أن اللغات قد خضعت
لشروط مكانية واجتماعية ذاتية ، وانقادت لخبرات انسانية تتغير بتغير
الأقوام ، ومضت في مسارات مختلفة ..

وهكذا لا يمنع تمايز المعاني المختلفة على لفظ واحد ، في لغة أو لغات
شتي ، أو تراوح الألفاظ المختلفة على معنى ، في لغة أو لغات متعددة ، من انقياد
اللغات للصورة الصوتية في مرحلة من مراحل نشوئها ، واستبقاءها جذور هذه
المرحلة سمات بينة وamarat جلية . فليست اللغة اصطلاحية وحسب ، وليس
هي طبيعية وحسب ، وإنما هي طبيعية اصطلاحية معاً .

هذا والخلاف بين العلماء قديم في هذا . فقد ذهب أفلاطون مثلا إلى أن
اللغة ظاهرة طبيعية وأن لألفاظها معاني لازمة لها متصلة بطبيعتها . فالكلمة
تجلو بلفظها المعبر أو طبيعة اشتقاها الواقع الذي تعبّر عنه . وذهب أرسطو
إلى خلاف ذلك حين رأى اللغة ظاهرة اجتماعية وأن لألفاظها معاني اصطلاحية
ناجمة عن اتفاق أو تراض . وهذا ما أخذ به اللغوи الفرنسي كوندياك في
القرن الثامن عشر واشتهر به اللغوи السويسري الكبير (سوسور) في القرن
العشرين ، يقول كوندياك (إن الإشارات اللغوية اصطلاحية واللغة انتقيناها
نحو البشر ، ولا علاقة لها بأفكارنا الاعلى نحو اعتباطي) ، ويقول (إن اللغة
هي أوضح مثال للعلاقات التي تكونها بصورة ارادية)^(٤) .

ويقول (سوسور) رائد البحث اللغوی الحديث في النصف الأول من
قرننا هذا : (إن العلاقة بين الموز والمعاني ، على الرغم من أنها عشوائية ،
 فهي اصطلاحية اتفاقية ثابتة بالنسبة إلى اللغة الواحدة والمجتمع
الواحد)^(٥) .

٤ - علم اللغة لجورج موين ، ترجمة الدكتور بدبد الدين لاسم .

٥ - أصوات على الدراسات اللغوية للدكتور نايف خرما .

ولم يفت أئمة اللغة في العربية أن يتأملوا هذا الموضع ويعملوا فيه النظر ، نكفهم انتحوا في شوء اللغة نحو آخر . فمنهم من استمسك بظاهر النص في قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها - ٣١ / ٢) فقال بالذهب (التوقيفي) . ومن أعلام هذا الذهب (ابن فارس) ، وقد أخذ به الأشاعرة . ومنهم من عمد إلى التأويل فلم ير في النص ما يوجب الأخذ بالذهب (التوقيفي) كابن جني ، إذ قال في كتابه الخصائص (٢٩ / ١) : (ان أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف) ، وقال (ذلك أنه قد يجوز أن يكون تاویله : أقدر آدم على أن واسع عليها) ، وأردف (فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به) .

وإذا كان ابن جني قد أجاز الأخذ بذهب الاصطلاح والمواضعة ، فإنه لم يمنع من اعتقاد (التوقيف) فقال : (اني تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة فوجدت فيها من العدمة والدقّة والارهاف والرقّة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أسماء غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحّهم الله ، ومنه ما حذوه على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وأمامده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما أسعدها به ، وفرق لهم عنه . وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحي) . وقد عاد فلم يستبعد (أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وإن بعد مداره عنا ، من كان ألطى أذهانا وأسرع خواطر وأجر أجئانا) فتولوا ذلك بأنفسهم . وقد أنهاى كلامه في هذا فقال (وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهاتين ويكتفها عن صاحبتها قلنا به ، وباهة التوفيق) .

وطبيعي أن يأخذ أعلام المترفة بالذهب الاصطلاحي . وقد تبعهم فيه كثيرون كابن سنان الغفارجي فقد جاء في كتابه (سر الفصاحة) : (والصحيح أن أصل اللغات مواضعة وليس بتوقيف) .

وجاء فيه (وقد حمل أهل العلم قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها ، على مواضعة تقدمت بين آدم عليه السلام وبين الملائكة على لغة سالفة) .

وذهب الفزالي في (المnxول) كما جاء في المزهر (١٥/١) الى احتمال صحة المذهبين (التوقيف والاصطلاح) فقال : (قوله تعالى وعلّم آدم الأسماء كلها، ظاهر في كونه توقيفيًا، وليس بقاطع ويحتمل كونها مصطلحًا عليها من خلق الله تعالى قبل آدم) .

ولسنا في سبيل أن نمضي في عرض الخلاف في أن اللغة نشأت بوجي وتوقيف أو قدرة فطرية في النطق أو مواضعة واتفاق إلا بمقدار ما يتصل البحث بمذهب علمي وضعي . ذلك أن علم الكلام أجدر بمثل هذا الخلاف وألصق به من حيث جوهره و موضوعه .

ومهما يكن من شيء فإن مذهب الاصطلاح الذي جنح إليه ابن جني لم ينبع نحو مذهب (كوندياك) فيرى العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة (اعتباطية) ولا نحو مذهب (سوسر) حين تصور العلاقة بينهما (عشوائية) .
إذ نبه على ما بين اللفظ ومعناه في كثير من كلم العربية من مجانية ومن مناسبة طبيعية يجعل اللفظ دليلاً على المعنى . لكنه لم يعتسب علاقة ما بين اللفظ والمعنى مفروضة بحيث يقتضي معنى ما لفظاً يعينه كما انتعاه الصيمرى ، أو تستلزم صورة اللفظ صورة المعنى بالطبيعة والضرورة كما ذهب إليه الأرسوزي .
فكلمة (نب) مثلاً المؤلفة من حرف (نون) و (باء) تعبر بحسب مخرج كل من حرفيها عن الصميم (النون) وعن الظهور (الباء) . وبجملتها تفيد الانتقال من الداخل إلى الخارج فالظهور والتعالي . وعند التحليل تُظهر كافة الكلمات المناسبة إلى أسرة هذا الحدس اتجاهاته الأساسية . فـ (نب) الماء تسيل ، ونبض الماء : سال أو غار ، ونبع اليابس ونبط الماء : نبع ونبغ . على حد قول الأرسوزي .

هذا الأرسوزي في كتبه (العبرية العربية في لسانها) و (رسالة في اللغة) و (اللسان العربي) حذو من تقدمه فذكر أن نشوء العربية قد تم بادئه بدء بمحاكاة الأصوات الطبيعية ، وهو مذهب سائر مأمور بسط القول فيه .
وأضاف (أن الكلمات العربية لا تزال ذات جذور في الأصوات الطبيعية) . وقد فصل الكلام عن هذا أيضاً . والذي أراده الأرسوزي أن العربية قد ابنت جذورها

الصوتية بمحاكاة هذه الأصوات ، ثم اعتمدت هذه الجذور فأثبتتها في بناء مقاطع وألفاظاً جانست ما دلت عليه من المعاني . ثم تكامل بيان اللغة باشتقاء الكلم بعضها من بعض فتفرع على كل أصل مفردات اشتراكت في حمل معناه والانطواء على جذوره ، ولو غيرت صيغها صيغته . ومن ثم تميزت العربية باستثنات كلماتها هذه الجذور وتفردت بتواحد ألفاظها تواليداً وفر على الفرع ملامح الأصل فبدا بها الثبوت والخلود فيما لا يوجب سن الارتفاع تبديله وتغيره . وليس ذلك يدعى إلا في الأئمة في الاشتقاء ، وأفسحوا عن مضمونه . فإذا تغيرت معالم الكلم الفرنسية مثلاً بتقادم المعهود وخفيت معانيها بانسلاخ القرون فجهل أبناءها لأدب الأجداد ما لم يكونوا قد توفروا على تراهم واستنبتوا أصوله لاتينية ويونانية وأوسعوها علمًا وخبرًا ، فإن الفاظ العربية مهما تقلبت صورها وترجت دلالتها واختلفت باختلاف مراحل ارتفاعها وشروط تكاملها فان معالها باقية مستمرة توحى بأرومدة أصولها وتنبيء بطريق اشتقاءها ، فيسهل على الأبناء تبيان أدب الأجداد ، على بعد الشقة وانطواء المراحل . وتخفي في الفاظ اللغات اللاتينية ملامعها لتنوع أصولها المشتركة واختلاف هذه الأصول في تصارييفها بافتقاد كثير من أحرف الجذر أو زوالها ، بل تلسون أصواتها فتغيب اللحمة بين مفردات المادة أو تبدو صورتها شائهة باهتة .

هذا وإنما يصح ما قلناه ويصدق في الأطوار الأخيرة من مراحل نشوء العربية بعد أن استحكم هيكل بنيتها وأصبح الثلاثي وحدة الكلمة، فجرت عليه صنوف من الاشتقاء والتصريف والتقليل دارت حول جامع معنوي ، فاغتنت بذلك المادة اللغوية ، ثم اكتمل نموها بتولد الرباعي من الثلاثي وهكذا ، فأضحت ذات فقه خاص واضح واشتقاء ثابت مطرد ، وقد عمل الاتباع في تشذيب اللفظ وتهذيبه . أما النحت فلم يكن له أثر يذكر في ذلك جميعاً ، وإنما كان له مجال فسيح في لغات الغرب إذ غدا سمتها وطابعها وقانونها المطرد فأثرت به مادتها وتنامت ولو غير ملامح صورتها حين ضممتها أصولاً متباينة . فأنت تقىول في الفرنسية *Etymologie* تعنى العلم الذي يرد الكلم إلى أصولها الحقيقة . فلا تجدها تشقق من أصل واحد اشتقاء الفرع من الجذع كما هو

حال اللغة العربية بل اللغات السامية ، وإنما تشقق من أصلين يونانيين مما : Logos ومعناه الملم و Etymos ومعناه الأصل أو الحقيقة . وذكر الدكتور داود حلمي السيد في كتابه (المعجم الانكليزي / ١٢٦) أن مفردات اللغة الانكليزية قد صنفت في معجم أوكسفورد على أنها كلمات أساسية وثانوية ومجمعة . فالأساسية اما أحادية البنية وهي التي تتالف من مقطع واحد هو جذرها او مقطع ولو اقصى . واما متعددة البنية وهي التي تتالف من أجزاء او جذور عدّة . وأريد بالكلمات الثانوية ما تغير هجاؤه عن الشائع المروف او شدت بنيته وندت . اما الكلمات المجمعة فهي الكلمات المؤلبة من تجمع كلمات متعددة احتفظ كل منها بهجائه .

هذا ويرى الأرسوزي أن اللفظ في العربية إنما يدل على معناه ويوحّي به ايماء فيرد إلى صورة صوتية مقتبسة من الطبيعة : طبيعة خارجية تمثل بأصدائها ، وأخرى إنسانية تتجلّى بمشاعرها .

أقول اذا صع أن يدل اللفظ على معناه حتى تراه لا يشف الا عنه ولا يلهم الا به فانه لا يزال على شيء من ظلاله منذ طراءة نشوء العربية ، وفي مرحلتها الصوتية ، هذه المرحلة التي انطوت على مقاطع كانت أصداً لدلائلها . أما بعد ارتقاء العربية وانتقالها الى المرحلة اللفظية واستحکام بنيتها وانتهائها الى مستقرها في الأصل الثلاثي ثم اغتنائها بالاشتقاق والتصريف والتقليل ثم اتساق الفاظها بالاتباع ، فلا شك أن المعانة في الكلم بين اللفظ ومعناه لم تبق على سابق عهدها من الوضوح والجلاء . فإذا اتفق لها أن تكون قد استمرت فأبتد سرها حينا ، فقد عرض لها مما غشياها من التغيير ما ألل بها الى أن تعبو وتتواري أحيانا . ولا يخفى أن التغيير لا يقع على اللفظ مادته وصورته وحسب ، وإنما يلابس معناه أيضا . فالمعنى لا يجحد في اللفظ بل يتدرج بالمجاز والنقل حتى تضعف نسبته الى أرومته في أحوال كثيرة . وقد ينتهي الى دلالة تشعب عن الأصل فتشيع وتشتهر وتنسى دلالة الأصل فتهمل وتمات .

والأرسوزي لا يرى اللغة الهايما كما ذهب اليه بعض السلف حين تصوروا الأسماء دالة على مسمياتها منذ الخليقة ، بل يرى في عزوها الى الالهام شيئاً للتفكير

عن ارتياح البحث ومتلازمة الكشف عن سر المسألة وجوهرها . وينذكر هذا بما حكاه المزهري (١٣/١) عن المترتبة واعتقادهم أن اللغات لا تدل على مدلولاتها كالدلالة العقلية . ولهذا المعنى يجوز اختلافها . ولو ثبتت توقيفاً من جهة الله تعالى لكان ينبغي أن يخلق الله العلم بالصيغة ثم يخلق العلم بالمدلول ثم يخلق لنا العلم يجعل الصيغة دليلاً على ذلك المدلول . ولو خلق لنا العلم بصفاته لجاز أن يخلق لنا العلم بذاته . ولو خلق لنا العلم بذاته بطل التكليف وبطلت المحتنة .

على أن الأرسوزي لا يرى اللغة اتفاقاً أو توافقاً ما احتاج التواطؤ إلى عقل وافتقر إلى تدبر ، بل يأبى المواجهة ولو جرت بالفطرة وكانت الحاجة إليها في التعبير والاتصال كالحاجة إلى التنفس كما يقول ابن سنان .

تصور الأرسوزي العربي يحاكيون أصوات الطبيعة فيتخذونها أصلاً لمقاطع لغتهم ، ثم يطبعون على غرارها في تصرف ، ويضربون على قالبها في أداء كلمات تعبّر عن إنسانيتهم . وهكذا يخلصن أداؤهم – بمساومة – بين صيغ مسموحة تلقوها وأخرى فطرية ابتنوها . والوجودان القومي قد اهتم بـ (العدس) إلى اختيار الصيغة الحية للأداء (الصيغة الحية التي يعبر بها عن معنى وجوده وتعلمهات أبنائه إلى الحياة الحرة المبدعة) . ومن ثم انطوت العربية على مضامون إنساني كان حصيلة التجربة الأخلاقية والإبداع الفني في وجود الأمة . فاللسان منظومة صوتية تعبر عن وجهة الأمة التي أنشأته ودللت عليه . ولعل أهم ما تميز به مذهب الأرسوزي :

١ - أنه ينحو نحو المتصوفة والمثالية فيعمل في الاهتداء إلى صيغة الأداء على (العدس) ، والعدس أول مراتب الكشف ويقابله الفكر . فصورة الكلمة تدل على صورة المعنى بمنهاج . وقد ذهب أفلاطون إلى نحو من هذا حين قدر أن للألفاظ معاني لازمة لها متصلة بطبعتها . فالكلمة تجلو بلطفها المعبّر أو طبيعة اشتقاها الواقع الذي تعبّر عنه .

ولكن ما لنا وللمتصوفة ، أفاليس في علم اللغة الحديث موضع مثل هذا العدس ومنزلة يعول بها عليه ؟ أقول يحسن النظر إلى العدس من وجهين : أولهما أنه يعتمد طريقة من طرق الاستدلال في البحث اللغوي . فإذا كان علماء

الطبعية قد أغفلوا هذا وأنكروه في مباحثهم فان علماء اللغة المحدثين لم ينعوا فيه نعوم أو يقتاسوا بنهجهم . بل رأوا أن اللغة متفردة بخصائصها متميزة بطرائقها عن أي (ظاهرة طبيعية) أخرى ، بعثت ينفي للنهج العلمي أن يعدل ببحثها الى ما يلائم طبيعتها ويجانس سمتها . على أنه لابد الى ذلك من اعتماد الوسائل المعاونة كالاستقراء والاستنباط .

والثاني : أن يقصد بالعدس اللغوی ما أشار اليه العالم الأمريكي (نوام تشومسکی) من امتلاک الانسان من البصیرة أو القدرة الفطریة ما يتبع له أن يتلقى اللغة ويضرب على قوالب ما يسمع منها ويكتشف بعدها عن أصولها وقواعدها ، ويلتزم في صوغ الكلم ضوابطها ونظمها ، وفي ابتكار الجمل ما يحکم به أدائه ويحسن تعبيره . فالعدس على حد تعبير الأرسوزي ونسق أدائه هو الذي يعدد انتباھ الفرد ويوجه اختياره . فإذا تقدّمت الصورة الحسية هذا العدس حصل من تجاویهما ما تتفتح به الصورة فتتحول الى مشتقات صوتية ، هي الكلمات المنطقية على الخيال المرئي . وهكذا يتحقّق - الفنان - بناة نفسه ، أي ما يُبدعه من الصور الفنية ، بالساوامة بين طبيعة احساسه وحقيقة حده .

والذی عندي أنه اذا صر ابتناء مقاطع الكلم في حداثة شوء اللغة بمحاکاة الطبيعية اعتماداً على العدس والتدرج بهذه المقاطع في المرحلة الصوتية ، فليس يصح أن يستمر ذلك ويطرد بعد نضج الانسان وتحضره مالم يضمّ الى هذا العدس في ابتناء اللغة تدبر وتواطؤ يفعل حاجة الانسان عند رقيه الى التعبير عن مقتضيات أحواله ، وجنوحه الى تعديل أدائه وتنقيعه حتى تأخذ لغته سبيل الاستقرار دون اتكال منه على مصادفة للطبيعة او ملابسة للظرف . وليس يمنع هذا أن يتم الأمر عفو الطبيعية ، بل ليس يشترط أن يبدأ الاهتداء الى وضع من الارتفاعات اللغوی بموضعه الجماعي فقد يصدر ذلك عن فرد متميز ثم يشيع عند الجماعة باقراره فيصبح متعالاً . فقد أشار المختصون في حفائر (رأس شمرا) مثلاً أن صاحب لوح من الألواح المکشوفة ، وهو كاتب فنيقي ، قد اصطنع حروفًا أثبتتها على لوحة فكانت مرحلة بين المسماوية والفنية الراقية ، واعتذرت محاولة للاهتداء الى هذه الحروف ، كما أشار اليه الشيخ العلایلی . ولم يشترط الامام الرضي في اهتداء

الفرد الى وضع لغوي يُعتد به الا أن يقصد مشايعة الجماعة له وتواطؤهم على ما انتهى اليه . فقد جاء في شرح الكافية (٢/١) : (المقصود من قولهم وضع اللفظ جعله أولاً لمعنى مع قصد أن يصير متواطأً عليه بين قوم . ولا يقال لكل لفظة بدرت من شخص لمعنى أنها موضعية له دون قصد التواطؤ بها) .

٢ - أنه يأبى الترادف والمشترك فما دامت صورة لفظ بنفسه تقتضي صورة معنى بعينه ، كما استوجب معنى معين عند الصimirي لفظاً بنفسه بالضرورة فقد لزم من ذلك بطلان الترادف والمشترك وانتفاء اللهجات جميعاً ، وفي ذلك نظر . فإذا كان الترادف هو دلالة اللفظ على معنى دل عليه لفظه آخر فأكثر ، وأخرجنا منه ما اتفقت دلالاته في معانٍ مجازية أو كنائية ، وما اختلفت القبائل في صورة النطق به (في مد أو إماملة أو تخفييف همة ٠٠) أو اختلفت في بعض حروفه كالصراط والسراط والزراط والصقر والسقر ، وقد تعلل صور كثيرة من ذلك بتغير هيئة اللفظ بارتفاعه وأخذها بالتهذيب في مراحل مقدرة قبل استوانتها على حالها الراقية ، كما شهدت الأسواق الموسمية بقایا مثل هذا التنقيح اللغوی ، قبل خروج العرب من جزيرتهم وتفرقهم في الأرجاء . أقول اذا استثنينا الى ذلك ما أسموه الاتباع بالابدا والقلب ، وما تقارب معانيه أصلاً ثم تطابقت في الاستعمال وقد أسموه المتوارد ، بل أغفلنا ما اتحدت معانيه من الألفاظ فكان بعضه اسماً وبعضه وصفاً كالسيف والصارم ، وقد أسموه المتکافی . ثم أسلقنا ما دخل العربية مما عرّب وأصله أعمجي . أقول اذا أخرجنا كل ذلك فقد ثبت ما لا مناص من قبوله واقراره ، وهو ما اختلف اسمه في قبيلة عما هو في قبيلة أخرى كما حكاه الجاحظ في البيان والتبيين ، بل ما ثبت ترادفه في لغة القبيلة الواحدة ، وطبعية اللغة لا تمنع منه . هذا ويصبح أن يتافق الترادف في حداثة نشوء اللغة ، ولا بد أن يتجلّى ويتزايد بارتفاعها . يقول الإمام ابن الجوزي في كتابه (المدهش) (وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهون اعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك يسمى الاتباع فيقولون أسوان أتون ، وشيء تافه نافه وعفرىت نفريت) ويعقب الشيخ العلايلي على ذلك في مقدمته فيقول (فان تعبيه بقوله يكرهون اعادة اللفظ فيغيرون يفيد ان التغيير جاري على اصول ثابتة وليس

متروكاً للمفو ، بل يعن أنه جاري في حروف الابدال أو المعاقبة أي العروض التي تتناوب وتفيد عين الفائدة / ٢٢٠) .

ويمضي الشيخ في تأصيل الترداد في العربية فيدفع أن يكون علامه قلق ، ويقول (والحقيقة فيه – أي في الترداد – أنه عنوان ٠٠ على مرونة اللغة من وجه آخر وأنه أصبح صفة ظاهرة من العربية إلى حد التفرد ٠٠ بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً إذا لم تكن له فسحة من الألفاظ الشتى التي تتلاقى على معنى واحد ٢٢٧ / ٠٠) .

وهكذا الاشتراك ، وهو أن يدل اللفظ على معنيين مختلفين أو أكثر . فإذا صح عند الأئمة أن الاشتراك قد جاء خلافاً للأصل لأن اللغة قد قالت للابانة والافصاح لا للتعمية والابهام ، كما يقول ابن درستويه في (ابطال الأضداد) ، فإنه من الثابت جريانه في اللغة ولو قل . وقد جاء المشترك في لغة التنزيل فعلاً . وحكي عن أبي علي الناري قوله (كما جاء في المخصص – ٢٥٩ / ١٣) :

(اتفاق اللفظين واختلاف المعنين ينبغي ألا يكونا قصدآ في الوضع ولا أصلاً) . لكن اللغة تتسع له على كل حال في مراحل نموها المتقدمة . فقد تصور العلاليي في غير مجازفة أن لفظاً بعينه قد يقع فيه الاشتراك اذا ردّ في نشأته الى أصلين مختلفين فعمل من كلّ معنى يغاير الآخر . ومثل ذلك بـ (شح) فإنه يرجع الى أصلين . فإذا أنت رددته الى (شيج) كان بمعنى بغل ، او نسبته الى (شعى) كان معناه واسع . ومذهب العلاليي أن كل مضاudem كـ (شح) مثلاً قد جاوز دوراً صوتياً تحلل منه . فلا بد اذن أن يعود في نشأته الى ثلاثي معلم تقدمه ، وهو الذي يكشف معناه . وسنرى ايضاً مذهبة هذا في موضع آخر .

هذا ولا يرى الأرسوزي أن العربية الفصحى هي اللغة السائدة بتغلب لغة قريش على اللهجات الأخرى ، كما طفت الفرنسيبة الباريزية مثلاً على لهجات المقاطعات الفرنسية^(٦) . بل ينفي أن تكون للعربية لغات أو يصبح لها نسب الى

٦ – حدث مثل ذلك بسيطرة لهجة لندن بإنجلترا ، ومدريد ، وسكنونيا بالمانيا ، وتوسكانيا بإيطاليا .

اللغات السامية الأخرى بعثت تعزى جمیعاً إلى فصیلة من اللغات أو لغة بائدة كانت أصلاً أو أما لسائرها ، كما عزیت الفرنسيّة والاسبانيّة والإيطاليّة والبرتغالية إلى اللاتينيّة . وهكذا يرى العربيّة فريدة في نشوئها وبنائها حتى لا يكاد ينظم هذا النشوء والبنيان ضابطاً مما ينظم سواها من اللغات الأخرى . ويذکر هذا بما ذهب إليه الدكتور عثمان أمین في رسالته (الجوانية) حين رأى العربيّة (مثالیة أصلیة) لأنّ لغة القرآن ت نحو نحواً من المثالیة لا نظير له في أي لغة من اللغات المعروفة . وقد فصل القول في هذا في كتابه (فلسفة اللغة العربيّة) .

والثابت أنّ لغة قریش قد سادت ما أسموه باللهجات الشماليّة فكانت اللسان المبين الذي نزل به القرآن . بل كان القرآن حين اعتمد لغة قریش سبباً إلى الأخذ بالوضع اللغوي الأرقى فمهماً السبيل للانتهاء باللغة إلى مستقرها الكامل . وقد اعتمد القرآن آية البيان العربيّ فكان موضع الاقتداء ومحل الاتّمام ، فجرروا على منهاجه واستنادوا بسته واقتاسوا به ، أما ما دعواه باللهجات أو اللغات فراجع في الأصل إلى اختلاف القبائل في صورة النطق وطريقة الأداء وتميّزها بنماح من التعبير . ويعزى ذلك إلى عوامل النشأة لا إلى اختلاف سبيل الارتقاء اللغوي أو انفراد كل لغة بوضع لغوي تتفعل به على حدة ، وقد تلّيت أي الذكر الحكيم على وجوه تجلّت بها هذه اللهجات . وجاء في كتاب مناهل المرفان للشيخ عبد العظيم الررقاني : أن الوجوه السبعة في المذهب المختار ، وهو مذهب الإمام أبي الفضل الرازى هي (اختلاف في الأسماء من افراد وثنية وجمع .. واختلاف في تصریف الأفعال .. واختلاف في اللغات أي اللهجات ..) .

فصح بذلك أن لا وجه للارتياب في ثبوت المترادف والمشترك والتردد في صحة القطع باللهجات بعد أن تناصرت الأدلة عليه ، وأصبح البحث فيه على بينة ، والعلم على يقين .

٣ - أنه يرى العربيّة معجماً لما اختطته لعصرية قومها من كريم المأثر والشمائل ، وما اتخذته لأداء رسالتهم وتحقيق (ذاتهم) من رفيع الغایات

وشرift المطالب ، أو ما أسموه بالمثل الغلقية والقيم الروحية ودعوه بتعلمات الأمة وطموحها . . . وهو ليس بعيداً عما قيل من أن العربية لسان صدق يفصح عن طباع القوم وما تجري به سجايدهم ، ويترجم عما سمعت إليه آمالهم وسمت إليه رؤاهم . يقول الشيخ العلايلي في مقدمته (إن ما اشتهر من أن اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم جعلها شيئاً دون الغرض . . . وهو ملخص حق وصحيح حينما نتجه بنظرنا إلى اللغة في دورها النشوئي . . . أما بمد فمجموعه من الأفكار والتقاليد والعواطف والأحساس والتزوات وشئى المشاعر من الاعتبارات التي تنتظمها الألفاظ انتظاماً أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة) ١٥/٠٠ . بل ذهب وراء ذلك فقال : (ونحن مهما حاولنا أن نغض النظر عن نبل العربية فإنها ناطقة بذلك . ومن ثم كان من الخطأ أن نفسر اللغة بتاريخ العرب ، وإنما نكون أكثر قصداً إذا فسّرنا تاريخ العرب باللغة) ٢٢٩ .

وقد توفر علم اللغة الحديث على البحث فيما وعنه لغة كل قوم من خطوط ترااثه وانفلوت عليه من معالم حضارته واستثارت به في مسطور لوحها من مبادئه خلقه وسمات فكره ورسوم تعامله . وأصبح لا بد في البحث عن دلالة الألفاظ من استشفاف ما توحى به من مقاصد ثوت في روح الأمة ، واذكاء العين على (مفاهيم) قد كمنت في ثقافتها بل اصطفقت في ضميرها وازدحمت في وجوداتها فارتقت إلى معاير خلقها ، وهي مختلفة اختلاف لغات الأقوام متباينة تميز ألسنتهم بل جعل الباحث الفرنسي Jeanine Fribourg في المدد الثاني من مجلة La linguistique لعام ٩٧٨ معالجة هذا التصد ، موضوع علم خاص أسماه L'Ethnolinguistique .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن العاج صالح في مجلة اللسانيات لمهد الملموس اللسانية في الجزائر (العام ١٩٧٤ / ٧٣) : (المفاهيم التي تحدد كياناتها بالألفاظ في لسان ماليست مطابقة بالضرورة للمفاهيم التي تحددها لغة أخرى . وأفحش غلط ارتكبه أرسطو هو ما صرخ به من أن الألفاظ هي وحدتها تختلف من لسان إلى آخر . أما المعاني فواحدة عند جميع الناس ، وهذا غير صحيح) .

ويقول الدكتور نايف خرما في كتابه (أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة) : (وارتباط المفردات بمجتمع معين بهذا الشكل يجعل تلك المفردات أشياء شديدة الالتصاق بتلك اللغة ، تحمل عادات ذلك المجتمع ومشاعره وأنماط سلوكه وأخلاقه ومثله) .

وإذا كان الأرسوزي قد رأى في العربية ما يدل على رفة شأن قومها ويوجي بسم رسالتهم فذلك أنها لسان قوم قال التنزيل في وصفهم (كنم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ١١٠ / ٣) . وإذا كان قد كلف بها فايقظ لها رأيه وأشهر بها قلبه يتبعن قوة فطرة العربي في خصوص نشأة لغته وأصالة اشتراقها وتلاحم نسجها ويتعرف سموقها اللغوي بما أخذت به من الصقل وبلغتها من الدقة في ملابسة ألفاظها لمانيناها حتى تمخضت عن لغة القرآن ، فلا بدع في ذلك ولا جرم ، على لا يعدل بنا عن القول بما يمكن أن تقاد له في نشوئها وارتقاءها وتكاملها مما تأتمر به وتمثله سواها من اللغات في خضوعها لقوانين (التطور العام) .

أما قول الدكتور الجنحاني في مجلة تنمية اللغة العربية في مصر الحديث لعام ١٩٧٨ ، المجلة التي تصدرها وزارة الشؤون الثقافية التونسية : (ان تيار الفكر القومي قد كان له دور ايجابي في المرحلة التي يمثلها الحضري والأرسوزي ولكن هذه النظرة الى اللغة التي أفصحت عنها الأرسوزي تدل على سيطرة العقلية السلفية) فإنه لا يرجع الى كشف أو تبيين ولا يدخل في مجال بحث أو شرعة نقاش ليحظى بمحصول أو يعلى بطائل .

* * *

أقول هذا عن نشوء العربية عامّة ، أما عن مراحل نشوء الكلم فيها فقد لاحظ الأئمة أن حكاية الصوت إنما تظهر غالباً في المضاعف ، قبل المضاعف في العربية إنما نشأ عن هذه الحكاية ، وهو الذي يشعرك بها . وقد بحث علماء العربية هذا منذ المقوود الأخيرة من القرن الماضي .

قال الشدياق في (سر الليال) المطبوع عام ١٨٨٤ : (وما إنما إذا ذكر لك بعض الأسباب التي سولت لي أن اعتبر المضاعف أصلاً ، وأحدها أنني رأيت أن

معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أو حكاية صفة ، وأن حكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف نحو دب ودب ودب وهز وسف وقر) فقد قرر الشدياق باستقراء كثير من الكلم كما فعل سواه أن اللغة إنما ابتنىت بحكاية الصوت أو حكاية الصفة . وأن هذه الحكاية إنما تأتي بالمضاعف . وقد قصد بحكاية الصفة أن تجانس الحرف التي يتألف منها اللفظ بما تتصف به من اللين والترحيم والشدة والتخفيم ، الصورة التي يرسم بها معناه ، أو تشكل ، بما تبدو به من النظم والتاليف ، الأحداث التي يعبر عنها . قال الشدياق (كقولهم مثلاً منهن أي مزخرف فهو نحو توهם الفرنسيين لفظة مينيم للشيء القليل الوجيز .. وشيء ململم أي مدور مضموم مجمع .. وقولهم امرأة رجراجة أي يترجرج عليها لحملها) . وقد تلتبيس حكاية الصفة بحكاية الصوت في الفاظ كاللوسسة لحديث النفس ، والهمس للصوت العفني .

وقد ذهبوا إلى أن الأصل في أواخر الكلم السكون ، كما كان الأصل في أولئها التعرك ، فالكلم حين توضع تبني على الوقف . قال الشدياق : (ان الفعل في الأصل كالاسم في كونه يوقف عليه بالسكون قبل اتصاله بفاعله ، فإذا اتصل بفاعله ففتح . وتقرير ذلك أن الواضع لما وضع قد دف ودب ، لم يقصد بها في أول الأمر أن تكون فعلاً ولا اسمًا ، بل مجرد حكاية لصوت توهمه ، بقطع النظر عن أي شيء آخر . فلما وصل بفاعله قال دق الرجل) . وكان السكاكي قد قال في المفتاح وهو من أئمة القرن الهجري السابع : (أما المقدمة الأولى فهي أن اعتبار أواخر الكلم ساكنة ما لم يعرف عن السكون مانع أقرب ، لخفة السكون بشهادة العس ، وكون الخفة مطلوبة بشهادة العرف .) . على أنه لا يشترط أن يترب هذا في أول بنية الكلم ، وإنما يصح أن يتتفق قبل استقرار المضاعف كمسنراه . وما دامت حكاية الصوت إنما تقوم غالباً بلفظ المضاعف ، والأصل السابق له في أواخر الكلم هو السكون فإن المضاعف متى وقف عليه كان على حرفين ، ومن ثم ثبت أن الكلم في أصل بنائهما ثنائية ثم زيدت فأصبحت ثلاثة . وقد تبين باستقراء كثير من الكلم أن الأصل الثنائي دال بلفظه على جنس المعنى ، وأن الحرف المزيد دال على نوعه .

وقد أخذ الشدياق بالأصل الثنائي وذكر أن حكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف ، وأن المضاعف قد يكرر لزيادة في المعنى فيكون منه المضاعف الباقي ، فقال : (فإذا أرادوا الزيادة في المعنى ضاعفوا العروف فقالوا ديدب ودفيف ودقق وهزهز وسفسف وقرقر) ٠ وأقوى ما استدل به الشدياق في تحقيق الأصل الثنائي وتبينه أمور ثلاثة :

أولها أنك لا تكاد تظفر للمضاعف على معنى حتى تقع عليه أو على نحو منه في مزيد له ٠ قال : (فقلما ترى في المضاعف معنى الا رأيت في مزيده مثله او ما يقاربه) ٠ وقد ذكر من ذلك : صر وصرأ والب وسل وسلب وكف وكفت وسل وسلت ولب ولثت وخب وخبث ورم ورمج وكد وكدر وكح وكحه وكثير ٠ وهكذا يتقارب المعنى في كثير مماجعه ثلاثياً واتفق أوله وثانيه كبدا وببدأ وجسا وجفا وجفاً وحدى وحدى ودحا ودحه ورسا ورسه ، فكان تغير الآخر لم يعدل باللفظ عن أصل معناه ٠

وثانيها : أنك تجد أفعالاً مجهولة الأصل ، وأصلها من المضاعف معلوم ، وذلك نحو امتنع العظم أي استخراج منه ، فهو لا بد أن يكون من امتنع ، اذ لم يعني المخر بمعنى المخ ، وقس عليه تمعن العظم بمعنى تمخنه ٠

وثالثها : دلالة الثنائي على جنس المعنى ، اذ قال (وانظر أيضاً الى غم وغمت وغمد وغمز وغمص وغمض وغمط ، وغمق وغمل وغمن وغمى ، فإنها كلها تدل على السترو والتقطية مع اختلاف المعاني ، ونحو فل وفلج وفلخ وفلذ وفلع وفلق وفلقى ، جميعها تدل على القطع) وأردف (وبذلك تعلم أن النسق لم يجر على السنة العرب عفواً وأن تبويب الكلام في كتب اللغة على أواخر حروفه مفرق لمعاني الألفاظ ومشتت لمبانيها) ٠ وقال الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي في حواشيه على خطبة الكافي (وعلى ما ذكر من أن اللغات نشأت من الأصوات ، وأن حكاية الأصوات تظهر في المضاعف أكثر مما تظهر في غيره ، وأن الأصل في أواخر الكلم السكون ، يقوي القول بأن الكلمات كانت في أول الأمر ثنائية وأن أول ما وضع من الكلم هو المضاعف ثم تلاه غيره) ٠ ولم يذكر الشيخ (الثنائية) أصلاً في العربية وحدها ، بل حتى بعثها واحتسبها في اللغات السامية ، اذ قال : (على أن كثيراً من الباحثين عن أصول

اللغات السامية في هذا المصر قد أفضى بهم البحث إلى أن الكلمة في اللغات السامية كانت ثنائية في أول الأمر) ٠

على أن الشدياق وقد أخذ على المعاجم القديمة ما أخذ بعد أن فلها وتدبرها وقلب فيها النظر ، وألف في نقد القاموس المحيط كتابه (الجاسوس على القاموس) قد كان يعني أن يوطئ تأليف معجم يحقق فيه سهولة في الترتيب ووضوحاً في التعريف ٠ وفي رأسه خططة قد جزتها وعقد النية على امضائتها ٠ فهو يؤثر ترتيب المواد في المعجم ترتيبها في الأساس للزمخثري والمصباح للفيومي بمراعاة أوائل الألفاظ دون أواخرها ، فيقول في الجاسوس (وهذا النسق ، أعني ترتيب الكلام من دون مراعاة أواخره هو الذي يظهر حكمة وضع الواضع ٠ وقد لحظ ذلك أمام العربية الزمخثري) ٠

وهو يعرض على موالاة ذكر الأفعال الثلاثية فالرباعية فالخمسية فالسداسية فلا يخلط بينها كما فعل الأوائل من الأئمة ٠ وهو يصر على البدء بال مضاعف ما دام أصلاً في ابتناء الكلم بمحاكاة الصوت ، ويجعل الأجواف الواوي فاليايي رديفاً للمضاعف ، ويأتي بالمهوز عقباً للأجواف ٠ وهو يحرص على ذكر المعنى الأول والأصيل ثم الذي ينجم عنه ٠

هذا وقد عمد الشدياق في (سر الليل) إلى نحو مائة من المضاعف وما تفرع على كل مضاعف من الثلاثي فالرباعي ٠ ٠ فكشف عن المعنى الأول وفصل فيما تشعب عنه من المعناني ٠ ٠ ثم أتى بمقلوب المضاعف وجرى على ما جرى عليه في المضاعف ، فما الذي أسف عنه استقراره وأآل إليه ؟ استبيان برصد هذه الأفعال المضاعفة أن جلها يدل على حكاية صوت ، وقد يشف عن ذلك بلاحظة مضاعفتها الرباعي ٠ ٠ وأن بينها وبين ما تفرع عليه من الثلاثي والرباعي في الغالب ، اتصالاً في المعنى ، كما وضح أن بين المضاعف ومقلوبه انقطاعاً في الدلالة غالباً ، واشتراكاً حيناً ٠ ٠ وندر أن يكون المقلوب في عكس معنى الأصل ٠

ومن أخذ بالثنائية الشيخ إبراهيم اليازجي فذكر في مجلة الطبيب (١٨٨٤ م) أن الثنائي المضاعف كان على حرفين متراكب فساكن ، وأنه كان الأصل الذي بني عليه الثلاثي ٠

وذهب الأستاذ جرجي زيدان في كتابه (الفلسفة اللغوية) هذا المذهب فردًّا
الثلاثي إلى ثنائى زيد حرقاً في الصدر أو الحشو أو الآخر .

وكذلك فعل الأب أنسستاس ماري الكرملي ، وقد جهد جهده في المناقحة عن
مذهبه صادق المزم ثابت العقد فقال في كتابه (نشوء اللغة / ٢٧) : (إن الكلم
وضعت في أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن ، محاكاة لأصوات الطبيعية
ثم فتحت ، أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف ، فتصرّف
بها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والأهوية) .

وقام الأب (أمـس مرمرجي الدومنيكي) بـ (محاولة معجمية) رد فيها
الثلاثي إلى أصله الثنائي ، في العربية وبعض اللغات السامية . فأتي بـ (أمر)
وعدد معانيه في العربية والسامية ، فرأى أنها تدور حول (الارتفاع) فقدر أن
أصله (أم) الثنائي ، وهو بمعنى الرئاستة والعلو ، وأمـ الرأس قمته ،
فزيدت فيه الراء . وفي (الأمر) ومشتقاته الارتفاع والتسلط . وجاء بـ (عَلِم)
بكسر اللام فرأى أن أصله (لم) والعين فيه هي المزيدة . فاذاً أن معنى (لم)
في العربية وبعض السامية هو الجمع والاحاطة أو المعرفة كما يبدو في (الـ) ،
وأن معنى (عَلِم) متعلق بهذه الدلالـة .

وقد أشار فوق ذلك إلى أن الثنائي المضاعف كـ (مصـ وحمـ ومسـ) ، قد
جاء في السريانية بمحرك فساكن نحو (مصـ وحمـ ومسـ) وقس عليه .
ولا يخفى أن الآرامية تسـكـن فيها أواخر الأفعال كما ذكره الدكتور العـلـبي
الموصـلـي في كتابه (الآثار الآرامـية في لـغـةـ المـوـصـلـ العـامـيـةـ) اذ قال (تسـكـنـ العـامـةـ
أواخر الفعل فـتـقولـ : أـكـلـ وـكـتـبـ وـيـكـتـبـ خـلـافـ للـعـرـبـيـةـ وـتـبـعـاـ لـلـآـرـامـيـةـ) .

ومن قال بالثنائية الشيخ عبدالله العـلـيـليـ في كتابه (مـقـدـمةـ لـدـرـسـ لـهـةـ
الـعـربـ) خـاصـةـ . ولـمـهـ منـ أـكـثـرـ الـعـلـمـاءـ توـفـرـاـ عـلـىـ الـبـحـثـ فيـ نـشـوـءـ الـعـرـبـيـةـ ،
وـأـدـقـهـمـ رـصـدـاـ لـمـنـازـلـ اـرـتـقـائـهـ فيـ حـدـاثـهـ وـنـضـجـهـ وـاـكـتمـالـهـ ، وـأـشـدـهـمـ حـرـصـاـ عـلـىـ
كـشـفـ خـصـوصـهـ بـمـعـارـضـهـ سـمـاتـهـ بـمـلـامـحـ سـوـاـهـ مـنـ الـلـغـاتـ الـمـرـتـقـيـةـ وـغـيرـ
الـمـرـتـقـيـةـ ، وـأـمـضـاهـمـ فـيـ الـاقـتـيـاسـ بـخـطـ منـ النـظـرـ شـوـئـيـ وـنـحوـ مـنـ الـدـرـاسـةـ عـلـمـيـ
لـاـ غـيـبيـ وـلـاـ صـوـفيـ . وـقـدـ عـرـضـنـاـ لـطـرفـ مـنـ آـرـائـهـ فـيـماـ تـقـدـمـ مـنـ الـبـحـثـ وـسـنـرـ
بـمـاـ اـتـصـلـ بـمـاـ وـطـنـاـ النـفـسـ عـلـىـ اـسـتـيقـائـهـ فـيـ هـذـاـ الـمـقـالـ .

ثم جاء الأرسوزي فتصور انتقال الكلم من المضاعف الذي يمثل حكاية الصوت وصورة العدث الى الثلاثي فقال : (فمن - تر - وشكلها الرباعي - ترتر) وهي الصورة المقتبسة من سقوط الماء متقطعاً ، حصل الفعلان الثلاثي والرباعي البدائيان ، اما بتشديد العرف الثاني واما بتكرار المقطع ، وهما عبارتا الفعالية . ومن هذا الفعل الثلاثي اشتق الذهن العربي الافعال التالية ، من لفظة تر اشتق تره وترك وترع وترس ، بتبدل الشدة بحرف ملائم للتعبير عن ذلك المعنى المتفرع) . أي أبدل الذهن العربي من العرف الأخير المدغم ، حروفًا ملائمة لمعان جديدة . ثم حرص الباحث على الاحتفاظ بطابع الصورة البدائية السابقة ، كما يقول ، فاشتق من الأصل الأول - تر - بالابداال من تائه : در ، والابداال من رائه الثانية : درأ ودرج ودرس ودرع ودرق ودرك وهكذا ..

ويستبان مما تقدم أن القائلين بالثنائية قد أجمعوا على أن أصل الكلم قبل ابتناء الثلاثي هو الثنائي وأن الثلاثي قد نشأ بزيادة حرف عليه ، وأنه قلما ترى في الثنائي معنى الا رأيت في مزيديه الثلاثي مثله أو ما يقاربه . هذا هو محل الاتفاق بينهم . أما محور الخلاف فهو في موضع زيادة العرف . فقد ذهب الشدياق الى أن محل الزيادة في الفالب هو الآخر نحو صر وصرأ وأل ولب وسل وسلب وكف وكفت .. ونحو غم وغمت وغمذ وغمز .. وكذلك فعل وفلج وفلج وفلذ .. الى آخر ما جاء من أمثلته . وهو ما انتهى الأرسوزي فيما أورده من الشواهد .

وذهب الأستاذ جرجي زيدان مذهبآ آخر هو احتمال دخول العرف الزائد أولاً أو وسطاً أو آخرأ دون ترجيح . والى مثل هذا ذهب الأب الكرملي فيما نص عليه صراحة ، والأب الدومنيكي فيما دل عليه من الشواهد . ولكن هل عرض القدامي من اللغويين نحو من (الثنائية) هذه ، وما الذي انتهى ؟

13) عدنا الى ما جرى عليه الخليل بن أحمد الفراهيدي في ترتيب مواد معجمة الشهير (المعين) ، ألفينا أنه اختط هذه الخطلة ويم سمتها . فقد ذكر مثلاً (در) في أول حرف الدال من الثنائي المضاعف ثم أتبعه ذكر (دردر) .. وقد أسمى (دردر) هذا ثنائياً لتكرر الدال والراء ، وهما حرفان . وأتى بعد

ذلك بـ (درد) و (ددن) ، وكل منها ثلاثة غير أن الفاء واللام في الأول من جنس واحد ، والفاء والمعين في الثاني من جنس واحد . وما انتهى من الثنائي المضاعف انتقل إلى ذكر الثلاثي الصحيح نحو دثر ودرن ودفر وما قلب منها ، وعلى ذلك جرى في سائر العروض .

وقد التزم الراغب الأصبهاني في مفرداته أن يبدأ بالمضاعف أيضاً فذكر في فصل الراء من باب الباب (برَ) ثم أخذ في ذكر (برأ) ..
واعتذر ابن دريد في جمهرته للمضاعف ثنائياً بلفظه وصورته ..

ورصد ابن فارس ما يمكن أن يتبعه عليه الثنائي والثلاثي من المعنى في كثير من المواد . وكشف في المقاييس عمما تنطوي عليه مادة (القاف والطاء وما يثلثهما) مثلًا من معانٍ القطع وألوانه كقطف وقتل وقطم . ورد باب (الفاء والراء وما يثلثهما) إلى معانٍ التمييز والأفراد ، وكذلك فعل في المجمل ..

ولكن ما الذي قصده الأئمة بهذا . أقصدوا أن يوضّعوا طريقة الاشتقاد وما بين الثنائي والثلاثي من اشتراك في المعنى ليمضوا بعد ذلك في اتخاذ ضوابط لهذا الاشتقاد كما فعل ابن جني في الخصائص والزجاج في الاشتقاد وابن الأثير في مثل السائر .. أم تتبهوا إلى مراحل نشوء الكلم بعضها من بعض فاعتذروا ! الثنائي في انشاء اللغة سابقًا للثلاثي متقدماً عليه في العمر ؟ أقول ليس ثمة ما يثبت أن الأئمة حاولوا الكشف عن مراحل نشوء المفردات في بناء هيكل اللغة قبل استواها على الأصل الثلاثي واتخاذها فقهاً خاصاً واشتقاقاً مطرداً . وكل ما في الأمر أن من العلماء كما قال العلائي من ذهب إلى أن في ابتداء الخليل في معجمه بأحرف العلق واتباعها أحرف اللسان فالأسنان فالشفتين ، إن في ذلك خطة تشوهية تشير إلى ملاحظة طبيعية العروض . وقد أشارت دائرة المعارف الإسلامية إلى أن السنسكريتية قدرت بـ ٣٧ حرفاً وهذا الترتيب . فاذا صع هذا كان سمة من سمات هذا العبرقي .

هذا وإذا كان العلائي قد أخذ بالثنائية فرد الثلاثي إلى الثنائي ، فقد تفرد في ذلك برأي اذ قدر أن موضع الزيادة في الثلاثي هو الوسط ، فخالف المحدثين حين جعلوا موضع العرف المزدوج هو الآخر أو حين ذهبوا إلى احتمال

كونه في الصدر أو الوسط أو الآخر . كما خالف القدامى حين اعتقدوا اتفاق الفاء والعين غالباً شرطاً لاشتراك المعنى في الثلاثي ، ويحمل هذا على تقدير الآخر موضع الزيادة . قال العلالي : (وهم في تقديرهم درجوا أن الآخر موضع الزيادة ، ونحن نقدر أنه الوسط في غير ما يكون حليقياً من الموارد ، فان حروف الحلق عندي منقلبة من أصوات هوائية تصعب العرف)^(٢) ومن ثم لا يصح أن يعد الحلق حرفًا في مباحث التأصيل) .

فإذا اعترضنا ثلاثي فيه حرف من حروف الحلق فالتمسنا أصله أسقطنا العرف الحلقى . فـ (قطع) يرجع إلى قطع ، وـ (حلب) يرجع إلى لب . فإذا لم يكن فيه حرف حلقى أسقطنا الوسط ، فـ (قطف) أصله قف الذي يدل علىضم والجمع . وكذا الأمر في قذف وقرف . ومن ثم كان علينا أن نلحظ الفاء واللام أولاً لتقرير جنس معناه ، والعين ثانياً لحد نوعه . فالطاء في قطف مثلاً تعين الالتواء والانكسار .

ويقول العلالي : (هذا ظن نرسله في كثير من الثقة والاطمئنان) . أقول لا شك أن على الباحث أن يستقرىء ما لا يعنى من الكلم ويحاول أن ينظمها بوصف عام ، ثم يلتمس وجه التعليل والتقدير ، كما أشار إلى ذلك العلالي نفسه .

وإذا عرض لنا شيء ما فوق الثلاثي كـ (عصفور) أحشاه إلى (عصفر) بعدف المد ، ثم أسقطنا حرف الحلق فحار إلى (صفر) ، ثم أزلى الوسط فالتمسنا الأصل في (صر) والصر طائر كالعصفور والصر صور .

والعلالي لا يقتصر بالتفرد فيما تقدم ، بل يحاول أن يقدر المنازل التي مر بها اللفظ حتى آل إلى الثنائي . فهو يتصور أن اللغة بدأت بالقطع الواحد كـ (با) وهو المقطع الذي تالت من أمثاله حروف الهجاء . وقد كان العرف ينطق بالأصوات الثلاثة فيكون له مع كل صوت معنى . وقد جاوزت العربية دوراً صوتياً كانت العركة فيه صوتاً أي حرفأ .

٧ - يشهد بهذا أن ليس في الأبالية أحرف حلية ، والابالية دون هجرية ارتقاء ، كما جاء في تاویل المقطمات السابعة للدكتور وللسون .

ثم قدر أن اللفظ قد انتقل إلى المقطع الثنائي الذي يضم مقطعين واحدين ك (عواوا) مثلاً، وأآل هذا إلى حرفين بصوت واحد، بعد تصحيح الصوت واستقرار اللفظ على الثلاثي، فكان منه (عوى) • وتصحيح الصوت ابدال للحركة منه قبل كل شيء •

وزعم أن (عو) في الجدول الهجائي يعني الحيوان المفترس، و (وا) للصوت المتكرر، ف (عواوا) للحيوان المفترس يواصل التصويت • ومن ثم عبر ب (عوى) عن صوت الحيوان •

ولا ننس أن حروف الهجاء بأسواتها (أي حركاتها الثلاث في العربية وسوها في سواها) هي الوحدة الأولى للبنية اللغوية ، والحركات فرع ، والأصوات ، أي أحرف المد، هي الأصل . وقد توصل الإنسان إلى حروف الهجاء بمحاكاة الطبيعة ، وانفردت كل لغة بحروف ، واختلفت هذه في كل لغة قلة وكثرة •

وذهب العلائي أنه قد يتأتى اعتماد معاني أسماء الحروف الفينيقية في فهم المفردات العربية ، وردها إلى معانيها الأولى • وتبقى الصعوبة في تبيان معانيها مع الأصوات • ذلك ما يحتاج إلى استقراء دقيق يقعد بالباحث المنفرد ، لا بتعارض اللغة بما تعددت في ارتقائها من مراحل وأطوار ، عن بداياتها الأولى •

ولا جرم أن هذه العروض بمعانيها الجنسية العامة قد لوحظت في وضع المفردات الثلاثية فالرباعية فما فوق • فالرباعي لم ينشأ بالنحت كما ذهب إليه بعض الأولئ ، وإنما نشأ بزيادة حرف بمعناه إلى آخر الثلاثي ، ولم يبق لدلالات حروف الهجاء أثر إلا في تكثير المفردات على النحو الذي ذكرنا • وإذا كان الثلاثي قد أضحي مؤلفاً حرفياً موحد الدلالة ، مفرداً في مفهومه ، فإنه كان مركباً مؤلفاً من وحدات لكل منها دلالة •

هذا وبلغ اللفظ حد المقطعين الواحدين وانتهائه بتصحيح الصوت إلى حرفين بصوت واحد ، نشأت الملات الثلاثية ، ومنها المثال والأجوف والناقص • وبتصحيح هذه الملات بحذف صوتها والتضييف نشأ الثنائي المضاعف ، ف (نبي) صار إلى (نبٌ) الثنائي المخفف ثم إلى (نب) المضاعف • و (أبو) صار إلى (أبٌ) ف (أبٌ) • وشعى أو شيع إلى شعٌ فشحٌ وهكذا ...

وقد لحظ الشدياق الاشتراك في المعنى بين المضاعف والأجوف فجعل الأول متقدماً في النشوء والثاني رديفاً له . وعندى أن رأي العلالي في سبق الأجوف (أي المعل) أدنى إلى النظر النشوئي من حيث كان الأجوف أقرب إلى الصوتية من المضاعف .

وقد توفر العلالي على رصد عهد الصوتية فنبه فيه على أمر ذي بال . ذلك أن كل حركة في الكلم كانت تتنطق حرفاً من حروف المد ، وكانت الكلم تبتدئه بالساكن وتنتهي بالتحرك . وقدر العلالي هذا المتحرك أنه (الواو) أو الضمة المدودة ، كما هو شأن الآشورية والبابلية . ولا تزال شمة موازین تتنطق ساكنة الأولى وإن بدئت بهمزة قطع كاجفيل وآخريط ، أو ألف وصل كاسم وابن وأمراء . واستمر تعريك الآخر وظللت ظاهرة الوقف بالروم (العركة المختلسة المائلة إلى القنم) شائعة عند بعض القبائل مطلقة لديها ، دالة على سبق التحرك بالواو . وما فتئت اللغة تمر بتجارب حتى انتهت إلى الاعراب فاستوت أكمل ما تكون بنية ، وأكثراً ما تكون دقة بين اللغات بملابسية اللفظ لمعناه .

هذا وقد يصحح (المعل) فينتهي إلى مهموز كما ينتهي إلى ثنائي مضاعف ، وقد يكرر هذا فيصير إلى ثنائي مكرر . ومن ثم قامت وحدة المعنى بين المعل والمضاعف والمهموز والمكرر كزبي وزب وزبا وزبزب . وقد ينشأ من زب ثلاثي فيقال : زعب . ومن هذار ياعي فيقال زعبا . وقد لحظ العلالي تأخر نشوء الرباعي المكرر لدلالته على معان تركيبية .

ويجري مذهب العلالي في نشوء الرباعي بما فوق مجرى المباينة مما أكده ابن فارس وأيقنه ، في المقاييس والصاحبي . أشار ابن فارس إلى أن ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت ، فقولهم (ضبطر) إنما تولّ بالفتح من (ضبط و ضبر) ، والصلدم إنما تأتى من الصلد والصدم . وتهج هذا النهج فقد رأى التحت في كثرة من مواد الرباعي والعجماسي . بل مضى في ذلك بعيداً ، فإذا لمح أن رباعياً ضمَّ الأحرف الثلاثة من ثلاثي ، وحرفاً رابعاً من ثلاثي مقدر آخر كما هو الصلدم ذهب إلى أن هذا الحرف قد كان يعبر عن جملة أحرف الثلاثي الآخر اختزالاً ، وأن الرباعي إنما نحت من ثلاثيين . أقول إذا اضطر العرب إلى

اختصار (النسبة) حيناً في مركب فقالوا عبشي في عبدشمس ، وعبدري في عبد الدار ، ومرقسي في امرئ القيس .. أو لجا الآئمة في صدر الاسلام الى اختصار بعض الأقوال المأثورة فقالوا العولقة والبسملة والحسيلة .. فان النعت لم يطرد في اللغة اطراداً واضح المعالم ظاهر الرسوم ليعد سمة من سمات العربية ، لذلك كان التقدير لابناء الرباعي بزيادة العرف الصدق بطرائق العربية وأعلق بجودها خلاف التركيب بنية الكلم في اللغات الأجنبية فان النعت هو سبيلها المسلوك ونهجها المزوم ..

هذا وقد تخيل العليلي أن العربية قد استنت للتزييد اللغوی سنة أخرى بعد أن أصبح الثلاثي وحدة الكلم . وهو تقلیب حروف الثلاثي بحيث يكون لكل أصل منه ست مواد لها جامع معنوي . وقد روعي في تولیدها نهج خاص بـبني على ترتیب حروف الهجاء ، فأصل ما تألف من الكاف واللام والميم هو (كلم) بسبیق الكاف تلیها اللام فالمیم ، كما تتوالى في الهجاء ، فاقدم التقالیب او أصلها ما وافتت آخره الترتیب الهجائي ، وقد تولد من (كلم) : ملك ثم مکل فکمل فملک فلمک .. ولا ننس أن التغییل أول من أوحى بهذه التقالیب واشتراکها المعنی .. وقد أیقن ذلك أبو علي الفارسي ، وأفاض فيه تلميذه ابن جنی في الخصائص ، وأسماء المتأخرین الاشتراق الكبير .. وتعرض لبعضه كثير من الآئمة بعد ذلك لا سيما العاتمي والسكاكی في مفتاحه وابن الأثير في مثله السائر .. ونبه ابن جنی على عدم اطراود هذه التقالیب ، كما أشار العليلي الى ان ما تفرع على كل أصل ثلاثي لا يشترط أن يبلغ هذا العدد منها ..

ولكن اذا ثبت أن الاشتراك في المعنی يلازم المادة في تقالیبها دون النظر الى ترتیب الأحرف فذلك يعني أن حرف الهجاء لا يزال يحمل من خلال معناه الأول ما يؤلف به وحدة المعنی في كل تقلیب ، وجنسه في المادة عامة ..

وانتقل الآئمة من ذلك الى ما أسموه بالاشتقاق الأکبر حين رمقو فيما اتفق منه بعض الأحرف وتماثل الآخر نوعاً ومخرجاً ، اشتراكاً في المعنی .. فالتضارب بين اللقطين يوحی بالتضارب بين المعنین .. وانما يقع الاتفاق في حرفين والتماثل

في الثالث ، ولذا يجمل الشيخ طاهر الجزائري الكلام على الاشتقاء الأكبر ويخلص منه ليؤكد ثنائية الأصل فيقول (وكان .. الأصل في هذا الباب هو حرفان وضعاً لمعنى ثم زيد عليهما حرف آخر ليدل على معنى آخر يكون بمنزلة النوع للمعنى الأول الذي بمنزلة الجنس لأنواع معنى الألفاظ التي نشأت عند الزيادة) .

ونعرض في ختام ما عقدنا الفصل عليه لطرف ما قاله بعض المؤلفين في ثنائية الأصل . قال الأستاذ محمد المبارك في كتابه (فقه اللغة) : (وتوافق الأستاذ العلالي في رأيه السديد الذي يتلخص باستقرار العربية على الأساس الثلاثي واعتبار الأصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها مجدياً إلا ضمن الاعتبار التاريخي . ولكنني أرى مع ذلك النظرية الثنائية عدا صفتها التاريخية ، لا تزال في بداية البحث ، والذين قالوا بها لم يبنوا أيحائهم على استقراء واسع . ولا يكفي لاثبات صحة هذه النظرية .. صدقها في عشرات الأمثلة بل في مئات الأمثلة) . وكلامه هذا ظاهر الاستقامة . لكن لا ننعدو شاكلة الصواب وشرعة البحث حين نضيف إليه أمرين ، الأول أن الكلام على بنية الكلم أمر يتعدى الاعتبار التاريخي ، وهو مُجدهي البحث جدوى مُعشبة مُخصبة تظهرك على ما بين جذر اللفظ التاريخي وما بني عليه من اتصال تبين به ظلال معناه . ولو بدا ذلك في العربية بعيد المرام عزيز المثال . فهذا قول العلالي ، وقد اعتمد المؤلف رأيه في الثنائي . قال العلالي : (فقد تقرر بما لا يحتمل ريباً أن بين مواد الثلاثي الست جاماً معنوياً ، وإنما وجه الخلاف في المخصوصية) وأردف (وعليه يمكن انتزاع الجامع المعنوي منه – أي من الأصل الثنائي – وتعيين المخصوصية بمساعدة الثنائي الذي لا ينطوي في أمره مناقشة) . والثاني : أن القطع بثنائية الأصل لا يعول فيه على الاستقراء وحده بل لا بد فيه من التحليل والإلاطع على ما انتهى إليه في ذلك علم اللغة الحديث . ونحن لا نود الوقوف على طرائف هذا العلم لنقبل عليها اعتنافاً فلا نعصي لها أمراً أو نخالف نهياً . أو ننزل على حكمها فننصرف عن التدبر ونشغل بطرافتها وجدهما ، بل نروم أن نعارض مذاهبها بمذاهب أثبتنا لنخلص إلى تبيان المسألة واجتلاء سرها .

وعقب الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه اللغة العربية) على ما استدل به الأب الدومينيكي على ثنائية الأصل فقال (٠٠ وما لاحظه أن المضاعف العربي الذي يقال انه مركب من ثلاثة أحرف أصلية لا تجد مقابله في السريانية الا حرفين ٠٠ نسي - معه - أنه عند اسناد المضاعف الى الضمائر في العربية والسريانية يظهر التضييف ٠٠)، أقول ان ملاك الأمر هنا هو تصور الوضع الأول ، فلا يلزم من ظهور تضييف الثنائي في استعماله مع الضمير الا يكون للمضاعف أصل ثانوي مخفف تالث من متعرك فساكن ، كما تصوره العلائي فيما ذكرنا ، وأشار اليه الشدياق حين قال (فلما وصل - الواضع - دق - بفأعله قال : دق الرجل) .

ويختتم الدكتور عبد التواب كلامه في هذا فيقول : (وخلاصة الرأي في الثنائية أنها وإن وجدت في بعض الكلمات السامية لا يصح أن نعدّها الأصل الأول لهذه اللغات . ونعن مع الأستاذ عبدالله أمين في أنه لا يمكننا أن نسلم أن رجلاً أصله : رج ، وقداً أصله قر ، وفيلاً أصله في ، كما يقولون) . أقول اذا كان الدكتور عبد التواب قد عنى بهذا أن الثنائية قائمة في كثير من المفردات لكنها لا تبدو غالبة أو مطردة فلا يجفو هذا عن خصوص اللغة أو ينبو على سنة نشوئها ، فقد يطرأ على الكلم العربية ولو تميزت باستثنات جذورها ما يشهو بنيتها ويطمس ملامحها فلا تلوح الشواهد صادقة دالة على الأصل ، والسمات بيّنة نامة على الوضع . وقد اشتهر عن الأئمة قولهم بعدم الغلبة أو الاستمرار في أبواب الاشتراق ، فلم يحمل هذا على انكاره . فانظر الى ما قاله الأستاذ آدم متز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة (بال) السويسرية في كتابه *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري* . قال آدم متز (٢٩٠ / ١) : (وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتراق اللغوي ، وبقيت عمراً طويلاً . وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني ٠٠ وهو الذي ينسب اليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة ، وهو المسماى بالاشتقاق الأكبر ، وهذا البحث الذي لا يزال يؤتى شره الى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها . ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا ٠٠)

وإذا كان الدكتور التواب قد قصد أن الأمثلة التي أتى بها الباحثون ليست من الكثرة بحيث تحمل على اعتقاد المذهب فان هذا لا يتطلب إغلاق باب الغوض فيه ، كما يُفهم من عبارة الأستاذ أمين ، والا فهل يُعمل ما جاء من الشواهد على اختلافها وكثرتها على أنه اتفاق على غير نسق ومصادفة على غير اتّعاد . قال الشدياق (وبذلك نعلم أن هذا النسق لم يجر على السنة العرب عفواً)

هذا ما وددنا الكشف عنه والتمثيل له في مبحث نشوء اللغات عامة والعربيّة خاصة ، وما تشعب عن ذلك من وجوه الرأي عند الأوائل والمحدثين . وإذا كنا اقتصرنا من هذا الباب على ما أرينا به الطريقة ودللنا على المنهج فلعل فيما سنعمد إليه من بحث الاشتقاء وتعريير مسائله مزيد بيان لما بسطناه في هذا الفصل وفضل جلاء لما دق منه ، لشدة ما بين الغرضين من تشابك واتصال ، والله الموفق للسداد .

صلاح الدين الزعبلاوي



نظم اللآل في الحِكَمِ والأمثال *

القسم الثاني

جمعها ورَبَّها: عبد الله فكري
شَرِحُهَا: عبد المعين الملوحي

- قبح الله من يبيع صديقه ، ويبيع الصديق
خسارة .
٧٤١ - لسان الشَّكْرِ تُنْظَفُهُ الْعَطَابِا
وَيَخْرُسُ عِنْدَ مُنْقَطَعِ النَّوَالِ
الْعَطَابِا تُثْلِقُ الْأَلْسُنَةَ بِالشَّكْرِ ، وَالْعَرْمَانُ
يُخْرِسُهَا .
٧٤٢ - لسان "الفتي نصف" ونصف "فؤاده"
فلم يبق إلا صورة "اللَّهُمَّ والدَّمْ
لسان الانسان نصفه وقلبه نصفه فلم يبق
منه إلا اللحم والظم والدم .
٧٤٣ - لستر الشَّمْسِ أَيْسَرٌ من كلام
شَتَّرٍ وَقَدْ مَلَأَ الْفَضَاءَ
قد يكون ستر الشمس أهون من ستر
الكلمة التي تشيع وتنتشر .

حرف اللام

- ٧٤٧ - لبست ثوبى على ما كان من خلقه
ولا جيد لمَنْ لم يلبس الخلقا
لبست ثوبى البالى ، ولا جيد لمَنْ ليس
لا عتيق .
٧٤٨ - لحى الله ذي الدنيا متأخلاً راكباً
فكل "بعير المم" فيها معدن
ما أصعب هذه الحياة على من يعيش فيها ،
وكل من له همة تعذبه وتعاديه .
٧٤٩ - لحى الله صعلوكاً مثناً وهشة
من العيش أذ يلقي لبوساً ومطمئناً
قبعَ الله الرجل الذي لا يهسه في حياته
الاباسه وطمامه .
٧٥٠ - لحى الله من باع الصديق بغيره
وما كل "بيسم بعنته" برباح

* نشرت الجلة القسم الأول من هذا المقال في العدد الرابع - السنة الثانية جمادى الأولى ١٤٠١ هـ/آذار ١٩٨١ م .
(الجلة)

ليس المال ذخيرة للانسان ، فقد يذهب
ويفتقر ، ولكن الاصدقاء الخالصين هم الذخائر
الحقيقة .

٧٦١ - لعمرُكَ ما وَدَّ السانِ بنافِرِ
إذا لم يكن أصلُ المودةِ في الصدرِ
لا ينفعُ ودُ اللسانِ ، اذا كانَ القلبُ خالياً
منَ الْوَدِ .

٧٦٢ - لعمرُكَ ما يَدْرِي المسافِرُ هلْ لَهُ
نجاحٌ وما يَدْرِي متى هُنُوَ راجِعٌ
لا يَعْرِفُ السافِرُ في طَلْبِ حَاجَةٍ هلْ هُوَ
ناجحٌ في تَحْقِيقِهَا ، ولا يَدْرِي متى يَعُودُ مِنْ
سَفَرِهِ .

٧٦٣ - لعمرُكَ ما يَدْرِي امْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِي
اذا هُنُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللهُ وَاقِيَاً
لا يَسْتَطِعُ الْمَرءُ أَنْ يَحْفَظَ نَفْسَهُ وَيَتَّقِي
تلقي المصائبِ اذا لم يَحْفَظْهُ اللهُ .

٧٦٤ - لعمرِي أحَادِيثُ التَّفَوُسِ ظَنُونٌ
وَمَا عَزَّ مِنْ شَيءٍ فَسُوفَ يَهُونُ
الْأَحَلامُ أوْهَامُ ، وَكُلُّ عَزِيزٍ لَا بُدَّ أَنْ
يذوقَ الْمَوَانِ .

٧٦٥ - لعمرِي لَقَدْ جَرِبْتُمُ وَرَأَيْتُمُ
وَقَدْ يَنْفَعُ الْمَرءُ الْلَّبِيبُ تجَارِبُهُ
أَيُّهَا النَّاسُ ! قَدْ جَرِبْتُمُ الْحَيَاةَ ، وَاللَّبِيبُ
تَنْفَعُهُ التَّجَرِبَةُ .

٧٦٦ - لعمرِي لِلثَّيَاضِ عَنْدَ الْأَرْضِ
بِرِّ خَيْرٍ مِنَ الطَّعْمِ الْكَاذِبِ
الْأَيْسُ الرَّبِيعُ خَيْرٌ مِنَ الطَّعْمِ الْكَاذِبِ .

٧٥٤ - لَطَقْتُ رَأْيِكَ فِي وَصْلِي وَتَكْرَمِي
إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ يَحْتَالُ
كَانَ رَأْيِكَ لطِيفاً فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَفِي
اَكْرَامِي ، وَالْكَرِيمُ يَحْتَالُ لِي صَنِعَ الْمَرْفُوْلُ لِلنَّاسِ .

٧٥٥ - لَلْعَنْتُكَ مُحَمَّدًا عَوْاقِبَهُ
فَرِبْتَنَا صَحَّتَ الْأَجْسَامُ بِالْمَلَلِ
قَدْ يَكُونُ عَنْتَكَ نَافِعًا ، وَالْعِلَّةُ أَحْيَا
تَنْفُعَ الْجَسْمِ .

٧٥٦ - لعمرُكَ ما الايامُ إلا متعارة
فما استطعتَ من معروفيها فتزَوَّدُ
الحياة عارية مُسْتَرْدَةً ، فاستكثرَ من
الخير ما استطعتَ

٧٥٧ - لعمرُكَ ما تَادَهُ دَرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصْنِي
وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ
لَا يَعْرِفُ الْقَيْبُ الْكَهَانَ وَالسُّحْرَةُ وَالْعُلَمَاءُ
الْجَوَومُ ، وَالنَّسَاءُ الْلَّوَانِي يَضْرِبُنَ بالْحَصْنِي ، وَلَا
الرَّجَالُ الَّذِينَ يَزْجُرونَ الطَّيْرَ .

٧٥٨ - لعمرُكَ ما ضَاقَتْ رِحَابُهُ بِأَهْلِهَا
وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضَيِّقُ
الْبَلَادُ وَاسْعَةً تَسْعُ لِخَلْقِ اللهِ ، وَلَكِنَّ
مَا يَجْعَلُهُمْ ضَيْقَةً هُوَ شَحُّ النَّاسِ وَحِرْصُهُمْ .

٧٥٩ - لعمرُكَ ما في الْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى امْرَىءٍ
سَرَى رَاغِبًا أوْ رَاهِبًا وَهُنُوَ يَعْقُلُ
لَا تَضَيِّقُ الْأَرْضَ بِطَالِبِ رِزْقٍ مَا دَامَ عَاقِلًا
يَسْعَى إِلَى أَمْلَى .

٧٦٠ - لعمرُكَ ما مَالَ الْفَتَنِي بِذِخِيرَةِ
وَلَكِنَّ إِخْوَانَ الشَّفَقَاتِ الْذَّخَائِرِ

- ٧٦٧ - لمنَ اللهُ نخوةٌ
صارَ منْ بعْدِهَا ضرَّعٌ
لمنَ اللهُ العزةُ الْيَ تُقْبِلُ إِلَى ذَلِكَ
وَالْمُنْكَرُ الَّذِي يُنْقَبُ إِلَى مُتَضَرِّعٍ ٠
- ٧٦٨ - لَعْنَتُ مقارنةِ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا
ضَيْفٌ يَجِدُهُ مِنَ النَّادِمَةِ ضَيْقَنَا
صَحْبَةِ اللَّثِيمِ مِزْعَجَةٌ تَجُرُّ النَّادِمَةَ، كَالضَّيْفِ
الْقَلِيلِ يَأْتِي مَعَهُ بِضَيْفٍ أَكْثَرَ تَقْلَاهُ مِنْهُ ٠
- ٧٦٩ - لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًا في مُعَامَلَةِ
مَنْ كَنْتَ مَنَهُ بِغَيْرِ الصَّدْقِ تَتَسْقَعُ
كَنْتَ تَتَسْقَعُ بِكَذْبِ فَلَانَ، فَلَآنَ بَدَأْ يُفْشِكُ
وَيُكَذِّبُ عَلَيْكَ ٠
- ٧٧٠ - لَقَدْ أَجْلَكَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرًا
وَقَدْ أَطْاعَكَكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَرًا
إِذَا أَرْضَاكَ ظَاهِرًا انسانٌ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِكَ،
وَدَعَ بَاطِنَ أَمْرِهِ لَهُ، وَإِذَا قَامَ بِعَصَيَانِكَ فِي
الْخَفَاءِ، فَإِنَّهُ يَطِيعُكَ؛ فَلَا تَكْثُرْ الْبَحْثَ عَنْهُ ٠
- ٧٧١ - لَقَدْ تَرْجُو فِي عَرَقِكَ مَا تَرْجَمِي
عَلَيْكَ وَيَنْجُعُ الْأَمْرُ الْعَسِيرُ
قَدْ يَصْبِعُ تَحْقِيقُ الرِّجَاءِ، وَقَدْ يَتِيسِرُ
الْأَمْلُ الَّذِي كَانَ عَسِيرًا ٠
- ٧٧٢ - لَكُلَّ امْرِيٍّ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارِغٌ
وَمَوْضِعٌ نَجْوَى لَا يَرَامُ اطْلَاعُهَا
لَكُلِّ صَدِيقٍ مِنْ أَصْدَقَائِي مَكَانٌ فِي
قَلْبِي، لَا يَحْلِهِ غَيْرُهُ، وَمَكَانٌ لِرَهْهُ لَا يَطْلُعُ
عَلَيْهِ أَحَدٌ ٠
- ٧٧٣ - لَكُلِّ امْرِيٍّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عَادَةٌ
وَكُلِّ امْرِيٍّ جَارٌ عَلَى مَا تَعْوِدُهُ
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ عَادَةٌ، وَلَكُلِّ امْرِيٍّ مَا تَعْوِدُهُ ٠
- ٧٧٤ - لَكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطِبُّ بِهِ
إِلَى الْحَسَنَةِ أَعْيَتَ مِنْ يَدِاوِيهَا
لَكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ إِلَى الْحَسَنَةِ ٠
- ٧٧٥ - لَكُلِّ نَاعِمٍ ذَاتٍ يُسْوِي نَاعِي
وَإِنَّا السَّعِيُّ بِقَدْرِ السَّعَيِ
نَاعِي الْمَوْتِي لَا بَدْ لَهُ مِنْ يَوْمٍ يَشْتَهِي هُوَ
فِي، وَلَكُلِّ سَاعَ مَا بَذَلَ مِنْ سَعِيٍّ ٠
- ٧٧٦ - لِبَكَاءِ النِّسَاءِ عِنْدَ الرِّزَا يَا
وَلِحُسْنِ الْعَزَاءِ فِيهَا الرَّجَالُ
النِّسَاءُ يَحْسُنُ الْبَكَاءَ عِنْدَ الْمَصَابِ،
وَالرَّجَالُ يَحْسُنُونَ الْفَرَاءَ وَالتَّصْبِرِ ٠
- ٧٧٧ - لِلْحَقِّ عَاقِبَةٌ تَرْجُجٌ وَتَسْتَظرُ
وَفِي الْلِّيَالِي وَفِي الْأَيَامِ مُفْتَرٌ
عَاقِبَةُ الْحَقِّ مَرْجُوَةٌ مُتَنَظَّرَةٌ، وَفِي الْأَيَامِ
وَالْلِّيَالِي عِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ ٠
- ٧٧٨ - لَهُ أَسْرَارٌ مَعَ التَّدِيِّيرِ
يَحْجَارُ فِيهَا بَصَرُ الْبَصِيرِ
لَهُ أَسْرَارٌ فِي تَدِيِّيرِهِ لِخَلْقِهِ لَا يَمْرُنُهَا الْبَصِيرُ ٠
- ٧٧٩ - لَهُ دَرَرُ الْتَّسِيبِ مِنْ وَاظِنِ
وَنَاصِحٍ لَوْقَبِيلِ النَّاصِحِ
مَا أَحْسَنَ مَوَاضِعَ الشَّيْبِ لَوْ وَجَدَ مِنْ
يَسْمَعُ إِلَيْهَا ٠

لو كنا نعرف عوّاقب الأمور كما نعرف
ما مضى منها لم نخطئ ٠

٧٨٧ - لوْ أَنَّ مِنْ قَالَ : نَارٌ أَحْرَقْتُ فَهُ
لَا تَفْوَهَ بِاسْمِ النَّارِ مَخْلوقٌ
لِيْسَ مِنْ يَنْطَقُ بِلِفْظِ (نَارٌ) يُحرقُ لِسَانَهُ ،
وَاللَا لَا تَفْوَهُ بِهَا أَحَدٌ ٠

٧٨٨ - لوْ فَكَرَ العَاشِقُ فِي مُتَمَّى
حُسْنِ الَّذِي يَسْتَهِيْلُ لَمْ يَسْتَهِيْلُ
لَوْ عَرَفَ الْعَاشِقُ كَيْفَ يَصْبِحُ مَعْشُوقَهُ فِي
الْقُبْرِ جَةً هَامِدَةً لِمَا عَشَقَهُ ٠

٧٨٩ - لوْ كَانَ يُشْكِنْتِي سَفَرَتْ عَنِ الصَّبَابِ
فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَمَّشَ
أَنَا شَابٌ ، وَقَدْ عَاجَلَنِي الشَّيْبُ ، وَلَكِنِي
مَا أَزَالْتُ أَتَسْمَعُ بِقَوْةِ الشَّابِ ، وَالشَّيْبُ قَبْلِ أَوَانِهِ
مِثْلُ اللَّاثَمِ الَّذِي يَسْتَرُ وَجْهَكَ ٠

٧٩٠ - لوْ كَانَ لِيْ أَوْ لَغِيرِي قَدْرٌ أَتَشْلَمَ
فَوْقَ التَّرَابِ لِكَانَ الْأَمْرُ مُشْتَرِكًا
لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ حَبَّةُ تَرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي
يُسْكُنُونَهَا ، ظَنَّتْ أَنَّهُمْ مُشْتَرِكُونَ فِي مُلْكَمَا ،
وَلَكِنَّ النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَالْأَرْضَ تَبْقَى ، وَلَيْسَ
مُلْكًا لِأَحَدٍ ٠

٧٩١ - لَوْلَا اشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاَوَرْتَ
مَا كَانَ يَعْرُفُ طَيْبٌ عَرَفَ الْمَوْدِ
لَا تَعْرُفُ فَضْلَيْلَةَ الْمَحْسُودِ إِلَّا بِلَسَانِ
الْحَاسِدِ ، كَمَا لَا تَعْرُفُ رَائِحةَ الْمَوْدِ الطَّيْبَةَ إِلَّا
بَعْدَ احْرَاقِ الْمَوْدِ ٠

٧٨٠ - لَمْ أَرْ شَيْئًا صَادِقًا نَقْعَدَهُ
لِلْمَرْءِ كَالدَّرْهَمِ وَالسَّيفِ
أَقْعَدَ الْأَشْيَاءَ لِلْإِنْسَانِ إِنَّا : الْمَالُ
وَالْقُوَّةُ ٠

٧٨١ - لَمَ تَؤْذِنْ الدِّينَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا
يَكُونُ بِكَاءُ الطَّفْلِ سَاعَةً يَوْمَ
يُولَدُ الطَّفْلُ ، حِينَ يُولَدُ ، وَهُوَ يَسْكِي ، لَأَنَّهُ
يَعْرُفُ سُلْطَانًا مَا سُوفَ يَلْقَى مِنْ مَصَابِ الْحَيَاةِ ٠

٧٨٢ - لَمْ تَطْلُبْ الدِّينَا إِذَا لَمْ تَرِدْ بِهَا
مَرْوِرًا مَحِبَّاً أَوْ إِسَاءَةً مُجْرِمًا
لَمَّاذا تَطْلُبُ الْمَالَ إِذَا كُنْتَ لَا تَرِيدُ أَنْ تَرِدَ
مَحِبِّيكَ وَأَصْدِقَائِكَ وَأَنْ تَسْوِي مُنْفَصِيكَ
وَأَعْدَاءَكَ ٠

٧٨٣ - لَمْ يَأْتِ بِالْأَخْبَارِ كَالْخَيْرِ
قَدْ يَخْبِرُ الطَّرَفَ عَنِ الضَّمِيرِ
الْخَيْرُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِالْأَخْبَارِ ، وَالْعَيْنُ ظَهَرَ
مَا فِي الْقَلْبِ ٠

٧٨٤ - لَمْ يَقِنْ شَيْئًا مِنِ الدِّينَا شَرَرَ بِهِ
غَيْرُ الدَّفَاتِرِ فِيهَا الشِّعْرُ وَالسَّمَرُ
لَمْ يَقِنْ لِي مَا يَسْرِنِي غَيْرُ كَتْبِي أَقْرَأُ فِيهَا
الْأَشْعَارَ وَالْأَخْبَارَ ٠

٧٨٥ - لَمْ يَجْتَمِعْ جَمْعًا لِغَيْرِ بَيْنِ
لَفْرَقَةِ كُلُّهُ اجْتِمَاعٌ اثْنَيْنِ
كُلُّ اثْنَيْنِ مَجَمِعَيْنِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَفَرَّقاً ٠

٧٨٦ - لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ مَقْبِلَهُ جَلَّيْ
كَمْدُبِّرِهِ لِمَا عَيْمَيَ الْبَصِيرَ

٧٩٨ — ليسَ الغيِّرَ بيَسِدُ في قومِهِ
لَكِنْ سَيِّدُ قومِهِ المُتَغَابِي
الغَيِّرُ لا يَكُونُ سِيدًا ، وَلَكِنَّ المُتَغَابِي عَنْ
هَفَوَاتِ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ ، هُوَ السِّيدُ ٠

٧٩٩ — ليسَ الشَّيْمَ تَزَيِّنَهُ أثْوَابَهِ
كَالْمِيلَتِ لَيْسَ تَزَيِّنَهُ الْأَكْهَانَ ٠
لَا تَزِينَ اللَّثِيمَ أثْوَابَهُ ، كَمَا لَا تَزِينَ الْمِيتَ
أَكْهَانَهُ ٠

٨٠٠ — ليسَ بِالسِّنِ تَشْتَحِقُّ الْمَتَابِيَا
كَمْ نَجَا بِالزَّلْ " وَعُوْجِلْ بِكَرْ ٠
لِيْسَ تَقْدِيمُ الْإِنْسَانِ فِي سَنَةِ هُوَ الَّذِي
يَبْيِتُهُ ، فَكُمْ عَاهَنَ الْعَجُوزُ وَمَاتَ الشَّابُ ٠

٨٠١ — ليسَ بِعِلْمٍ مَا يَقِي الْقِيَمَطْرُ
مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهَ الصَّدَرُ ٠
الْعِلْمُ فِي الصِّدُورِ لَا فِي السُّطُورِ الْقَمَطِرِ :
الْكِتَابُ وَالدَّفْرُ ٠

٨٠٢ — ليسَ عَلَى اللهِ يَمْتَهِنُكَرْ
أَنْ يَجْمِعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
رَبُّ اِنْسَانٍ وَاحِدٌ كَانَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، يَـ
عَلِهِ وَفَضْلُهِ وَكَرْمُهُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِكَثِيرٍ ٠

٨٠٣ — ليسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا
مَنْ لَهُ وَجْهٌ " وَقَاحٌ
لَا يَدْرِكُ حَاجَاتَهُ إِلَّا الْوَقْعُ الْمَلَاحِ ٠
٨٠٤ — ليسَ لَمَنْ لِيْسَ لَهُ حِيلَةً
إِلَّا عَزَاءً النَّفْسِ بِالصَّبَرِ
مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ تَحْقِيقَ أَمْلَهُ تَعْزِي
عَنْهُ بِالصَّبَرِ ٠

٧٩٢ — لَوْلَا العَقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضِيَافِمِ
أَدْنَى إِلَى شَرَافِ مِنَ الْإِنْسَانِ
لَوْ كَانَ الشَّرَفُ لِلْقُوَّةِ الْبَدْنِيَّةِ لَا لِلْعُقُولِ
لَكَانَ الْأَسْدُ أَشْرَفُ مِنَ الْإِنْسَانِ ٠

٧٩٣ — لَوْلَا الْمُشَكَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ
الْجَنُودُ يَمْفَرِّقُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
لَوْلَا الْجَهَدُ وَالتَّعبُ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ لَا صِبَاعُ
النَّاسِ جَمِيعًا سَادَةً ، وَلَكِنَّ الْمَجْدَ تَكَالِيفَ وَأَعْبَاءَ
فَانَّ الْكَرْمَ يَفْقَرُ صَاحِبَهُ ، وَانَّ الشَّجَاعَةَ تَقْتَلُ رَبِّهَا ٠

٧٩٤ — لَوْلَا ظَرَّ النَّاسُ إِلَى عَيْبِرِمِ
مَا عَابَ إِنْسَانٌ عَلَى النَّاسِ
لَوْلَا ظَرَّ كُلُّ اِنْسَانٍ إِلَى عَيْبِهِ لَمْ يَعْبُ
إِنْسَانٌ اِنْسَانًا ٠

٧٩٥ — لِيَالِيَ بَعْدُ الطَّاعُونَ شَكُولُ
طَوَالٌ " وَلِيلُ الْعَاشِقِينَ طَوَيلٌ
لَقَدْ بَعْدَ أَحَبَّابِي عَنِي فَأَصْبَحَتْ لِيَالِيَ عَلَى
شَكْلٍ وَاحِدٍ فِي طُولِهَا وَأَرْقَهَا وَعَذَابِهَا ، وَلِيَلُ الْعَاشِقِ طَوَيلٌ ٠

٧٩٦ — ليسَ الْجِبَالُ لَوْجَهٌ صَحٌّ مَارِثَ
أَنْفُ الْعَزِيزِ يَقْطَعُ الْعِزَّةَ يَجْتَدِعُ
لَيْسَ الْجِبَالُ بِجَهَالِ الْأَنْوَفِ ، فَرَبُّ عَزِيزٍ
قطْعُ أَنْفِهِ أَنْفَةٌ مِنَ الذَّلِّ وَالْوَضِيمِ ٠

٧٩٧ — ليسَ الْعَجَابُ بِمَقْصِصٍ عَنْكَ لِيَ أَمْلَاً
إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَئُ حِينَ تَحْتَجِبُ
لَقَدْ حَبِّتْ قَسْكَ عَنِي فَلَمْ أَرْكُ ، وَلَكِنَّ
أَمْلِي لَمْ يَنْقُطِعْ مِنْكَ وَالسَّمَاءَ يَرْجِي مَطْرَهَا
وَخَيْرُهَا حِينَ تَحْجَبُهَا الْفَيْوُمُ ٠

٨٠٥ — لَنْ كُنْتُ محتاجاً إِلَى الْحَلْمِ إِنِّي
إِلَى الْجَهَلِ فِي بَعْضِ الْأَحَيَاكِ أَحَوْجُ
أَنَا محتاجٌ إِلَى الْحَلْمِ وَالْعُقْلُ فِي أَكْثَرِ
الْأَحَيَاكِ ، وَلَكِنِي أَحْتَاجُ إِلَى الْجَهَلِ وَالظَّفِيفِ فِي
بَعْضِ الْأَحَيَاكِ ، حَسْبٌ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ ٠

حُرْفُ الْيَمِّ

٨٠٦ — مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
وَأَقْبَعَ الْكُفَّارُ وَالْإِفْلَاسُ بِالرَّجْلِ
مَا أَحْسَنَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ جَامِعاً بَيْنِ
الْدِينِ وَالدُّنْيَا وَمَا أَقْبَعَ أَنْ يَجْمِعَ بَيْنِ الْكُفَّارِ
وَالْفَقْرِ ٠

٨٠٧ — مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ
لَا سِيمَا عَنْ غَيْرِهِ ذَي نَاصِرٍ
مَا أَحْسَنَ الْقَادِرُ الذِّي يَغْفِرُ وَلَا سِيمَا عَنْ
الْعَسِيفِ الذِّي لَيْسَ لَهُ مِنْ يَنْصُرِهِ ٠

٨٠٨ — مَا أَخْدَعَ الدِّينَا لِكُلِّ عَاقِلٍ
مَا أَصْرَعَ الدِّينَا لِكُلِّ جَاهِلٍ
الْدِينَا تَخْدُعُ الْعَاقِلَ وَتَهْلِكُ الْجَاهِلَ ٠

٨٠٩ — مَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا فِي حَاجَةٍ
أَمْضَى وَلَا أَنْجَعَ مِنْ دَرَرِهِ
أَحْسَنَ رَسُولٌ يَرْسِلُ إِلَيْنَا لِقَضَاءِ
حَاجَتِهِ ، هُوَ الدَّرَرُ ٠

٨١٠ — مَا أَعْجَبَ الدَّهَرَ وَمِنْ عَجَابِهِ
تَقْلِبُ إِلَيْنَا فِي قَوَالِيهِ
الَّدَّهَرُ عَجِيبٌ ، وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ تَقْلِبٌ
أَحْوَالُهُ ٠

٨١١ — مَا أَقْطَعَ الْأَجَالَ لِلْأَمَالِ
وَأَسْرَعَ الْأَمَالَ فِي الْأَجَالِ
الْمَوْتُ يَقْطَعُ الْأَمْلَ ، وَالْأَمْلُ يَقْرَبُ الْأَجَلِ ٠

٨١٢ — مَا الَّذِي عِنْدَهُ تَدَارُّ الْمَنَابِيَا
كَالَّذِي عِنْدَهُ تَدَارُّ الشَّمُولِ
لِيْسَ الرَّئِيسُ الَّذِي يَحْارِبُ وَيَدِيرُ كُوْسَوْ
الْمَوْتُ ، مُثْلِ الرَّئِيسِ الَّذِي يَلْهُو وَيَدِيرُ كُوْسَوْ
الْخَمْرِ ٠

٨١٣ — مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدِّينِ وَصَاحِبِهَا
فَكِيفَمَا انْقَلَبْتُ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا
النَّاسُ أَصْدِقَاءَ مِنْ كَانَ الدِّينُ مَعَهُ فَإِذَا
انْصَرَفَ عَنْهُ ، انْصَرَفُوا عَنْهُ ٠

٨١٤ — مَا إِنْ يَضُرَّ الْعَضْبُ كَوْنُ قَرَابِهِ
خَالَقَهُ وَلَا الْبَازِرِي حَقَّارَةُ عَشَّتِهِ
لَا يَضُرُّ السِّيفُ الْقَاطِعُ أَنْ يَكُونَ عَمَدَهُ
بِالْيَا ، وَلَا يَضُرُّ النَّرُ الْقَوِيُّ أَنْ يَكُونَ عَشَّهُ
حَقِيرًا ٠

٨١٥ — مَا أَوْلَعَ النَّفْسَ بِسُوءِ الظَّنِّ
مَا أَسْرَعَ النَّفْسَ إِلَى التَّمَنِي
النَّفْسُ مَوْلَعَةُ بِسُوءِ الظَّنِّ بِالنَّاسِ ، وَالنَّفْسُ
سَرِيعَةُ إِلَى الْأَمَانِيِّ وَالْأَحَلَامِ ٠

٧١٦ — مَا بَالُ عَرِضِكَ تَرْضِي أَنْ تَدَشِّسَهُ
وَتُنْوِبُ جَلْدِكَ مَفْسُولٌ مِنْ الدَّنَسِ
لِمَا ذَا تَرْضِي بِدَنَسِ شَرْفِكَ ، وَتُنْوِبُكَ ظَفِيفٌ
لَا دَنَسَ فِيهِ ٠

- ٨١٧ - ما تنتهي حسرة "مني ولا جرَعْ"
إذا ذكرت شباباً ليسَ يترجح
لا أذكر شبابي الذي ذهب ولن يعود الا
تحسرت عليه .
- ٨١٨ - ما حَكَّ جلدَكَ مثلَ ظفَرِكَ °
فتَوَلَّ أنتَ جمِيعَ أُمُرِكَ °
لا يحك جلدَكَ غيرَ ظفرَكَ ، فَقَسَمَ أنتَ
بكلِّ أَعْمَالِكَ .
- ٨١٩ - ماذا لقيت من الدّنيا وأعجبَه
أنتَ بما أباكِ مِنْهُ محسودٌ
لم ألقِ من الدّنيا غيرَ الشرِّ ، ومع ذلك
فالناس يحسدوني على ما أشكو منه .
- ٨٢٠ - ما ذاقت النّفسُ على شموعِ
الذَّهَنِ مِنْ وَدَ صديقٍ أمينٍ °
أطيب اللذات صدقة صديق مخلص .
- ٨٢١ - ما ضرَّني حسدَ اللثامِ ولم يزالَ °
ذو الفضلِ يَحْسُدُهُ ذُوو التَّصْبِيرِ
لا يضرني حسد اللثام لي ، فالفضل دائمًا
يحسده الناقص .
- ٨٢٢ - ما طابَ فرعٌ "أصله خَيَثٌ"
ولا زَكَا مِنْ مَجْدَهُ حَدِيثٌ
لا يطيب الفرع اذا كانت الشجرة خيشة ،
وكل حديث الفنى والمجد لا يسموا ولا يرتفع .
- ٨٢٣ - ما طابَ فرعٌ لا يطيبُ أصله
حَمَى مَوَاحِدَةَ اللَّيْلِ فِعْلَهُ °
لا يطيب فرع أصله غير طيب ، وأنتَ
لا تصادق اللثيم لأنك ترى ما يفعل .
- ٨٢٤ - ما طارَ طيرٌ فارتَفعْ °
إلا كما طارَ وَقَعْ °
مهما ارتفع الطير فلا بد له من الوقوع ،
ومهما علا الجبل فلا بد أن ينخفض .
- ٨٢٥ - ما عَوَضَ الصَّبَرَ امرؤٌ إلا رأى
ما فاته دونَ الذي قدْ عَوَضَهَا
اذا كان الانسان متعمدا بالصبر وجده
عوضا له عن كل ما فاته تحقيقه .
- ٨٢٦ - ما كَلَّ قُولٌ لَهُ جَوابٌ °
جَوابٌ ما يَكْتُرُهُ السَّكوتُ °
قد يبقى الكلام دون جواب ، وجواب
الشيخ المكوت عنه .
- ٨٢٧ - ما كَلَّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرءُ يَدْرِكُه
تجري الرياحُ بما لا تستهوي الشفنَ °
لا يدرك الانسان كل ما يتمنى كما أن
السفن لا تلائهما الرياح على الدوام .
- ٨٢٨ - ما كَلَّ مَنْ طَلَبَ الْمَعْلَى نَافَذَهُ °
فيها ولا كَلَّ الْرِّجَالُ فَتَحُولَا
ما كل من طلب المجد ناله ، وليس كل
الرجال أبطالا .
- ٨٢٩ - ما كَتَأْتَ أَوْ في شبابي كَتَهُ عَزَّتهِ °
حتى انتهى فإذا الدنيا له تَبَعَّمَ °
ما كنت أعرف قيمة شبابي حتى فقدته ،
فقدت عند فقدته كل مرات الدنيا .
- ٨٣٠ - ما لِلرِّجَالِ وَلِلتَّسْمِعِ إِئْمَانٌ °
خَلَقُوا لِيَوْمٍ كَرِيمَةً وَكَفَاحٌ °
لا يليق بالرجال التبتع بحياة الترف
والنعم ، فهم خلقوا للنضال والكفاح .

- ٨٣٨ - مُحَسَّد" بخلالٍ فيه فاضلةٌ
وليسَ تفترقُ النماءُ والحسدُ
هذا الرجل محسود لأنَّه فاضلٌ ، والفضل
مقترن بالحسد٠
- ٨٣٩ - مِحنَ الزمانَ كثيرةٌ" لا تنقضي
وسرورُه يأتيكَ كالأعيادِ
مصابِ الزمان لا تنتهي ، وأفراحِ الزمان
تأتي بين حين وحين كالأعياد٠
- ٨٤٠ - مدحتك مدحَةَ السيفِ المُحَاجَى
فَلَمَا أَنْ ضَرَبْتَ بِكَ اثنينِ
مدحتك كما أُمْدَحَ السيف ، ولكنك
واليأسِ لم تستحقِ المديح ، فكنت كالسيف
لما ضربت به بنا٠
- ٨٤١ - مَسَرَّةُ الدِّينِيَا إِلَى تَغْيِيرِ
وَرْبَّاً أَكْنَدَتْ يَدَ الْحَرَيصِ
عاقبةِ السرورِ الكدر ، والحرirsch ربما
أوقفَه حرصه٠
- ٨٤٢ - مطالبُ الخيرِ جميـعاً سَهْلَهـ
والخيرُ لا يَطْلَبُ إِلَّا أهلهـ
عملُ الخير سهلٌ ، وله أهله٠
- ٨٤٣ - مُلْتَسِمُ الحمدِ بِأعمالِ الْكَذَبِ
كَمْتَخِرُجُ الْحَكْمَةِ مِنْ قلبِ خَبَرِ
من طلب حمد الناس له بالباطل ، مثل من
يطلبُ الْحَكْمَةَ مِنْ الْمُجْنونِ٠
- ٨٤٤ - مَلَكٌ "تسوس" لِلْمَكَارِمِ نَفْسَهُ
والمجدُ حُسْنٌ سياسةُ النَّفْسِ
هذا الملك تقوده نفسه إلى فعل المكرمات ،
ولا ينال المجد الا بحسن سياسة النفس٠
- ٨٣١ - ما لم يضقُ خُلُقُ النَّسَى
فِي الْأَرْضِ واسعةً" عليه
اذا لم يضق أهل الفتى وصدره ، فالدنيا
واسعة ، والارض كبيرة٠
- ٨٣٢ - ما وَهَ اللَّهُ لَامِرٌ هِبَةٌ
أشَرَفَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
أَحْسَنَ هَبَاتِ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ : العُقْلُ وَالْأَدَبُ٠
- ٨٣٣ - ما يَكُونُ الْأَمْرُ سَهْلًا كُثُرٌ
إِنَّمَا الدِّينِيَا سَهْلَهـ وَحَزْوَنٌ
ليست الحياة كلها سهلة ، بل فيها السهل
والصعب٠
- ٨٣٤ - مَتَى تَرَدَ الشَّفَاءُ لِكُلِّ غَيْظٍ
تَكْتُنُ مَا يَغْيِظُكَ فِي ازْدِيَادِ
اذا أردت أن تشفى نفسك من كل من
يغطيك ظللتك في غيظ دائم٠
- ٨٣٥ - مَتَى تَضَمِّنَ الْكَرَامَةَ فِي لِئِيمٍ
فَإِنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ إِلَى الْكَرَامَةِ
اذا أكرمت اللئيم أهنت الكرامة٠
- ٨٣٦ - مَتَى مَا تَقْدِي بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ يَأْتِيهِ
إِنْ تَقْدِي الْكَطُوادَ بِالْحَقِّ تَنْقَدِ
الْحَقُّ لَا يَنْقَادُ بِالْبَاطِلِ ، وَتَنْقَادُ لِلْحَقِّ
الجبال٠
- ٨٣٧ - مجدي أخيراً ومجدي أولـاً شرـاعـ
والشمسـ رأـدـ الصـحـيـ كالـشـمـسـ فـيـ الطـفـلـ
مجـديـ فـيـ شـبـابـيـ مـثـلـ مجـديـ فـيـ شـيـخـوـختـيـ؛
وـالـشـمـسـ عـنـدـ الصـبـاحـ مـثـلـ الشـمـسـ عـنـدـ الـمـسـاءـ٠

- ٨٤٥ — منْ أَبْرَمَ الْأَمْرَ بِلَا تَدِيرٍ
صَيَّرَهُ الدَّهْرُ إِلَى تَدْمِيرٍ
منْ طَلْبِ أَمْرًا دُونَ تَدِيرٍ وَلَا وَعِيٌّ أَصَابَهُ
الْدَّمَارُ ٠
- ٨٤٦ — مَنْ أَجَابَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا يَدِيرُ
عَوَّالِيهِ دَاعِيَهُ ضَلَّلَ وَتَاهَاهُ
مِنْ أَجَابَ هَوَاهُ ضَلَّلَ ٠
- ٨٤٧ — مَنْ أَطَاقَ التَّمَاسَ شَيْءٌ غَلَابًا
وَاغْتَصَابَ لَمْ يَلْتَسِهُ سُؤَالًا
مِنْ اسْتِطَاعَ أَنْ يَحْقِقَ أَمَانِيهِ غَضْبًا وَحَرَبًا،
لَمْ يَطْلُبْهَا سَلَامًا وَتَوْسِلًا ٠
- ٨٤٨ — مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
قِبْصِهِ مُهْنَمْ صَلَلَ وَثَعَبَانَ
مِنْ أَمْنِ الْأَشْرَارِ كَانَ كَمْنَ يَنَمُّ وَفِي ثَيَابِهِ
الْأَفَاعِيِّ ٠
- ٨٤٩ — مَنْ اشْتَكَى الدَّهْرَ أَطَالَ الشَّكْوَى
وَالْدَّهْرُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ عَدْوَى
لَا فَائِدَةَ مِنْ شَكْوَى الدَّهْرِ، فَلَيْسَ لَهُ
مِنْ يَنْصُرُهُ عَلَيْهِ ٠
- ٨٥٠ — مِنْ الْحَلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
إِذَا اتَسَعَتْ فِي الْحَلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ
قَدْ تَضْطَرُ إِلَى اسْتَعْمَالِ الْجَهْلِ بَدْلَ الْحَلْمِ،
إِذَا كَانَ الْحَلْمُ يَوْقُعُكَ فِي الظُّلْمِ ٠
- ٨٥١ — مِنْ الْقَلِيلِ يُجْمَعُ الْكَثِيرُ
رَبُّ صَفَرٍ قَدْرُهُ كَبِيرٌ
الْكَثِيرُ يَأْتِي مِنْ الْقَلِيلِ، وَالصَّفَرُ لَهُ قِيمَةٌ
كَبِيرٌ ٠
- ٨٥٢ — مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْشَى الْأَبَادَعَ قَعْثَهُ
وَتَكْشِفُهُ بِهِ حَتَّى الْمَاتِ أَفَارِبُهُ
مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْقَى بِهِ الْأَقْرَابَ وَيَسْعُدُ
بِهِ الْأَجَانِبُ ٠
- ٨٥٣ — مَنْ أَمِنَ الدَّهْرَ أَتَبِي مِنْ مَأْمَنِهِ
لَا تَشْتَرِرُ ذَلِكَ الْبَدَلُ مِنْ مَكْتَبَهُ
إِذَا أَمِنَتِ الدَّهْرَ أَصَابَكَ مِنْ مَوْضِعِ أَمْنِكَ،
وَإِذَا كَانَ الْلَّيْلُ رَابِضاً فِي عَرِينِهِ، فَلَا تَشْتَرِرُ
وَلَا تَهْيَّجْهُ ٠
- ٨٥٤ — مِنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالُ النَّاسِ قَاطِبَةً
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَكَتَانٌ
مِنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالُ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَالْمَالُ
يَفْتَنُ الْإِنْسَانَ ٠
- ٨٥٥ — مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ لَمْ يَظْفِرْ بِحَاجَتِهِ
وَفَازَ بِالْطَّيَّابِاتِ الْفَاتِكَ الْكَعْجُ
مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ لَمْ يَحْقِنْ آمَالَهُ، وَمِنْ
كَانَ فَاتِكًا مُصْرِأً عَلَى مَطَالِبِهِ فَازَ بِالْطَّيَّابِاتِ ٠
- ٨٥٦ — مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ مَاتَ غَمًا
وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسْوُرِ
مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ قَتَلَهُ غَمَهُ، وَالْجَسْوُرُ
يَفْسُوزُ بِمَا يَرْجُوهُ ٠
- ٨٥٧ — مِنْ سَأَلَ النَّاسَ تَجْنِبُوهُ
وَلَمْ يَتَوَسَّهُ وَخَيَّبُوهُ
مِنْ سَأَلَ النَّاسَ مُلْتَوِهِ وَتَرَكُوهُ ٠
- ٨٥٨ — مِنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
وَعَاشَ وَهُنُّ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانٌ
مِنْ سَالَمَ النَّاسَ سَلَمٌ ٠

- ٨٦٦ — من كان للعقل سلطان " عليه غدا
و ما على نفسه للحر ص سلطان
من حكم عقله لم تسيطر عليه نفسه
ولا حر صها .
- ٨٦٧ — من كان مرمي عزمه وهو منه
روض الأماني لم يزال مهزولا
من رعن الأماني الكاذبة عاش هزلا .
- ٨٦٨ — من لاح في عارضه القتير
فقد أتاه بالليل نذير
من لاح الشيب في عذاره كان نذيرا له بفتائه .
- ٨٦٩ — من " تستعنه حيّة " مَرَة
تراء مذعوراً من الحبْل
من لدغته العية خاف من الجبل .
- ٨٧٠ — من " لك بالمحض وليس محض "
يُخْبِثُ بعضاً " ويُطْبِبُ بعضاً
أين الإنسان المبرأ من كل عيب ؟ انه
لا وجود له ، فالإنسان خبيث حيناً وطيب حيناً .
- ٨٧١ — من " لك يوماً بأخيك كلكه "
من لم تجدهم هكذا فخذله
هل تستطيع أن تملك أخاك كله ؟ اذا
استطعت فتمسّك به وان لم تستطع فاتركه .
- ٨٧٢ — من " لم تئنْه عبراً أيامه "
كان المعنى أولى به من المدى
من لم يعتبر بحوادث الزمان كان أعلى .
- ٨٧٣ — من لم يعظه الدهر لم يفتهن ما
راح به الواقع يوماً أو غداً
من لم يعظه الدهر لم يعظه الناس .
- ٨٥٩ — من شباب قد مات وهو حي
يمشي على الأرض متّي هالك
من شاب مات وان كان حيا .
- ٨٦٠ — من عفٌ خفٌ على الصديق لقاوه
وأخوه الحوائج واجهه متعلول
من عف خف على قلوب الاصدقاء ، ومن
اللح في طلب الحاجات مله الناس .
- ٨٦١ — من " فاته ود آخر صادق "
فذلك المغبون حَقَ اليقين
من لم يكن له آخر صادق فهو خاسر حقا .
- ٨٦٢ — من قاس ما لم يرَه بما رأى
أراه ما يدْنُو اليه ما نَأى
من قاس ما لا يراه من الامور بما رأه
منها رأى البعيد قريبا ، وحكم على المستقبل
بالماضي .
- ٨٦٣ — من قنع استغنى ولاقي حظاً
ولم يخف لائمة ووعظا
من قنع استغنى عن الناس ولم يلمه
أحد .
- ٨٦٤ — من كان فوق محل الشمس موضعه
فليس يرافقه شيء ولا يَفْسَعُ
من كان شريفا ، مثل الشمس ، لم يرافقه
أحد ولم يغضبه أحد .
- ٨٦٥ — من كان للخير مناعاً فليس له
على الحقيقة إخوان " وخليان
من منع خيره لم يجعل صديقا .

- ٨٧٤ - من لم يقِفْ عند انتهاء حَدَّه
تقاصرتْ عنه فِي حَيَاتِهِ الخُطَا
من لم يقف عند حده ضاقت به خطاءه
- ٨٧٥ - من لم يكن عَقْلَهُ يُؤَذِّبُهُ
لم يغنه واعظٌ من الأدبِ
من لم يؤذبه عقله لم يؤذبه الناس
- ٨٧٦ - من لم يواسِرَ النَّاسَ مِنْ قَضْلِهِ
عَرَضَ لِلأَدِبَارِ إِقْبَالَهُ
من لم يعن الناس بفضله وماله أذبر حظه
مِنْهُمْ بَعْدِ الاقْبَالِ .
- ٨٧٧ - مَنْ لَمْ يُؤَذِّبْهُ وَالسَّادَاهُ
أَدَبَّهُ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ
من لم يؤذبه أبوه وأمه أدبه الدهر بأيمه
وَلِيَالِيهِ .
- ٨٧٨ - مَنْ مَاتَ فَاتَّ وَفِي الْمَاقِبِرِ يَسْتَوِي
تحتَ التَّرَابِ شَرِيفَهُ وَوَضِيعَهُ
مَنْ مَاتَ فَاتَّ وَالنَّاسُ يَتَسَاوَلُونَ فِي الْمَاقِبِرِ
سَوَاءً أَكَانُوا شُرَفاءَ أَمْ وَضِعَاءَ أَغْنِيَاءَمْ فَقَرَاءَ .
- ٨٧٩ - مَنْ نَاطَ بِالْجَحْبِ عَرِيَ أَخْلَاقَهُ
نَيَطَ عَرِيَ الْمَلْقَتِ إِلَى تِلْكَ الْمَرْقَى
مَنْ عَجَبَ بِأَخْلَاقِهِ مَقْتَهُ النَّاسُ .
- ٨٨٠ - مَنْ يَحْتَفِرُ حَفْرَةً يَوْمًا سَيْزِرُ لَهَا
فَإِنْ حَفَرْتَ فَوَسَعْ حِينَ تَحْتَفِرُ
مَنْ حَفَرَ حَفْرَةً وَقَعَ فِيهَا .
- ٨٨١ - مَنْ يَخْبَرُكَ بِشَمْمِهِ عنْ أَخْرَهِ
فَهُوَ الشَّامُ لَا مَنْ شَتَمَكَ
شَتَمَكَ مَنْ بَلْفَكَ الشَّتِيمَةَ .
- ٨٨٢ - مَنْ بَرَّ يَوْمًا بَثَرَ بِهِ
وَالدَّهَرُ لَا يَغْتَرُ بِهِ
مَنْ بَرَ النَّاسَ بِرَهُ النَّاسُ ، فَلَا يَغْتَرُ بالدَّهَرِ .
- ٨٨٣ - مَنْ يَزْرُعُ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ
نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِسَانَهُ
مَنْ يَزْرُعُ الشَّرَ يَحْصُدُ النَّدَامَةَ ، وَلَكُلَّ
زَرْعٍ حَصَادَهُ .
- ٨٨٤ - مَنْ يَزْرُعُ الْمَرْوَفَ يَحْصُدُ مَارْضِيَّهُ
لِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةً سَتَقْضِيَ
مَنْ يَزْرُعُ الْمَرْوَفَ يَحْصُدُ الْمَرْوَفَ ، وَلَكُلَّ
شَيْءٍ نَهَايَةً .
- ٨٨٥ - مَنْ يَسْتَعِنُ بِالرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ
يَسْتَخْرُجُ الْحَيَاةَ مِنْ وَكْرَهَا
مَنْ تَرَقَّ في امْورِهِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ الْحَيَاةَ
مِنْ وَكْرَهَا بِالْحِيلَةِ وَالدَّهَاءِ .
- ٨٨٦ - مَنْ يَعْرِفُ الشَّمْسَ لَا يَنْكِرُ مَطَالِعَهَا
أَوْ يَجْهَلُ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمُ الرَّمَكَا
مَنْ يَعْرِفُ الشَّمْسَ لَا يَتَكَبَّرُ جَمَالَهَا عِنْدَمَا
تَشَرُّقُ ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَيْلَ الْكَرِيمَةَ بَحْثَهُ لَهَا عَنْ
أَبْ كَرِيمٍ وَأَمْ كَرِيمَةٍ .
- ٨٨٧ - مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ لَا يَجِدُ أَحَدًا
تَصْحَّحَ مِنْهُ لَهُ سَرَائِرَهُ
مَنْ عَرَفَ النَّاسَ لَمْ يَجِدْ فِيهِمْ مِنْ هُوَ
صَافِي الضَّمِيرِ .
- ٨٨٨ - مَنْ يَلْدُغُ النَّاسَ يَجِدُ مِنْ يَلْدَعَهُ
لَا يَعْدُ الْبَاطِلَ حَقَّا يَدُ مَعْنَهُ
مَنْ أَسَاءَ إِلَى النَّاسِ أَسَاءَ إِلَيْهِ النَّاسُ ،
وَلَا بدَ لِلْحَقِّ أَنْ يَدْفَعَ الْبَاطِلَ وَأَنْ يَتَصَرَّفَ عَلَيْهِ .

٨٩٥ - نسيئك من ناسبت بالود قلبه
وجارك من صافيت لا من تصايب
قريبك من قرب قلبه من قلبك ، وجارك
من صفي لك وده لا من جاورك في دارك .

٨٩٦ - تسمى وأيس هذا السعي يكتفينا
لولا تطابقنا ما ليس يعنينا
نحن نكدر ونسعى دون هواة ، لأننا
نطلب أشياء كثيرة منها الضروري ومنها
ما نستغني عنه ، ولو اكتفينا بالقليل كفانا
العمل المعمول .

٨٩٧ - ظل "فرح" بالأيام نقطعها
وكمل "يوم ماضى يتدنى من الأجل"
نحن فرح بالأيام التي تمر بنا ، وكل يوم
منها يقربنا من القبر ويعدنا عن يوم الولادة .

٨٩٨ - نعم الصديق "صديق" لا يتكلّفنا
ذبح الدجاج ولا شئ الفرار بغير
نعم الصديق الذي لا يكلفك شيئاً ،
يأتي إلى زيارتك شبعان فلا تطعمه ، ورثيّان
فلا تسقيه .

٨٩٩ - نعم العين على المروءة للفتنى
مال "يصون" عن التبذيل نفسه
المال يعين الفتى على أعمال الخير والمروءة ،
ويصون كرامته ، فنعم هو .

٩٠٠ - نعم دعت الدنيا إلى الفدر دعوة
أجاب إليها عالم "وجهول"
لقد دعت الدنيا الناس إلى الفدر ، فأجابها
العالم والجهل ، وأصبح الناس كلهم غادرين .

٨٨٩ - من يمْهَنْ يسلِّل الموان عليه
ما لجرح بيته إسلام
من كان ذليلا سهل عليه الذل ، فهو مثل
الميت لا تؤله الجراح .

حروف النون

٨٩٠ - نافس على الخيرات أهل العلا
فإنما الدنيا أحاذيث
احرص على فعل الخير ونافس عليه أهل
الخير ، فستبقى لك الذكرى في الدنيا ، والدنيا
أحاديث وأخبار .

٨٩١ - ثبّتْ عمراً غير شاكر نعمتي
والكفر مخبأة لنفس المتع
علمت أن (عمرأ) يكفر أحساني ، وكفر
النعمة يعكر نفس المحسن ، ويعقدها .

٨٩٢ - نحن بنو الموت فما بالنا
نعاشر ما لا يُسدَّ من شره
نحن أبناء الموت فلماذا تخاف شرب كأسه ،
وهو ما لا فرار منه .

٨٩٣ - ندم زماننا والعيب فيما
ولو تطّقَ الزمان إذا هجانا
نحن ندم الأيام والعيب فيما لا فيها ،
ولو تكلمت الأيام لذمتنا وهجتنا كما ندمنها
ونهجوها .

٨٩٤ - نروح ونفدو حاجاتنا
وحاجات من عاش لا تنقضي
نحن نسمى في طلب حاجاتنا في الليل
والنهار وحاجات الإنسان لا تنتهي ما دام حيا .

حرف الهاء

- ٩٠٧ - هبْ الفتى نالَ أقصى ما يؤمّنُه
أليسَ راعيَ المايا خلُفهُ حُطُمٌ
مِمَّا عاشَ الْإِنْسَانُ وَمِمَّا حَقَّ آمَالُهُ
فالموتُ في انتظارهِ ٠
- ٩٠٨ - هجَوْتُ زهِيرًا ثُمَّ إِتَيْتُهُ مَدْحَثَهُ
وَمَا زالتُ الأشْرَافُ تَهْجِي وَتَشْدَدُهُ
لقد هجوت صديقي زهيرا دون حق ثم
مدحته بحق ، والأشراف يهجون ويُشدّدونهُ ٠
- ٩٠٩ - هذَا زَمَانٌ "أَلْحَانُ النَّاسِ" فِيهِ عَلَى
زَهْرِ الْمُلُوكِ وَهِمَاتِ السَّاكِنِ
نَعْنَيْشُ فِي زَمْنٍ يَحْرُصُ فِيهِ الْمُلُوكُ عَلَى
أَبْهَةِ الْمُلُكِ وَلَكِنْ هَمَّتْهُمْ هَمَّ الْأَضْعَافِ ٠
- ٩١٠ - هلُّ الْحَيَاةُ لِذِي الدُّنْيَا وَلَوْ عَذَّبَتْ
الْأَكْثِيفُ خِيَالُهُ فِي الْكَرَى زَارَهَا
الْحَيَاةُ مُثْلُ الْحَلْمِ ٠
- ٩١١ - هلُّ الدَّهْرُ إِلَّا ضِيقَةٌ وَانْكِشَافُهَا
وَشَيْكًا إِلَّا شَدَّةٌ وَانْفِرَاجُهَا
الْحَيَاةُ ضِيقٌ يَسْعُ وَشَدَّةٌ تَنْفَرُ ٠
- ٩١٢ - هلُّ الدَّهْرُ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَتَضَعِّي
بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ خَفْضٍ
الْحَيَاةُ سَاعَةٌ تَتَسْبِي بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ فَقْرٍ
وَغَنِيٍّ ٠
- ٩١٣ - هل بالحوادثِ والأيامِ من عَجَبٍ
أمْ هلْ إِلَى رَدَّ ما قَدْ فَاتَ منْ طَلْبٍ
لا عَجَبٌ فِي حَوَادِثِ الْأَيَامِ وَلَيْسَ لَمَاضِي
عُودَةٍ ٠

- ٩٠١ - نفسُ عِصَام سَوَادَتْ عِصَاماً
وَعَلَمْتُهُ الْكَرَّةُ وَالْأَقْدَامَا
عِصَامٌ هُوَ الَّذِي سَوَادَ نَفْسَهُ وَعَلَمَهَا
الشَّجَاعَةُ وَالْأَقْدَامُ - المصاصيَةُ : الْأَعْتَادُ عَلَى
النَّفْسِ فِي بَنَاءِ الْإِنْسَانِ لِسَيْقَلِهِ ٠
- ٩٠٢ - نُقْدَرُ الْأَمْرُ وَلَسْنَا نَنْدَرِي
أَنَّ الْمَقَادِيرَ عَلَيْنَا تَجْرِي
نَحْنُ نَقْدِرُ الْأَمْرُ وَالْأَقْدَارُ تَقْدِرُهَا لَنَا
وَنَحْنُ لَا نَنْدَرِي ٠
- ٩٠٣ - نَقْتَلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شَتَّتَ مِنَ الْمَوْى
مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَحَبُّ مَنْ شَتَّتَ فَالْحَبُّ لَا يَقْنِي خَالِصَا الْأَوَّلِ
لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ ٠
- ٩٠٤ - نَامَ وَمَا لَيْلٌ مَاضِيْمِ بِنَائِمٍ
وَقَدْ تَرَقَدَ الْعَيْنَانِ وَالْقَلْبُ سَاهِرٌ
لَا يَنْامُ الْمَظْلُومُ عَلَى ظُلْمِهِ ، فَإِذَا نَامَ عَيْنَاهُ
فَلَقْبِهِ سَاهِرٌ ، يَفْكِرُ فِي دُفَعِ الْأَضِيمِ عَنْهُ ٠
- ٩٠٥ - نَهَارٌ بِرَزُولٍ وَلَيْلٌ يَكْرُرُ
كَذَاكَ الزَّمَانُ عَلَيْنَا يَمْرُ
هَكَذَا تَمْضِي الْحَيَاةُ : نَهَارٌ يَمْضِي وَلَيْلٌ
يَأْتِي ٠
- ٩٠٦ - نَهِيُّكَ لَا تَجْعَلْ بِعَسْبِ لِصَاحِبِ
لَعْلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ
لَا تَجْعَلْ بِعَتَابِ صَاحِبِكَ ، فَلَعْلَكَ تَلُومَهُ
وَهُوَ مَعْذُورٌ ٠

- ٩١٤ - هُوَ رَضِيَا لِبَانٍ : حَكْمَةٌ وَتَقْيٰ
 وَسَاكِنَا وَطَنٍ : مَالٌ وَطَفْيَانٌ
 الْحَكْمَةُ وَالْتَّقْيَى أَخْوَانُ الْمَالِ وَالظَّفَيَانُ
 جَارَانٌ ٠
- ٩١٥ - هُمَا سِيَانٌ مِنْ مُثْلِكٍ وَشَكٍ
 يَنْبِلَانٌ الْفَتَنِ شَرَفًا رَفِيعًا
 يَسَاوِي الْمَلْكَ وَالنَّسْكَ إِذَا وَصَلَ الْإِنْسَانُ
 بِواحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الشَّرْفِ أَوِ الْمَجْدِ ٠
- ٩١٦ - هُمُولَامُولِيمٍ وَلَسْنُنَ لَهُمْ
 وَالْعَارِ يَبْقِي وَالْجَرْحُ يَلْتَسِمُ
 يَعِيشُ هُؤُلَاءِ النَّاسُ لِيَجْمِعُوا الْمَالَ ، فَهُمْ
 مَلِكُ الْمَالِ وَلَا يَسْكُنُ الْمَالُ مَلْكًا لَهُمْ ، وَسَيْقَنُ
 عَلَيْمِ الْعَارِ ، أَمَّا حَاجَاتِ النَّاسِ الْيَمِينِ فَسَتَذَهَّبُ
- ٩١٧ - هُيَ الْمَقَادِيرُ فَلَشْتُنِي أَوْ قَدْرَ
 إِنْ كَتَ أَخْطَلَتُ فَمَا أَخْطَلَ الْقَدْرَ
 لَنِي أَنْ شَتَّتُ أَوْ لَا تَلْمِنِي ، فَأَسَا بِذَلِكَ
 جَهْدِي فَأَخْطَلَتُ الْمَهْدِ وأَصَابَ الْقَدْرَ ٠
- ٩١٨ - هُوَ الْمَالُ إِنْ أَمْسَكْتَهُ أَوْ بِذَلِكَ
 فَظَاهَلَكَ مِنْهُ مَا كَمَى الْجَوْعَ وَالْمُرْيَا
 مَهْمَا كَنْتَ غَنِيَا فَانْ حَلَكَ مِنْ غَنَاكَ هُوَ أَنْ
 تَأْكُلَ فَلَا تَجُوعَ ، وَتَلْبَسَ فَلَا تَمْرِي ٠
- ٩١٩ - هُوَنَنِ الْأَمْرُ تَعْشِنُ فِي رَاحَةٍ
 قَلَّهُ مَا هُوَنَتُ إِلَّا سَيْهُونُ
 هُوَنَنِ عَلَيْكَ الْأَمْرُ تَسْعَدُ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ
 تَهْوَنَهُ إِلَّا أَصْبَحَ هَيْنَا ٠
- ٩٢٠ - هُوَنَنِ عَلَيْكَ صَرْوَفُ الدَّهْرِ وَالْوَزْمَنِ
 وَعَشَ حَيْدَا بِلَا هَمْ وَلَا حَزَنَ
- ٩٢١ - هُوَنَنِ عَلَيْكَ فَهَنَ كُلَّ شَدِيدَهُ
 إِنْ لَمْ تَشَدَّدْهَا عَلَيْكَ تَهْمُونُ
 هُونَ عَلَيْكَ مَا يَحْلُّ بِكَ مِنْ مَصَابٍ ، فَكُلَّ
 شَيْءٍ يَهْوَنَ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَهْمُوْلَهُ ٠
- ٩٢٢ - هُوَنَنِ عَلَيْكَ فَلَيْسَ كُلُّ
 النَّاسِ يَعْتَطِي مَا يَسْوَدُ
 هُونَ عَلَيْكَ عَدْمُ وَصُولُكَ إِلَى أَهْدَافِكَ
 فَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَنْالُونَ آمَالَهُمْ فِي الْحَيَاةِ ٠
- ٩٢٣ - هُيَ الْأَيَامُ مِنْ وَهْنِ يَعْكَشِي
 بَأْيَسِيَّةٍ وَمِنْ قَصْرِ يَشَدِّدَكَ
 هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ : أَبْنِيَةٌ تَعْلُو وَأَبْنِيَةٌ تَهْدَمُ ٠
- ٩٢٤ - هُيَ الدِّينِيَّ تَقُولُ بَلِّي فِيهَا
 حَذَارٌ حَذَارٌ مِنْ بَطْشِي وَفَتَكِي
 الدِّينِيَّ تَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : احْذَرُوا
 بَطْشِي ٠
- ٩٢٥ - هُيَ الْمَقَادِيرُ تَجْرِي فِي أَعْنَتِهَا
 فَاصِبٌ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالٍ
 الْأَقْدَارِ تَجْرِي كَمَا تَرِيدُ ، فَاصِبْرْ لَهَا فَإِنَّهَا
 لَا تَصْبِرُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ سَرْعَانَ مَا تَتَحْوِلُ ٠
- ٩٢٦ - هُيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحْمَلُ
 وَلَلَّدَهْرِ أَيَامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
 النَّفْسُ تَحْمِلُ مَا تَحْمِلُهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ،
 وَالْحَيَاةُ أَيَامٌ فِيهَا الظُّلْمُ وَفِيهَا الْعَدْلُ ٠

نشر فضيلة الرجل الفاضل الذي يكتسم
علمه وفضله منوط بلسان حاسد يحده ويذمه
فيعرفه الناس .

٩٣٤ — وإذا أرادكَ صاحبَ " بخفائه " جعل التجني للجفاءِ سبيلاً
اذا أراد صاحب لك هجرك ظلمك وتجني
عليك وادعى عليك ما لم تقل وما لم تفعل .

٩٣٥ — وإذا استوتْ للنيلِ أجنهة " حتى يطيرَ فقدَ دُنْيَا عَطَبَهُ "
اذا نبت جناح للنملة دُنْيَا هلاكمها .

٩٣٦ — وإذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تجدْ
ذخراً يكونَ كصالحِ الاعمالِ
أفضل الذخائر والكتوز عمل الخير .

٩٣٧ — وإذا الحلم لم يكن في طباعِ
لم يحتممْ تقدمَ الميلادِ
اذا لم يكن الرجل مطبوعا على الحلم فلن
يصبح حليما وان تقدمت به السن وأصبح
شيخاً .

٩٣٨ — وإذا العناية لاحظتكَ عيونها
نَّمْ فالمخاوفُ كثيئنُ آمانُ
اذا كان حطك كبيرا فلا تخش شيئاً .

٩٣٩ — وإذا الكريمُ مضى وَلَى عمرُه
كُفُلَ الثاءُ لَهُ بعشرِ ثانٍ
اذا مات الكريم كان الثناء عليه عمرًا
ثانيةً له .

٩٢٧ — هيئاتَ يسلمُ من ييارزُ قرنَه
يومَ اللقاءِ على عنورِ جامِعِ
من ركب مركباً عاثراً ، وفرساً جامحاً
لا يستطيع أن يغلب عدوه في القتال .

٩٢٨ — هيئاتَ يصبرُ دهرَ عن تَنَقْشِلِهِ
يوماً بأهليهِ من حالٍ الى حالٍ
لا يصبر الدهر على البقاء في حالة واحدة
ولكنه يتقلب من حال الى حال .

حرف السواو

٩٢٩ — وأنتَ خلقُ اللهِ من زادَ هَمَّهُ
وقصرَ عما تشتمي النفسُ وَجْدَهُ
أكثر الناس تعباً من كانت همة عالية
ووسائله لتحقيقها قليلة .

٩٣٠ — وأنتَ من ناداكَ من لا تجيئهِ
وأغطيظَ مَنْ عاداكَ منْ لا تشاكلَ
أكثر الناس تعباً من اذا ناداك لم تجيئهِ
وأكثر الأعداء غيطاً لك من ليس في مستواكِ .

٩٣١ — وأخي أنتَ ولا تَنْفَعْنِي
لا أخَا للمرءِ إِلَّا مَنْ نَفَعَ .

٩٣٢ — تدعى أنة أخي ثم لا تساعدني ولا تنفعني
والآخر من ساعد أخاه .

٩٣٣ — وإذا أتاكَ مَذْمَتِي مِنْ ناقصٍ
فهي الشهادةُ لي بـأني كاملٌ
اذا ذمني أمامك أحد الأوغاد ، فذمَّته لي
شهادة على شرفِ وكمالِي .

٩٣٤ — وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةِ
طُورِيتَ أثارَ لها لسانَ حسودِ

- ٩٤٧ - وإذا كان في الأنابيب خلْفَ
وَقْعَ الطِيشِ في صدور الصُّعَادِ
اذا كانت قنات الرمح معوجة كان سناته
معوجاً .
- ٩٤٨ - وإذا لم تجده من الناس كثُرَّا
ذات خِدْرٍ تَمْتَّ الموت بَعْلا
اذا لم تجد المرأة الشريفة زوجاً يماثلها
في الشرف رأت الموت خير بعل لها .
- ٩٤٩ - وإذا لم يكن من الموت بُدْدا
فمن العجزِ أَنَّ تموت جَبَانًا
اذا كان الموت لا بد منه فلا تمت جاناً .
- ٩٥٠ - وإذا ما خلا الجبان بأرضه
طلب الطعن وحده والتَّزا لـ
اذا خلا الجبان في أرض صاح يطلب
القتال .
- ٩٥١ - وإذا همت بأمر سوء فائته
وإذا همت بأمر خير فافعل
اذا همت بالسوء فتأن و اذا همت
بالخير فاقدم .
- ٩٥٢ - وإذا همت بورود أمر فالتسـ
من قبل موْرِدِه طريق المـصـدرـ
اذا وردت مكاناً فاعرف كيف تصدر عنه
قبل وروده .
- ٩٥٣ - وإذا يجالـسـكـ الـبغـيـضـ فـإـئـهـ
حـلـ " تعالـجـهـ عـلـيـكـ ثـقـيلـ"
مجـالـسـةـ الـبغـيـضـ الثـقـيلـ حـلـ ثـقـيلـ .
- ٩٤٠ - وإذا امْرُؤٌ أَسْدِيَ إِلَيْكَ صَنْيَعَهـ
مـنـ جـاهـيـهـ فـكـأـتـهـ مـنـ مـالـهـ
اذا شـفـعـتـ انسـانـ بـنـفـوذـ فـكـانـ شـفـعـ بـمـالـهـ .
- ٩٤١ - وإذا جـهـلـتـ مـنـ اـمـرـيـهـ أـعـراـقـهـ
وـقـدـيـسـهـ فـاظـرـهـ إـلـىـ مـاـ يـصـنـعـ
اذا لم تـعـرـفـ مـاضـيـ اـنـسـانـ وـآـبـاءـهـ فـالـدـلـلـ
عـلـىـ حـسـبـهـ مـاـ يـصـنـعـ .
- ٩٤٢ - وإذا خـامـرـ الـموـىـ قـلـ بـصـبـهـ
فـعـلـيـهـ لـكـلـ عـينـ دـلـيلـ
اذا أحـبـ النـقـيـ ظـهـرـ جـهـ لـكـلـ العـيـونـ .
- ٩٤٣ - وإذا صـحـتـ الرـوـيـةـ يـوـمـاـ
فـسـوـاءـ ظـلـنـ اـسـرـىـ وـعـيـانـهـ
اذا كانـ المـرـءـ ذـكـيـاـ فـاهـماـ فـنـظـرـهـ وـفـطـنـهـ
سـوـاءـ فـيـ دـلـالـتـهـ عـلـىـ الـأـمـوـرـ .
- ٩٤٤ - وإذا صـفـاـ لـكـ مـنـ زـمـانـكـ وـاحـدـ
فـهـوـ الـرـادـ وـعـيشـ بـذـاكـ الـواـحـدـ
اذا كانـ لـكـ صـدـيقـ وـاحـدـ مـخـلـصـ كـفـاكـ ،
وـأـغـنـاكـ عـنـ النـاسـ جـيـعاـ .
- ٩٤٥ - وإذا طـلـبـتـ إـلـىـ كـرـيمـ حاجـةـ
فـلـقـاؤـهـ يـكـفـيـكـ وـالـتـسـليمـ
اذا كـانـ لـكـ حاجـةـ عـنـدـ كـرـيمـ فـيـكـيـ أـنـ
تـلـقـاهـ وـتـسـلـمـ عـلـيـهـ لـيـهـمـ حاجـتـكـ وـيـتـلـيـهـاـ .
- ٩٤٦ - وإذا كـانـ النـفـوسـ كـيـارـاـ
تـعـيـتـ فـيـ مرـادـهـ الـأـجـسـامـ
اذا كـانـ نـفـسـ الـمـرـءـ عـظـيـمـ تـعبـ جـسـدهـ
وـهـزـلـ .

والظالمُ مَرْتَعِهُ وَخِيمٌ
 الظلم يقتل أهله وعقباه ذميه ٠
 ٩٦٢ - ولقد يكون لك الفري
 بـ أخاً ويقطعنك العيـم
 قد يؤاخيك الغريب وبعاديك القرب ٠
 ٩٦٣ - والمرء يُكثِّرَمُ للفنى
 ويُهـانُ للـمـدـمـ العـدـيمـ
 الناس يـكـرـمـونـ الفـنـيـ وـانـ كـانـ لـيـهاـ
 ويـهـيـنـونـ الفـقـيرـ وـانـ كـانـ كـرـبـاـ ٠
 ٩٦٤ - واعلم بأذنـ الفـيـثـ ليسـ بنـافـعـ
 للـنـاسـ مـالـمـ يـأـتـ فيـ إـبـاتـهـ
 لا يـنـعـمـ المـطـرـ الـأـلـاـ فيـ أـوـانـهـ ٠
 ٩٦٥ - وأعـلـمـ عـلـمـاـ لـيـسـ بالـظـنـ أـهـهـ
 إذا ذـلـلـ مـولـيـ الرـءـ فـهـوـ ذـيلـ
 اذا ذـلـ صـدـيقـ ذـلـلـتـ أـنـتـ ٠
 ٩٦٦ - وأغـبـطـ مـنـ لـلـيـ بـمـاـ لـأـنـاـهـ
 الاـ كـلـ ماـ قـرـتـ بـهـ العـيـنـ صالحـ
 يـحـسـدـيـ النـاسـ عـلـىـ مـاـ لـمـ أـنـهـ مـنـ لـيـلـيـ :
 وـكـلـ ماـ تـقـرـ بـهـ عـيـنـ حـيـبـ حـيـبـ ٠
 ٩٦٧ - وأكـثـرـ مـنـ تـلـقـيـ يـسـرـكـ قولـهـ
 ولكنـ قـلـيلـ مـنـ يـسـرـكـ فـعـلـهـ
 أـكـثـرـ النـاسـ يـرـضـونـكـ بـالـقـوـلـ وـقـلـ مـنـ
 يـرـضـيـكـ بـالـفـعـلـ ٠
 ٩٦٨ - والـظـالـمـ مـنـ شـيـمـ النـفـوسـ فـانـ تـجـدـ
 ذـاـ عـفـةـ قـلـعـلـةـ لـاـ يـظـلـمـ
 الـظـالـمـ مـنـ طـبـيـعـةـ النـفـوسـ ، فـادـاـ لمـ يـظـلـمـ
 الـإـنـسـانـ أـخـاهـ فـذـلـكـ لـسـبـ مـنـ الـأـسـبـابـ ٠

٩٥٤ - وأـصـبـ شـعـرـيـ مـنـهـاـ فـيـ مـكـانـهـ
 وـفـيـ عـنـقـ الـحـسـنـ يـسـتـحـسـنـ العـقـدـ
 أـصـبـ شـعـرـيـ مـعـلـقاـ فـيـ صـدـرـ الـكـرـامـ :
 والمـقـدـ الجـيـلـ يـزـينـ عـنـ الـحـسـنـ ٠
 ٩٥٥ - وأـضـيـعـ أـوـقـاتـيـ بـغـيرـ نـادـمـ
 وـفـيـوـتـشـيـ الشـيـئـ الـسـيـئـ فـانـدـمـ
 أـثـنـ شـيـئـ عـنـديـ هوـ الـوقـتـ ، وـأـنـ أـضـيـعـ
 دونـ نـدـمـ ، فـادـاـ أـضـعـتـ شـيـئـاـ تـاـفـهـاـ غـضـبـتـ ٠
 ٩٥٦ - وـإـطـرـاقـ طـرـفـ الـعـيـنـ لـيـسـ بـنـافـرـ
 اذاـ كـانـ طـرـفـ الـقـلـبـ لـيـسـ بـمـطـرـقـ
 لـاـ يـكـفـيـ أـذـ يـغـضـ الـأـنـسـانـ طـرـفـهـ عـنـ شـيـئـ
 اذاـ كـانـ قـلـبـهـ طـامـحـاـ يـلـيـهـ ٠
 ٩٥٧ - وـأـظـلـمـ أـهـلـ الـظـالـمـ مـنـ بـاتـ حـاسـداـ
 لـسـنـ بـاتـ فـيـ نـعـائـهـ يـتـقـلـبـ
 أـكـثـرـ النـاسـ ظـلـلـمـاـ هـمـ الـذـينـ يـحـسـدـونـ مـنـ
 أـحـسـنـواـ يـهـمـاـ ٠
 ٩٥٨ - وـأـعـرـفـ لـجـارـكـ حـقـكـهـ
 وـالـحـقـهـ يـعـرـفـهـ الـكـرـيمـ
 الـجـارـ الـكـرـيمـ يـعـرـفـ حـقـ الـجـارـ ٠
 ٩٥٩ - وـاعـلـمـ بـأـنـ الضـيـفـ يـومـاـ
 سـوـفـ يـحـمـدـ اوـ يـلـسـومـ
 ضـيـفـكـ بـعـدـ زـيـرـتـهـ لـكـ اـمـاـ اـنـ يـحـمدـكـ
 اوـ يـذـمـكـ عـلـىـ حـسـبـ مـعـاـمـلـتـكـ لـهـ ٠
 ٩٦٠ - وـالـنـاسـ مـبـتـيـانـ مـعـ
 مـوـدـ الـبـنـاءـيـهـ اوـ ذـمـيـمـ
 النـاسـ نـوعـانـ : بـانـ لـلـمـكـارـمـ اوـ بـانـ لـلـسـائـمـ ٠
 ٩٦١ - وـالـبـغـيـ يـصـرـعـ أـهـلـهـ

- ٩٦٩ - والهم يخترم الجسيم نحافة
ويُشَبِّه ناصية الصبي ويُهُنْهُم
الهم يهزل جسم السمين ويشَبِّه رأس الشاب .
- ٩٧٠ - ومن البلية عذلٌ مَنْ لا يرعوي
عَنْ غَيْرِهِ وخطابٌ مَنْ لا يقْهَمْ
من البلاء لوم من لا يفعه اللوم وخطاب
من لا يفهم الكلام .
- ٩٧١ - والذل يظهر في الذليل مَوْدَة
وأَوْدَهُ منه مَنْ يَوْدَهُ الأرقام
قد ترى الذليل فتنظر أنه صديق ، والأفني
أكثر صدقة لك منه .
- ٩٧٢ - ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصدقة ما يضره ويؤلِّمه
قا. تنعمك العداوة وتضرك الصدقة .
- ٩٧٣ - والغنى في يد اللئيم قبيح
قدَرَ قبيح الكريمة في الإلماقي
الى عند اللئيم قبيح مثل قبح الفقر
عند الكريمة .
- ٩٧٤ - والناس ألف منهم كواحد
واحد كالآلاف إِنْ أَمْرَ عَنِي
من الناس من يُفْعِنِي الواحد منهم في
العادات غباء ألف ، ومنهم ألف لا يفون
غباء واحد .
- ٩٧٥ - والناس مَنْ يلقَ خيراً قاتلوك له
ما يشتَهِي ولا مَخْطِي، المبَلِّكُ
الناس مولعون بالتفاق لمن يلق النجاح
وبدم من لقي الإخفاق .
- ٩٧٦ - والنفس راغبة إذا رَغَبَتْها
وإذا ثرَدَ إلى قليلٍ تَقْنَعَ
النفس اذا أطعمتها زادت طمعاً واذا
زجرتها وردعتها رضيت بالقناعة .
- ٩٧٧ - والهجر أَقلَّ لي ما أَرَاقَه
أنا الفريقي فما خَوْفي مِنَ الْبَلَلِ
هجر الحبيب أشد على من الموت ، وكيف
أَخَافُ أَنْ تَبْتَلَ ثيابي بالماء وأنا الفريقي .
- ٩٧٨ - وإن أَحْسَنَ يَسِّرْ أَنْتَ قَائِمَه
يَسِّرْ يَقَالُ أَذَا أَشَدَتْهُ سَدَقَاه
أَحْسَنَ الشِّعْرَ أَصْلَقَه .
- ٩٧٩ - وإنْ أَنْتَ في مجدِ أَصْبَتَ غَنِيمَه
فَعَمَدْ للذِي صَادَفَهُ مِنْ ذَلِكَ وَازْدَادَ
إِذَا أَصْبَتَ الْمَجْدَ بِعَمْلِكَ فَازَدَ عَسْلًا
تَرَدَّدَ مَجْدًا .
- ٩٨٠ - وإنَّ الظُّلْمَ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ
وأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيْهِ
الظُّلْمُ قَبِيحٌ في كُلِّ النَّاسِ ، وَهُوَ أَكْثَرُ
قَبِحًا في الذِّكْرِ الْعَالِقِ .
- ٩٨١ - وإنَّ امْرًا دِنَاهُ أَكْبَرُ هَمَّه
لِسْتَمِيكَ مِنْهَا بِحَبْلٍ غَرُورٍ
إِنْ مَنْ يَهْتَمُ بِالدِّينِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مَغْرُورٌ .
- ٩٨٢ - وإنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوْيِ
فَشَاورُ حَكِيمًا وَلَا تَعْنِصِه
إِذَا لم تَجِدْ حَلًا لِشَكْلَةٍ فَاسْتَشِرْ حَكِيمًا
وَاتَّبِعْ نَصِيبَتِه .

٩٩٠ - وانهَ الشيرَ عليكَ فيَ بِضَكَةٍ
والحرُّ مُسْتَحَنٌ بِأولادِ الزَّعَةِ
ان أشار عليكَ خبيثٌ بهجري فلا تقطعهِ ،
فالأخرار يبتسلون باللؤماء والخباء .

٩٩١ - واني امرؤٌ عَوَدَتْ نفسي عادةً
وكُلُّ امرئٍ جار على ما تَعُودَـا
لقد ألفت عادة الكرام ولكل امرئٍ
ما تَعُودَـا

٩٩٢ - وأول عَجَزْ القومِ فيما ينوبُهم
تدافعُهُم عنـه وطُولُ التواكلِ
أول العجز في الشعب عن تحقيق أهدافـه
هربـهم من العمل والتقاعـس عن أداء الواجب .

٩٩٣ - وبعـض الداء مُلْتَسِـن شفاءـه
وداءـ الشوك ليس لهـ شفاءـ
لكل داء دواء الاـ الحماقة .

٩٩٤ - وينـنا لو رـعـيـتم ذاكـ مـعـرـفةـه
إنـ المـارـفـ فيـ أـهـلـ النـشـيـ ذـمـهـ
نـعنـ نـعـرـفـ بـعـضـاـ بـعـضـاـ ؛ـ وـالـعـرـفـ بـيـنـ
الـنـاسـ كـالـعـهـودـ وـالـمـوـاـتـيقـ .

٩٩٥ - وترى الناسـ كـثـيرـاـ فإذاـ
عـندـ أـهـلـ الفـضـلـ فـتـلـواـ فـيـ العـدـاـ
الـنـاسـ كـثـيرـونـ فـيـ المـدـ وـقـلـيلـونـ إـذـاـ عـدـ
الـأـفـاضـلـ مـنـهـ .

٩٩٦ - وجدتـ أـقـلـ النـاسـ عـقـلاـ إـذـاـ اـتـشـىـ
أشـفـقـهـمـ عـقـلاـ إـذـاـ كـانـ صـاحـياـ
أـقـلـ النـاسـ عـقـلاـ إـذـاـ سـكـرـ أـكـثـرـهـمـ عـقـلاـ
إـذـاـ صـحاـ .

٩٨٣ - وإنـ نـاصـحـ منـكـ يـومـ نـايـ
فـلاـ تـكـنـاـ عـنـهـ وـلاـ تـقصـهـ
وـاـذاـ نـايـ عـنـكـ النـاصـحـونـ فـاظـابـ قـربـهـ
وـمـوـدـهـ .

٩٨٤ - وإنـ كانـ ذـنـبـيـ كـلـ ذـنـبـ إـنـهـ
محاـ الذـنـبـ كـلـ المـحـورـ مـنـ جـاءـ تـائـبـ
مـهـماـ كانـ ذـنـبـيـ عـظـيـماـ فـانـ تـوبـيـ تـمحـوـ
اسـاءـتـيـ .

٩٨٥ - وأـتـ أـخـيـ مـاـ لـمـ تـكـنـ لـيـ حاجـةـ
فـإـنـ عـرـضـتـ أـيـقـنـتـ أـنـ لـاـ أـخـاـ نـيـ
أـنـ أـخـيـ مـاـ دـمـتـ مـسـتـغـيـناـ عـنـكـ فـانـ
احتـجـبـ إـلـيـكـ لـمـ أـجـدـكـ أـخـاـ .

٩٨٦ - وإنـ العـقـدـ كـثـلـ النـارـ
كامـنـةـ فـيـ باـطـنـ الأـشـجارـ
الـعـقـدـ يـكـنـ فـيـ القـلـبـ كـمـاـ تـكـمـنـ النـارـ
فـيـ الـحـطـ .

٩٨٧ - وإنـاـ السـلـطـانـ بـالـأـصـحـابـ
كـالـبـحـرـ بـالـأـمـواـجـ وـالـعـبـابـ
الـمـلـكـ بـأـصـحـابـهـ كـالـبـحـرـ بـأـمـواـجـهـ وـسـعـتـهـ .

٩٨٨ - وإنـاـ المـرـءـ بـأـصـفـريـهـ
كـلـ اـمـرـئـ رـاهـنـ بـسـاـ لـدـيـهـ
الـمـرـءـ بـأـصـفـريـهـ :ـ قـلـهـ وـلـسـانـهـ ؛ـ وـلـكـلـ
امـرـئـ مـاـ عـمـلـ .

٩٨٩ - وإنـاـ يـلـغـ الـأـنـسـانـ طـافـهـ
ماـ كـلـ مـاشـيـةـ بـالـحـلـ شـمـلـاـ
كـلـ اـنـسـانـ لـهـ طـافـةـ ،ـ وـالـطـافـاتـ تـخـلـفـ ،ـ
وـلـيـسـ النـوـقـ مـتـسـاوـيـةـ فـيـ السـرـعـةـ .

- ٩٩٧ — وجدتُ الرفقَ أبلغَ في الشموَّ
ولم أرْ كالتواضعَ في العلُوَّ
- الرجل السامي هو الدمثُ الأخلاقِ والرجل
العالِي هو التواضعُ .
- ٩٩٨ — وجدتُ الفتى يرْمى سواه بدائِه
ويشكُّوكَ الظلمَ وهوَ ظلُومٌ
بعض الناس يتهمون الناس بما هو فيهم
ويشكُّوكَ أئمَّهم مظلومون وهم ظالمون .
- ٩٩٩ — وَحْدَةُ العاقِلِ خيرٌ
من جليسِ الشَّوَّعِ عَنْدَهُ
وحدثكَ خيرٌ لكَ من جليسِ السوءِ .
- ١٠٠٠ — وَحِيدٌ من الغلَانِ في كلِّ بلدةٍ
إذا عظمَ المطلوبُ قُلَّ الشَّاعِدُ
أنا وحيدٌ في كلِّ بلدةٍ أحلَّ بها ، وكذلك
كلِّ من عظمَ مطالبيه قلَّ أعاوانيه .
- ١٠٠١ — وخانَ الزمانَ أباً مالِكَ
وأيَّ امرئٌ لم يَخْنُّ الزَّمانَ
اطمأنَ أبو مالِكَ إلَى الزَّمانَ فخانَهُ ،
والدهر يخونُ الناسَ جميعاً .
- ١٠٠٢ — وَخَلَّ زِيَادَ لَمَّا تَحَقَّقَتْهُ
ما كَلَّ دَامَ جَيْنِيهِ عَابِدٌ
فلان يلبس لباس التقىء ويعمل عمل
الأشقياء فليترك زيه لم يؤدي حقه كما أن كل
من دمى جينيه وتشقق فليس من الضروري أن
يكون من المصلين والمبگاد .
- ١٠٠٣ — وَخَلَّ عَنَّا الحادِثَاتِ لَوْجِيَّها
فإن عتابَ الحادِثَاتِ عَنَاءٌ
- ١٠٠٤ — اتركَ الدهرَ يفعلُ ما يشاءُ ولا تعاتبه ،
فتغتابه لا جدوى منه .
- ١٠٠٥ — وخيرُ حالِ الفتى في القولِ أقصدُ هـَا
بينَ السبيلينِ لاعيٌّ ولا هذـارٌ
خيرُ أحوالِ الانسانِ الوسطُ فلا يكـونُ
ثرثاراً ولا عـياً .
- ١٠٠٦ — وربـما ضـحكـ المـكـروبـ من عـجـبـهـ
الـسـنـ تـضـحـكـ وـالـأـحـشـاءـ تـضـطـرـمـ
ربـما ضـحكـ الحـزـينـ وـفيـ قـبـلـهـ نـارـ .
- ١٠٠٧ — وربـما فـارـقـ الـانـسـانـ مـهـجـتهـ
يـوـمـ الـوـغـيـ غـيـرـ قـالـ خـشـيـةـ الـعـارـ
ربـما فـارـقـ الـانـسـانـ حـيـاـهـ رـغـمـ جـهـهـ لهاـ ،
خـوفـ أـنـ يـنـالـهـ الـعـارـ .
- ١٠٠٨ — وربـما قـالـتـ العـيـونـ وـقـدـ
يـصـدـقـ فـيـهاـ وـيـكـذـبـ النـظرـ
قد تقول العيون فتكذب أو تصدق .
- ١٠٠٩ — وربـما ثـاهـمـ مـنـازـلـهـمـ فـرـسـالـواـ
وـأـيـ "ـنـيـسـ"ـ دـنـيـاـ لـاـ يـرـوـلـ
لـقـدـ بـادـ مـنـ قـبـلـنـاـ وـورـثـنـاـ مـنـازـلـهـمـ ،ـ وـأـيـ
نـيـسـ يـقـيـ؟ـ
- ١٠١٠ — وزـارـ بيـ دونـ الملـوـكـ تـحرـّجـ
إـذـاـ عـنـ بـحـرـ لمـ يـجـزـ لـيـ الشـيـمـ
لـقـدـ زـرـتـكـ وـتـرـكـ الملـوـكـ الآـخـرـينـ لـأـنـكـ

أعظمم ، ومن وجد البحر لم يجز له أن يتيم
بالتراب ٠

١٠١٧ - وعاقبة الصبر الجميل جَمِيلَةَ
وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ التفَضُّلُ
الصبر الجميل له عاقبة جميلة ، والخير
أحسن ما يزين الرجال ٠

١٠١٨ - علاجُ الأبدانِ أيسِ خَطْبَا
حينَ تَعْشَلَّ من علاجِ العقولِ
علاجُ الأبدانِ أسهلُ من علاجِ العقولِ ٠^١
١٠١٩ - وعينُ الرَّضا عن كلِّ عَيْبٍ كليلةٌ
ولكن عينُ السُّخْطُرِ تُبَدِّي المتساوِيَا
المحبُّ لا يرى عَيْبَ حَيِّهِ ، والمبغِضُ
يرى عَيوبَ من يبغضه ٠

١٠٢٠ - وغيرِ تَكَيٍّ يأمرُ الناسَ بالشقى
طَبِيبٌ يُداوِي النَّاسَ وَهُوَ مَرِيضٌ
الشَّرِيرُ الَّذِي يأمرُ النَّاسَ بِالخَيْرِ ، مُثَلُ
الطَّبِيبِ المَرِيضِ يُداوِي النَّاسَ وَلَا يُداوِي نَفْسَهُ
١٠٢١ - وفي تعبِ من يحسُدُ الشَّمْسَ ضَوَاءَهَا
ويَجْهَدُهُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِّبِ
من يحسُدُ الشَّمْسَ عَلَى نُورِهَا وَيُرِيدُ أَنْ
يَأْتِي بِمَثَلِها يَتَبَعَ نَفْسَهُ دونَ طَائِلٍ ٠

١٠٢٢ - وقد قيلَ في مثلِ سائرِ
خُذْلِ اللَّصِّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْخُذُكَ
المثل يقولُ : امسِك اللَّصَّ قَبْلَ أَنْ
يُسْكِنَكَ ٠

١٠٢٣ - وقد كانَ حَسْنُ الظَّنِّ بَعْضَ مَذاهِبِي
فأدَّبني هذا الرَّمَانُ وأهْلَهُ
لقد كنتَ حَسْنُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ ، وأمَّا الآنَ
وبعد التجربة ، فقد عرفتُ أني أخطأتُ في حَسْنِ
ظَنِّي بِصَمَمِي ٠

١٠١١ - وزَنِ الكلَامِ إِذَا نَطَقَتْ فَإِنَّما
يُبَدِّي عَيوبَ ذُوي العَيوبِ المُسْطَقِ
زنِ كلامك قبل النطق به ، فالكلام يزن
الناسَ أو يشينهم ٠

١٠١٢ - وشَبَهَ الشَّيءَ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
وأشبَهُنَا بِدُنْيَا نَا الطَّغْيَانَ
الدنيا تحب اللئام لأنها لئيمة ، وكذلك
كل إنسان يميل إلى شبيهه ٠

١٠١٣ - وشَرَّ ما قَنَصَهُ راحِي قَنَصٍ
شَهْبٌ الْبَزَارِ سَوَاءٌ فِيهِ الْرَّاعِمُ
أَسْوَأُ مَا نَلَهُ فِي حَيَاتِي هَذَا الشَّيءُ
الْخَسِينُ الَّذِي يَنَاهُ كُلُّ النَّاسِ كَالصِّيدِ السَّهْلِ
الَّذِي تَسْتَوِي فِيهِ الصُّورُ وَالْمَصَافِيرُ ٠

١٠١٤ - وطُولُ مَقَامِ الرَّءُوفِ فِي الْحَيِّ مَحْلِقٌ
لَدِيَاجِتِيهِ فَاغْتَرَبَ تَسْجَدَهُ
مقامك في مكانٍ واحدٍ يفقدك رونقك
واحترامك ، فجدد نفسك بالسفر والرحلاتِ ٠

١٠١٥ - وظَلَمَ ذُوي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاةً
عَلَى الرَّءُوفِ مِنْ وَقْعِ الْحِسَامِ الْمُهَنَّدِ
ظَلَمُ الْقَرِيبِ أَقْسَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ ظَلَمِ
الْفَرِيقِ ، وَكَانَاهُ هُوَ ضَرْبُ السِّيفِ ٠

١٠١٦ - وعَاجِزُ الرَّأْيِ مُضِيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ
حتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَ الْقَدَرَ
الْعَاجِزُ تَسْنَحُ لَهُ الْفَرْصَةُ فَيُضِيعُهَا بِكَسْلِهِ
ثُمَّ يَقْعُدُ فِيلُومَ الْقَدَرِ ٠

١٠٢٤ — وقد يستفِشُ المَرءُ مَنْ لا يُفْسِهُ
ويَأْمُنُ بِالنَّيْبِ أَمْرًا غَيْرَ نَاصِحٍ

قد يُشَكُّ الْإِنْسَانُ فِيمَنْ يَنْصُحُهُ وَيَأْمُنُ
مَنْ يُفْسِهُ .

١٠٢٥ — وقد يَتَزَرَّأُ بِالْهَوَى غَيْرَ أَهْلِهِ
وَيَصْبِحُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يَلِائِسُهُ .
قد يَدْعُى الْحُبُّ مِنْ لَا يُحِبُّ وَيَصْبِحُ
الْإِنْسَانُ مِنْ لَا يَنْابِهُ .

١٠٢٦ — وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يَحَاوِلهُ
فَاسْتَصْبَرَ الصَّبْرُ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ .
كُلُّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ وَصَبَرَ عَلَيْهِ لَا بُدَّ
أَنْ يَدْرِكَهُ .

١٠٢٧ — وَقَيَّدَتْ نَفْسِي فِي ذَرَالَكَ مَحْبَبَةَ
وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيَداً تَقْيِداً .
لَقَدْ قَيَّدَنِي حَبُّكَ لِأَنَّكَ مَحْسِنٌ ، وَالْإِنْسَانُ
يَقِيدُهُ الْإِحْسَانَ .

١٠٢٨ — وَكَانَ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٌ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكْلِيمِ .
كُمْ مِنْ صَامِتٍ يُعْجِبُكَ مَنْظُرُهُ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ
نَقْصُ فِي عَيْنِكَ أَوْ زَادَ .

١٠٢٩ — وَكَثِيرٌ مِنْ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ
وَكَثِيرٌ مِنْ رَدَاهُ تَعْلِيلٌ .
مِنْ أَكْثَرِ مَنْ السُّؤَالُ عَنْ صَدِيقِهِ كَانَ
مُشَتَّقاً إِلَيْهِ ، وَمِنْ أَقْلَ مَنْ السُّؤَالُ كَانَ مُهَرِّباً
يَحَاوِلُ أَنْ يَنْسِي .

١٠٣٠ — وَكَلَّ أَمْرَيْءٍ يَنْوِي الْجَسِيلَ مُحِبًّا
وَكَلَّ مَكَانٍ يَنْبَتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ .

١٠٣١ — وكل شديدةٍ نزلت بقومٍ
سيأتي بعده شدتها رخاءٌ
كل مصيبةٍ وفقرٍ لا بد أن يعقبها الفرج والفنى
١٠٣٢ — وكل طريقٍ أتساه الفتنى
على قدر الرّجل فيه الخطأ
يحدد مسافة كل طريق عدد الخطأ
التي تخطوها .

١٠٣٣ — وكل قرینٍ الى شكلِهِ
كائنٌ الخناقين بالقربِ
كما تائب الخنساء بالعرقب يأنس الشيبة
بالشيبة .

١٠٣٤ — وكل يرى طرقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى
ولكن حبَّ النَّفْسِ للنَّفْسِ قائدٌ
كل إنسان يعرف طريق الشجاعة والكرم
ولكن حبه لنفسه يحول دون سلوكيها ، فيفرضي
بالعجب والبخل .

١٠٣٥ — وكم من أكلةٍ مُنْعَتَ أخاها
للنَّذَّةِ سَاعَةً أَكْلَاتِ دَهْرِ
ربِّ أَكْلَةٍ مُنْعَتِ أَكْلَاتِ .

١٠٣٦ — وكم من حافرٍ لأخيه ليلاً
تردى في خيرته تهارا
من حفر حفرة لأخيه وقع فيما .

١٠٣٧ — وكم من طالبٍ يَسْعى لأمرٍ
وفيه هلاكٌ لو كانَ يَكْدُرِي
كم من رجلٍ يَسْعى إلى حتفه بظلمه .

- ١٠٤٥ - ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواسيك أو يسليك أذ يتوجع
لا بد للانسان من أذ يشكو آلامه الى
صديق كريم مخلص فاما أن يواسيه في مصابه،
أو يسليه عنها ، أو يتوجع معه منها اذا لم
يستطيع مواساته أو تسلية .
- ١٠٤٦ - ولا تظهنْ ود امرئ قبل خبره
وبعد بلاء المرء فاذمُّ أو احمدَ
لا تصاحب أحدا قبل أن تختبره فاداً
اختبرته فامدحه أو ذمّه .
- ١٠٤٧ - ولا تتعجل على أحدٍ بظلمٍ
فإنَّ الظلَمَ مرتَعَهُ وَخِيمٌ
لا ظلم أحدا فالظلم وخيم العاقب .
- ١٠٤٨ - ولا تفْحشْ وإن ملأتَ غيطاً
على أحدٍ فإنَّ الفحشَ لومٌ
ولا تكن فاحش الكلام وان غضبت
فالفحش لؤم ونذالة .
- ١٠٤٩ - ولا تقطعْ أخاً لك عند ذنبٍ
فإنَّ الذنبَ يغفرُ الكريمةُ
اذا أذبَّ أخوك فلا تقطع صداقته فالكريمةُ
يغفر الذنوب .
- ١٠٥٠ - ولا خير في جهلٍ اذا لم يكن له
حليمٌ إذا ما أورَّدَ القومَ أصدراً
لا خير في الطيش اذا لم يكن للجهل حليم
يعرف كيف يدبر الامور ، ويصلح الناس .
- ١٠٥١ - ولا خير في حلمٍ إذا لم تكنْ له
بوادرٌ تحيي صفوَهُ أذ ينكِّرها .
- ١٠٣٨ - وكم منْ عائبٍ قولًا صحيحاً
وآفته منْ الفهمِ المستقيمِ
رب عائب للقول الصحيح لأنَّه لا يفهمه .
- ١٠٣٩ - وكم من نعمةٍ لله في طيِّ نعمةٍ
ثرجيٍ ومكرومٍ حلالاً بعد امرارِ
رب نعمة في اثر نعمة ، ورب حلو كان
مراً .
- ١٠٤٠ - وكنْ على حذر للناسِ تستره
ولا يغركُهُ منهمْ ثغرةً مُبتسِّرٍ
احذر الناس ولا تخدعك ابتسامتهم لك .
- ١٠٤١ - وكيفَ ملامتِي معْ شيبٍ رأسيِّ
على خلقِ نشأتْ بهِ غلاماً
كيف يلومني الناس ، وقد أصبحت عجوزاً
كيراً على خلقِ نشأتْ عليه صبياً صغيراً .
- ١٠٤٢ - ولا أتلقى الشرَ والشرَ تاركي
ولكنْ متى أحْمِلَ على الشرِ أركبِ
لستَ أبداً أحداً بالشر ولكتني اذا اضطربني
الناس الى فعل الشر فعلته .
- ١٠٤٣ - ولا بد للقلبِ منْ آلَةٍ
ورأيٍ يتصدَّعُ صُمَّ الصفا
لا بد من يريده أن يحقق آمال قلبه من
وسائل تمكنه من تحقيقها ، ولا بد له من
رأي يفلق الحجر .
- ١٠٤٤ - ولا بد من شكوى الى ذي حفيظةٍ
إذا جعلتْ أسرارَ نفسيٍ تطلعُ
لا بد للانسان من أذ يشكو آلامه الى
صديق كريم شجاع اذا ضاقت نفسه بأسرارها .

- ١٠٥٩ - ولستَ بِسْتِيقٍ أَخَالَا تَلَمِّثَهُ
عَلَى شَعْشَثٍ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَمَّدَبُ
لَيْسَ فِي النَّاسِ خَالٌ مِنِ الْيَبِ ، وَلَنْ
يَقُولَ لَكَ صَدِيقٌ إِذَا كَتَ تَلُومَةَ عَلَى كُلِّ
صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ٠
- ١٠٦٠ - وَلِلْخَلْقِ إِذْلَالٌ لِمَنْ كَانَ بِالْخَلْأِ
ضَنِينَا وَمَنْ يَعْلَمْ يَذْلِلْ وَيَرْهَدِّدِ
النَّاسُ يَحْتَقِرُونَ الْبَخِيلَ وَيَرْهُدُونَ فِيهِ ٠
- ١٠٦١ - وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ عِنْدَ حَقَّهِ
يَنْكَبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيَعْتَدِّ
مِنْ لَهْ نَاصِرٌ يَعْنِيهِ يَغْلِبُ مِنْ لَيْسَ لَهُ نَصِيرٌ
أَوْ حَلِيفٍ ٠
- ١٠٦٢ - وَلِلْسَّرِّ مِنِي مَوْضِعٌ لَا يَنْالُهُ
صَدِيقٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ
الرَّأْخِيَهُ فِي قَلْبِي فِي مَكَانٍ عَيْقَ فَلَا
يَدْرِكُهُ الصَّدِيقُ وَلَا تَصْلِي إِلَيْهِ الْخَمْرُ ٠
- ١٠٦٣ - وَلِلْمَوْدَهِ سِترٌ لَا زَوَالَ لَهُ
حَتَّى يَمْتَكِّهَ عَتْبٌ وَتَأْبِيَهُ
سِرِّ الصَّادِقَهُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاتِ لَا يَزُولُ إِلَّا
بِالْعَتَابِ وَالتَّأْبِيَ الشَّدِيدِ ٠
- ١٠٦٤ - وَلَمْ أَرَ في عِيوبِ النَّاسِ شَيْئًا
كَنْقُصَ القَادِرِينَ عَلَى التَّعَامِ
أَكْثَرُ العِيوبِ فِي النَّاسِ هُوَ عِيوبُ مَنْ يَكُونُ
قَادِرًا عَلَى أَنْ يَكُونَ كَامِلاً فَيُرِضِي بالِنَقْصِ ٠
- ١٠٦٥ - وَلَمْ تَزُلْ قَلْتَهُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَهُ
بَيْنَ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحْمٍ ٠
- ولا خير في حلم اذا لم يكن للحلم ما يدل على أن عاقبته خير وإن صاحبه لن يندم عليه ٠
- ١٠٥٢ - ولا خير في وَدَ امرئ لم يكن له على طول مرأة الحالات بتقاء لا خير في صداقة صديق اذا لم تبق دائمة رغم تقلب الزمان ٠
- ١٠٥٣ - ولا عِلْمَ لِي بِالنَّيْبِ إِلَّا طَلِيمَهُ
مِنَ الْحَزَمِ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا الْمُغَيَّبُ
لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَكِنِي حَازِمٌ يَدْرُكُ عَوْاقِبَ
الْأَمْوَارِ وَمَا يَخْفَى مِنْهَا بِالْذَّكَاءِ وَالْفَقْمِ ٠
- ١٠٥٤ - وَلَا يَلْبِثُ الْجَهَالُ أَنْ يَتَهَمَّسُوا
أَخَا الْحَلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنُ بِجَهَولِ
قَدْ يَظْلِمُ الْجَاهِلُ الْحَلِيمَ فَيَسْتَعِنُ بِجَاهِلٍ
لَيَرِدُ عَنِ الظَّلْمِ ٠
- ١٠٥٥ - وَلَا يَلْبِثُ الْمُسْتَشِيرُ الرَّجَالَ
إِذَا هُوَ شَاورٌ أَنْ يَسْتَرِيحَ
مِنْ اسْتِشَارَ النَّاسِ اسْتَرَاحَ ٠
- ١٠٥٦ - وَلِذِيَّدِ الْحَيَاةِ أَنْفُسُهُ لِلْهَنَهُ
مِنْ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يَشْكُلَ وَأَحْلِي
الْحَيَاةِ لِذِيَّدِهِ وَالنَّفْسُ لَا تَمْلِها لَحْلَوْتَهَا ٠
- ١٠٥٧ - وَلِرَبِّتَا ابْتِسَمَ الْلَّبِيبُ مِنَ الْأَذَى
وَضَمِيرُهُ مِنْ حَرَرَهُ يَتَوَاءَهُ
قَدْ يَتِسِّمُ الْعَاقِلُ وَقَلْبُهُ دَامَ ٠
- ١٠٥٨ - وَلِرَبِّيَا طَعَنَ الْفَتَنِ أَقْرَانَهُ
بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ
الرَّجُلُ قَدْ يَطْعَنُ أَعْدَاءَ بِرَأْيِهِ قَبْلَ أَنْ
يَطْعَنُهُمْ بِسَنَاهُ ٠

قلة الانصاف بين الناس تقطع ما بينهم من
مودة وصدقة ، حتى اذا كانوا أقرباء وأنباء .

١٠٦٦ — ولو كانَ الحجابُ لغيرِ تصرُّفِ
لما احتاجَ الفؤادَ الى حجابِ
احتيابكِ أحياناً عن الناس نافع ، فالقلب
نفسه له حجاب يقيه ويحفظه .

١٠٦٧ — ولو كانت الأرزاق متجري على الحجا
هلكنَّ إذا مِنْ جهَلْهُنَّ البهائمَ
لا توزع أرزاق الناس على حسب عقولهم
ولكنها توزع حسب حظوظهم ، ولو لا ذلك
مات البهائم جوعاً لأنها لا عقل لها .

١٠٦٨ — ولو لم يتعلَّم إلا ذو محَلٌ
تعالى الجيشُ وانحاطَ القتامُ
لو كان لا يعلو في الحياة غير صاحب
المكانة لكان غبار المعركة هو الذي ينحط الى
الأرض ولكن الجيش الذي يخوض المعركة
هو الذي يعلو فوق الغبار .

١٠٦٩ — ومنْ خبرِ الفواني فالغوانى
ضياءً في بواطنه ظلامً
لو جربت النساء وجدتهن ضياء ظاهراً
وظلاماً باطناً .

١٠٧٠ — وما كُلٌّ بمقدور بخلِ
ولا كُلٌّ على بخلِ إسلامٍ
لا يعذر كل الناس على البخل ، ولا
يلامون كلهم عليه ، فرب بخل مقبول ، ورب
بخل معذول .

١٠٧١ — وليسَ الفقرَ من إقلالِ مالٍ
ولكنْ أحقُّ القومِ الفقيرِ
ليس الفقر فقر المال وانما هو فقر العقل .

١٠٧٢ — وليسَ للإنسانِ إلا ما سعى
 وكلَّ ساعَ سعيَه سوفَ يرى
وأنَّ ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى ، وأنَّ
سعيه سوف يرى (قرآن كريم) .

١٠٧٣ — وليسَ يزيدُ الشَّمسَ نوراً وبهجةَ
إطالةَ ذي وصفٍ ولا مدحَ مادحٍ
لا يزيدُ الشَّمسَ جمالاً ونوراً وصفَ
الواصفين لها ولا مدحهم إياها .

١٠٧٤ — وليسَ يَصْحَّ في الأفهام شيءٌ
إذا احتاجَ النهارَ الى دليلٍ
إذا احتاجَ النهارَ الى دليلٍ يدلُّ عليه لم
يبقَ هنالك شيءٌ صحيحٌ .

١٠٧٥ — وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ
ولا التذكيرُ فخرٌ للملائكةِ
لا فضلٌ لصيغة التذكير على صيغة التأنيث
فالشمس مؤثثة ، وليس يعيها التأنيث ، والقمر
مذكر ولا يزيد ذكر التذكير فخرا ، وانما الفضل
للمذكر نفسه أو للمؤنث .

١٠٧٦ — وما الدهرُ أهلٌ أن يُؤمَلَ عندَه
حياةً وأن يشتاقَ فيه الى التسلِّمِ
الحياة الدنيا لا تستحق أن يطلبُ الانسان
دوماًها ولا تستحق أن يحرس فيها الانسان
على الأولاد والأحفاد .

- ١٠٧٧ - وما الصارمُ الْهَنْدِيُّ "إِلَّا كَفِيرٌ
اَذَا لَمْ يَفْارِقْهُ النِّجَادُ وَغَمْدَهُ
السِّيفُ الْقَاطِعُ مِثْلُ السِّيفِ الْكَهَامِ اَذَا لَمْ
يَجُرِدْ مِنْ غَمْدَهُ ."
- ١٠٧٨ - وما الموتُ الْأَرْحَلَةُ "غَيْرُ اَنْهَا
مِنَ الْمَزْلُلِ الْفَانِيِّ إِلَى الْمَزْلُلِ الْبَاقِيِّ
الموتُ رَحْلَةٌ مِنَ الدُّنْيَا الْفَاتِيَّةِ إِلَى الْآخِرَةِ
الْبَاقِيَّةِ ."
- ١٠٧٩ - وما النَّاسُ إِلَّا "ظَاعِنُ" وابنُ ظَاعِنٍ
وَثَاوُ قَرِيبُ العَيْنِ تَبَكِي لِرِاحْلِ
النَّاسِ فَرِيقَانِ : مِيتٌ فَارِقُ الْحَيِّ ، وَحَيٌّ
يَبَكِي عَلَى الْمَيْتِ ."
- ١٠٨٠ - وما اتِّفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ
اَذَا اسْتَوَتْ "عَنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظَّلَمُ"
ما ذَا تَنْفَعُ الرَّءُوْيَهُ اَذَا لَمْ يَمِيزْ بَهَا بَيْنَ
النُّورِ وَالظَّلَامِ وَمَا ذَا يَنْفَعُ الْاَنْسَانُ عَقْلَهُ اَذَا لَمْ
يَمِيزْ بَهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالضَّلَالِ ."
- ١٠٨١ - وما بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارِ
يَهَانَ بَهَا الْفَتَنِيِّ إِلَّا اَعْتَاءً
الْعِيشِ فِي بَلَادِ يَهَانَ فِيهَا الْمَوْاطِنُ بِلَاءً
ما بَعْدَهُ بِلَاءً ."
- ١٠٨٢ - وبَعْضُ خَلَائِقِ الْاَقْوَامِ دَاءُ
كَدَاءُ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ شَفَاءً
بعْضُ الْاَخْلَاقِ لَا تَسْتَقِيمُ كَمَا اَنْ دَاءُ
الْمَعْدَةِ لَا دَوَاءُ لَهُ ."
- ١٠٨٣ - وبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لَهُ عَنَاجٌ
كَحْضُرِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنَاءً
- بعض القول لا معنى له ، كما أن الماء
لا زبدة فيه .
- ١٠٨٤ - وكل شديدة نزلت بقوم
سيأتي بعد شدتها رخاءً
- كل مصيبة سيأتي بعدها فرج .
- ١٠٨٥ - ولا يعطي الحريصُ غنىً لحرصه
وقد ينمي على الجبود الشراءً
لا يزيد الحرث مال الحريص ، ولا ينقص
الكرم مال الكريم بل يزيد به .
- ١٠٨٦ - وليس بنافعه ذا البخلِ مالٌ
ولا مُثُرٌ بصاحبِه السخاءً
لا ينفع البخيل ماله ولا يعيب الكريم
جوده .
- ١٠٨٧ - وما بِلَدِهِ الْفَتَنِيِّ اِنْ كَانَ فِيهِ
قَلِيلٌ الْمَالُ اِلَّا دَارٌ غُرْبَهُ .
اِذَا كُنْتَ تَعِيشُ فِي بِلَدِكَ وَأَنْتَ فَقِيرٌ فَكَانَكَ
تَعِيشُ فِي غَرْبَةٍ .
- ١٠٨٨ - وما بَيْنَ الدَّنَيَا وَالْمَتَنَيَا
لَدِي الْحَرَّ الْكَرِيمِ التَّفَسِ فَرْقٌ
لَا يَفْرَقُ الْحَرَّ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْمَيْتِ ، بَلْ رَبِّيَا
وَجَدَ الْمَيْتَ أَحْلِي طَعَماً .
- ١٠٨٩ - وما بَيْنَ الرَّدَى وَالذَّلِيلِ فَرْقٌ
سُوْيٌ اَنَّ الرَّدَى بِالْحَرَّ اَوْلَى
لَا فَرْقٌ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالذَّلِيلِ بَلْ اَنَّ الْمَوْتَ
أَجْدَرُ بِالْحَرَّ مِنَ الْعِيشِ الذَّلِيلِ .
- ١٠٩٠ - وما تَخْفِي الصُّفَيْنِ حِيثُ كَانَتْ
وَلَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

البياض قبيح ولكن لأن أحسن الشعر ما كان
أسود ١٠٩٧

— وما ذاك بخلًا بالفوس على القنا
ولكن صدم الشر بالشر أحزم
لم نلبس الدروع لأننا نخاف القتل
ولكنا رأينا أعداءنا يلبسون الدروع فلربناها ،
فإن مقاومة القوة والعدة بالقوة والعدة أفضل ١٠٩٨

— وما زلت أسمع أن العقول
صارعها بين أيدي الطمع
صارع العقول في الأطماء ١٠٩٩

— وما شکي وإن أكرت إلا
محاماة عن الشيء اليقين
أنا أشك لأصل إلى اليقين ١١٠٠

— وما صباة مشتاق علىأمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل
ليس المشتاق إلى الحبيب وهو على موعد
بلقاءه ، مثل المشتاق إلى الحبيب وهو لا يرجو
لقاءه ١١٠١

— وما طلب العيشة بالمعنى
ولكن ألق دلوك في الدلاء
لا تمن الشيء وتتقد عن طلبه ، لكن
جرب حظك ، وألق دلوك في البئر مع الناس
الذين يلقون بدلاً لهم ١١٠٢

— وما كل ذي رأي بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤتٍ تصحهٌ ليبيب
ليس كل من ينصحك عاقلاً وليس كل
صاحب عقل ينصحك ١١٠٣

لا يخفى العقد في قلب الحقود ، ولا
يخفى ظر الصديق ولا ظر العدو ١٠٩١

— وما ثناك كلام الناس عن كرم
ومن يسدد طريق العارض المطلِّ
ان كلام الناس ولوهم لك على كرمك لم
يمنعت من الاستمرار في الجود ، وهل يستطيع
أحد أن يوقف السيل والمطر ١٠٩٢

— وما جهلت أيديك البوادي
ولكن ربما خفي الصواب
لقد عرفت الbadية فضلك ، ولكنها أخطأت
طريق الصواب عندما خالفتك ١٠٩٣

— وكم ذتب موائد دلال
وكم بعدي موائد اقتراب
رب ذنب جره الدلال ، ورب بعد جره
القرب ١٠٩٤

— وجرم جرء سفهاء قوم
فحكل بغير جارمه العذاب
رب ذنب جناه جمال قوم فحل العقاب
بعد الجاني ١٠٩٥

— وما حسن الرجال لهم بحسن
إذا لم يُسعد الحسنَ البيان
ليس جمال الرجل بشكله وإنما جماله
بيانه وفصاحته ١٠٩٦

— وما خسب الناس البياض لأنه
قبيح ولكن أحسن الشعر فاحسنه
الناس عندما يشب شعرهم ويصبح أياض
يخصبونه بالسود ، وليس ذلك لأن لون

١١١٠ - وما يوجعُ الْحِرْمَانَ مِنْ كَفَ حَازِمٌ
 كَمَا يوجعُ الْحِرْمَانَ مِنْ كَفَ رَازِقٌ
 اذَا حرمك من تعودت حرمانه لم تتألم ،
 ولكن الذي يؤلمك هو حرمان من تعودت عطاءه ٠
 ١١١١ - وَمَكَانِدُ السُّنْهَاءِ وَاقْتَمَةُ بِهِمْ
 وعداوةُ الشُّرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَمِي
 السفيه يقع في كيده ، وبئس ما يكتب
 الناس من عداوة الشراء ٠

١١١٢ - وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذَّلَ مَنْ لَا يَرَعُو
 عن غَيْرِهِ وَخَطَابٌ مَنْ لَا يَقْتُمُ
 لومك من لا يردعه اللوم ، وكلامك لمن
 لا يفهم الكلام ، بلاء ما بعده بلاء ٠

١١١٣ - وَمَنْ تَرَعَّضَ لِلْغَرِيبَانِ يَرَزُّ جَرَّها
 على سلامتها لا بدَّ مَشْؤُومٌ
 الغربان مشؤومة فإذا تعرضت لها تطلب
 سلامتها ، كنت مشؤوماً مثلها ٠

١١١٤ - وَمَنْ تَكَنَّ الْأَسْدَدُ الضَّوَارِيِّ جَدُودَهُ
 يكن ليه صبحاً ومطعمةً غصباً
 من كان جده أسدًا صار ليه صباحاً وصار
 طعامه افتراساً ٠

١١١٥ - وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ
 رأى غيره منه ما لا يرى
 من لم يعرف نفسه عرفة الناس ٠

١١١٦ - وَمَنْ حَضَرَ السَّاعَ بِغَيْرِ قلبِ
 ولم يَطْرُبِ فَلَا يَلْثُمُ الْمُغَسِّيَّ
 من سمع الغنا ، وهو مشغول القلب فلم
 يطرب فليلم نفسه ، ولا يلومنَ المغنى ٠

١١٠٣ - وَمَا كُلَّ مَاتَهُوَ النَّفَوسُ بِنَافِعٍ
 وَمَا كُلَّ مَا تخْشِيَ النَّفَوسُ بِبَرَّارٍ
 لِيسَ كُلَّ ماتجده نافعاً وليس كُلَّ ماتكرهه مضرأً

١١٠٤ - وَمَا كُلَّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَيَ
 ولا كُلَّ مَنْ سِيمَ حَسْنَةً أَبَى
 ليس كل من قال وفياً ، وليس كُلَّ من
 سيم الضيم حراً يائى الذل والظلم ٠

١١٠٥ - وَمَا كُلَّ هَارِي لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 ولا كُلَّ فَعَالٍ لَهُ بِمَسْتَمِّ
 ليس كُلَّ من يهوى فعل الجميل يفعله ،
 وليس كُلَّ من يفعل الجميل يتسمه ويكتمه ٠

١١٠٦ - وَمَا كَمَدَ الْحَسَادُ شَيْءًا قَصَدَهُ
 ولكنَّهُ مَنْ يَرَزُّهُ الْبَحْرُ يَغْرِقُ
 لقد أصاب العزن والكمد حсадي ، ولم
 أرد ذلك ، ولكنهم هم الذين تعرضوا لي ، ومن
 يزاحم البحر لا بد أن يغرق فيه ٠

١١٠٧ - وَمَا مَنَزَلَ اللَّذَاتِ عَنِي بِمَنْزِلٍ
 اذا لم أُبَجِّلَ عَنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ
 اني أرفض المنزل الذي أجد فيه لذتي ،
 ولا أحقر فيه كرامتي ٠

١١٠٨ - وَمَا هَدَاهُ إِلَى أَرْضِ كُمالِهَا
 وما أعادتك في حَزْمٍ كَمَرَّاً
 لا يهديك في أرض اذا نزلتها الا العارف
 بها ، ولا يسيئك في أمرك الا الشجاع المقدام ٠

١١٠٩ - وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ
 اذا كانت النفس من باهله
 ماذا ينفع النسب اذا لم ينفع الأدب ؟

١١٢٤ - ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يُغْرِّرُهُ ومن لا يتقى الشتمَ يُشَتَّمُ
من قدم معروفة صان شرفه ومن فعل
ما يستحق عليه الشتم شتمه الناس .

١١٢٥ - ومن يكُنْ ذا فضلٍ في بخلٍ بفضلِهِ
على قوتهِ يُشَتَّمُونَ عنهِ ويُذَمُّونَ
من كان صاحب فضلٍ فطن به على
أهلِهِ استغنى أهلِهِ عنه وشتموه .

١١٢٦ - ومن هابَ أسبابَ المانيا ينتَهِ
وإنْ يرْقِ أسبابَ السماءِ يُسْتَأْمِنُ
من خاف الموت مات ولو صمدَ إلى
السماء .

١١٢٧ - ومن لا يزالُ يستحملُ الناسَ نفسيهِ
ولا يُغْنِيَها يوماً من الدهرِ يَسْأَمُ
من عاش عالة على الناس ولم يستغن عنهم
شتموه وأبعدوه .

١١٢٨ - ومن يجعل المعروف في غيرِ أهلهِ
يُكَنُْ حمداً ذمَاً علىهِ ويندمُ
من جعل المعروف في غيرِ من يستحقه ندم .

١١٢٩ - ومن يعص أطرافَ الزجاج فإنه
يُطْبِعُ العوالِي رُكْبَتْ كُلَّ لَهْذِمِ
من ترك الشر القليل وقع في الشر الكبير ،
مثل من يخاف قائم الرمح فيقع في سنانه .

١١٣٠ - ومن يفترُّبْ يَحْسَبَ عدوًّا صديقهِ
ومن لا يُكَرِّمُ نفسه لا يُكَرِّمُ
الغريب يظن صديقه عدوا له ، والرجل
الذي لا يحرص على كرامته لا يكرمه الناس .

١١١٧ - ومن دَعَا الناسَ إلى ذَمِّهِ
ذَمْشَوَهُ بالحقِّ وبالباطلِ
من قام بالأفعال المعيبة فكانه يدعى الناس
إلى ذمه ، فلا يلهم ان ذمته بما هو حقٌّ
وبما هو باطل .

١١١٨ - ومن ذا الذي تُثْرُضِي سجاياهُ كلَّها
كتفي المرأة ثبلاً أن شعَدَ معايهِ
منْ منَ الناس خالٌ من العيوب ؟
حسب الانسان من النبل أن تعدد هذه
العيوب فيه .

١١١٩ - ومن ركبَ الثورَ بعد الجِوادِ
أنكرَ أظلالَهُ والقبَبَ
من ركب الثور بعد الحصان عرف الفرق
بيهُما ، في الحوافر ولحم العنق .

١١٢٠ - ومن عادة الأيام أن صروفها
إذا ساءَ منها جانب "سر" جانب
عادَة الأيام أن تسوء حيناً وتسر حيناً
١١٢١ - ومن كلاعْتهُ النفسُ فوقَ كفافها
فما ينقضي حتى الماتِ عناؤهُ
من طمع بغيرِ الكفاف تعب .

١١٢٢ - ومن لم يُصانِعْ في أمورِ كثيرةٍ
يُضَرَّسُ بآنيابٍ ويوطاً بسَقَمِ
عليك أن تغضِ الطرف عن بعض الأمور
والا أكلك الناس بأضراسهم وداسوك بأقدامهم .

١١٢٣ - ومن يوْفِ لايَذْمِمْ ومن يهدِ قلبهِ
إلى مُطْمِئْنِيَنَ البرَّ لا يتَجَمَّجمَ
الوافي بالمهود محمود ، والمهتدِي إلى
الصوابِ فصيح ، لا يتردد في كلامه .

١١٣٨ — ومن يَعْلَمْ وليـسـ له سـفـيـهـ

يلـاقـ المـضـلـاتـ منـ الرـجـالـ
منـ كـانـ حـلـيـماـ وـلـيـسـ لهـ سـفـيـهـ يـدـافـعـ عـنـهـ
لـقـيـ منـ النـاسـ الدـوـاهـيـ وـالـمـشـكـلـاتـ ٠

١١٣٩ — ومن يـكـ ذـاـ فـمـ مـرـ بـرـيـضـ
يـجـدـ مـرـأـ بـهـ المـاءـ الزـلاـلاـ
المـاءـ العـذـبـ مـرـ فـيـ الـفـمـ الـمـرـيـضـ ٠

١١٤٠ — ومن يـنـفـقـ السـاعـاتـ فـيـ جـمـيعـ مـالـهـ
مـخـافـةـ فـقـرـ فالـذـيـ فـعـلـ فـقـرـ
مـنـ أـنـقـ عـمـرـهـ فـيـ جـسـ المـالـ خـوفـ الـفـقـرـ
عاـشـ فـيـ فـقـرـهـ ٠

١١٤١ — وهـ لـتـنـيـ الرـسـائـلـ فـيـ عـدـوـ
إـذـاـ مـاـ لـمـ يـكـنـ ظـبـىـ رـفـاقـاـ
لـاـ تـنـفـعـ الرـسـائـلـ فـيـ ردـ عـدـوـانـ الـعـتـديـ
انـ لـمـ تـدـعـمـهاـ القـوـةـ مـنـ رـماـحـ وـسـيـوـفـ ٠

١١٤٢ — وهـ لـيـثـيـتـ "الـخـطـيـئـ" الـاـ وـشـجـعـهـ
وـتـغـرسـ إـلـاـ فـيـ مـنـاـتـهـاـ التـخـلـُّـ
الـرـماـحـ الـخـطـيـئـ نـبـتـ مـنـ الـرـماـحـ الـخـطـيـئـ
وـالـنـخـلـ تـغـرسـ فـيـ مـغـارـسـ التـخلـ ،ـ وـالـرـجـلـ
الـكـرـيمـ يـلـدـ الـكـرـيمـ ،ـ وـالـلـثـيـمـ يـلـدـ الـلـثـيـمـ ٠

١١٤٣ — وـهـمـ بـدـوـاـ بـالـظـلـمـ فـيـ ذـاتـ بـيـتـهـمـ
وـلـاـ يـصـلـحـ الـمـوـلـيـ إـذـاـ كـانـ ظـالـماـ
هـؤـلـاءـ الرـؤـسـاءـ هـمـ الـذـينـ بـدـأـواـ بـظـلـمـ
أـهـلـهـمـ وـشـعـبـهـمـ ،ـ وـلـاـ يـصـلـحـ الرـئـيـسـ إـذـاـ كـانـ
ظـالـماـ ٠

١١٤٤ — وـوـضـعـ الـنـدـيـ فـيـ مـوـضـعـ السـيفـ بـالـعـلـاـ
مـُضـرـ كـوـضـعـ السـيفـ فـيـ مـوـضـعـ الـنـدـيـ

١١٣١ — وـمـهـاـ تـكـنـ عـنـ اـمـرـيـءـ مـنـ خـلـيقـةـ
وـإـنـ خـالـلـاـ تـخـفـيـ عـلـىـ النـاسـ تـعـلـمـ
مـنـ ظـنـ أـنـهـ يـخـفـيـ أـخـلـقـهـ عـنـ النـاسـ فـهـوـ
مـخـطـىـ ،ـ فـلـابـدـ لـهـ مـنـ أـنـ يـكـشـفـوـهـاـ ٠

١١٣٢ — وـمـنـ لـمـ يـعـشـقـ الـدـنـيـاـ قـلـيلـ
وـلـكـنـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ الـوـصـالـ
كـلـ النـاسـ يـجـبـونـ الـدـنـيـاـ ،ـ وـلـكـنـ الـذـينـ
يـحـصـلـونـ عـلـىـ أـقـلـاءـ ٠

١١٣٣ — وـمـنـ لـمـ يـعـمـلـ فـيـ عـيـنـهـ عـنـ صـدـيقـهـ
وـعـنـ بـعـضـ مـاـ فـيـهـ يـمـتـ ٠ـ وـهـوـ عـاتـبـ
إـذـاـ لـمـ تـفـضـ النـظـرـ عـنـ أـصـدـقـائـكـ مـتـ وـأـنتـ
عـلـيـمـ عـاتـبـ ٠

١١٣٤ — وـمـنـ مـذـهـبـيـ حـبـ الـدـيـارـ لأـهـلـهـاـ
وـلـلـنـاسـ فـيـماـ يـعـشـقـونـ مـذـاهـبـ
أـحـبـ الـدـيـارـ لـأـنـيـ أـحـبـ مـنـ يـسـكـنـ الـدـيـارـ
وـالـحـبـ فـنـونـ ٠

١١٣٥ — وـمـنـ نـكـ الدـنـيـاـ عـلـىـ الـحـرـ "أـنـ يـرـىـ
عـدـوـاـ لـهـ مـاـ مـنـ " صـدـاقـهـ بـثـ"
أـصـبـ الـامـرـ عـلـىـ الـحـرـ "أـنـ يـضـطـرـ الـىـ
صـدـاقـةـ مـنـ هـوـ لـهـ عـدـوـ ٠

١١٣٦ — وـمـنـ يـغـيـ الصـدـيقـ بـغـيرـ عـيـبـ
سـيـقـيـ الـدـهـرـ لـيـسـ لـهـ " صـدـيقـ"
مـنـ أـرـادـ صـدـيقـاـ بـلـاـ عـيـبـ عـاـشـ دـوـنـ
صـدـيقـ ٠

١١٣٧ — وـمـنـ يـتـبـعـ جـاهـداـ كـلـ عـثـرةـ
يـجـدـهـاـ وـلـاـ يـسـلـمـ لـهـ الـدـهـرـ صـاحـبـ
مـنـ تـبـعـ عـثـراتـ أـصـدـقـائـهـ لـمـ يـقـ لـهـ
صـدـيقـ ٠

المكافأة في موضع العقوبة مضره ، مثل
وضع العقوبة في موضع المكافأة ، فلكل زمن
ولكل موضع .

□ □ □

حرف اللام الف

- ١١٤٥ - لا بُنَدَ لِلْأَنْسَارِ مِنْ ضَجَّعَةٍ
لا تقلب الرائق عن جنبه
لا بد للإنسان أن يموت ثم يرقد رقدة
طويلة لا يتقلب فيها من جنب إلى جنب .
- ١١٤٦ - لا تأْمَنُ الدهرَ مُشَاهَةً وَمُصْبِحَةً
فالدَّهَرُ يَقْعُدُ لِلْأَقْوَامِ بِالرَّسَدِ
لا نَامَ دُنْيَاكَ لَا فِي الصَّبَاحِ ، وَلَا فِي
الْمَسَاءِ ، فَالدُّنْيَا وَمَصَابِهَا تَقْفَ لَكَ بِالْمَرْصادِ .
- ١١٤٧ - لا تَأْسَ مِنْ دُنْيَا عَلَى فَائِتِ
وعِنْدَكَ إِلَّا إِسْلَامُ وَالْعَافِيَةِ
لا تَعْزَزُ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا دَمْتَ
تَحْفَظُ بِإِيمَانِكَ وَصَحتِكَ .
- ١١٤٨ - لا تَجْعُدُ بِالْمَطَاءِ فِي غَيْرِ حَقِّ
لَيْسَ فِي مَنْعَمٍ غَيْرَ ذِي الْحَقِّ بَخْلٌ
جَدِ بَعْطَائِكَ عَلَى مَنْ يَسْتَحْقُ ، فَلَيْسَ مِنَ
الْبَخْلِ أَلَا تَعْطِي مِنْ لَا يَسْتَحْقُ .
- ١١٤٩ - لا تجعل المزدَادَ بِأَبَا فَهُوَ مَنْقَصَةً
وَالْجَدِّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ الْوَرَى الْقِيسَمِ
لا تجعل المزاح من عادتك فهو نقص في
الروءة ، والجد هو الذي يعلو بك .
- ١١٥٠ - لا تجعلَكَ دَلِيلَ الْمَرْءِ صورَتِهِ
كَمْ مَخْبِرٌ سَعِيرٌ مِنْ مَظَاهِرِ حَسَنِ

- لا تخدع نفسك بمنظر الناس فكم من
جميل الصورة قبيح النفس .
- ١١٥١ - لا تحسِبُوا مِنْ أَسْرَرِهِمْ كَانَ ذَا رَمَقَهُ
فليسَ تَأْكُلُ إِلَّا الْمَيْتَ الْفَيْعَ
لقد كان الأسير الذي وقع في أيديكم
ميتاً ، وأتم مثل الضبع لا تأكلون إلا الميت .
- ١١٥٢ - لا تَحْمِدَنَّ الْمَرْءَ مَا لَمْ تَبْتَهُ
فالمُرْءُ كَالصُّورَةِ لَوْلَا عَقْلَهُ
لا تحدِّ إنساناً قبل تجربته ، فليس المرء
بالصورة ولكنها بالعقل .
- ١١٥٣ - لا تَنْزَرْ مِنْ ثَبَّبَ فِي كُلِّ شَهْرٍ
غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَنْزَدْهُ عَلَيْهِ
زَرِ حَسِيبَكَ مَرَةً فِي كُلِّ شَهْرٍ وَلَا تَرْدَ .
- ١١٥٤ - لا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ
فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ عَنِ الْخَبَرِ
يَكْفِيكَ لِعِرْفَةِ صَاحِبِكَ أَنْ تَرَى وَجْهَهِ
فَالْوَجْهُ شَاهِدٌ عَلَى الضَّمِيرِ .
- ١١٥٥ - لا تَشْتَرِي الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
إِنَّ الْعَبْدَ لِأَنْجَاسٍ " مَنَاكِيدُ"
إذا اشتريت العبد فهو يلهي العصاة ،
فالعبد خبيث .
- ١١٥٦ - لا تضجرَنَّ وَلَا تَدْخُلُكَ مَعْجَزَةً
فَالنَّجَحُ يَذْهَبُ بَيْنَ الْمَعْجَزِ وَالْفَسَاجَرِ
إذا حاولت أمراً فَلَا تضجر ولا تعجز ،
فإن النجاح يضيع بين العجز والضجر .
- ١١٥٧ - لا تُثْلِلِ الْعَزَّنَ عَلَى فَائِتِ
فَلَقَائِمَا يَنْجُدِي عَلَيْكَ الْحَرَّانَ ،

- ١١٦٤ - لا تدحّنْ امرأ حتى تجرّبَه
ولا تذمّئه من غير تجربَه
لا تدحّ أحداً ولا تدمّ أحداً الا بعد
التجربة .
- ١١٦٥ - لا تستقمْ إِذْ كُنْتَ ذَا قدرةٍ
فاللّغوُ من ذي قدرةٍ أصلحُ
إِذْ كُنْتَ قادرًا فاعف ودع عنك الحقد
والانتقام ، فاللّغوُ عند القدرة أحسن .
- ١١٦٦ - لا تنكِرَنَّ لِذِي النِّعَمَاءِ نعمتَهُ
لا يشكِّرُ اللّهُ مَنْ لا يشكِّرُ النَّاسًا
لا تنكِرُ احسانَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، فَاللّهُ
لا يشكِّرُ مَنْ لا يشكِّرُ النَّاسَ .
- ١١٦٧ - لا تنكِرِي عَطَّلَ الْكَرِيمَ مِنَ الْفَنِي
فالليل حَرَبٌ للسَّكَانِ الْعَالَى
أيَّتَهَا الصَّدِيقَةُ ، لا تنكِرِي أَنْ يَكُونَ
الْكَرِيمُ فَقِيرًا فالليل يُعْرِفُ ترابَ الجَبَلِ لِيَقِيهِ
فِي السَّوَادِي .
- ١١٦٨ - لا تنهَ عن خُلُقِي وَتَأْنِيَ مثْلِهِ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا قَعَلْتَ عَظِيمَ
إِذَا نَهَيْتَ أَخْوَانَكَ عَنْ خَطَا فَلَا تَقْعُ في
مثْلِهِ ، وَالا فَأَنْتَ مذْنِبٌ ذَنْبًا كَبِيرًا .
- ١١٦٩ - لا تهينِيَ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَى
كُعَّ يَوْمًا وَالدَّهْ قَدْ رَفَعَهُ .
- ١١٧٠ - لا تَيَأسْ مُضيًقاً إِنْ تَرَى فَرَجاً
فِرْبَمَا اتسَعَ الْأَمْرُ الَّذِي ضَاقَا
- ١١٥٨ - لا ظلمَنَّ إِذَا ما كنْتَ مُقتَدِرًا
فَالظُّلْمُ أَخْرُهُ يَأْتِيكَ بِالْتَّدَمِ
إِذَا كنْتَ قَوِيًّا فَلَا ظلمَ النَّاسُ ، فَعَاقِبةُ
الظُّلْمِ التَّدَمُ .
- ١١٥٩ - لا تَعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حَلَائِهِ
فَذَلِكَ مَيِّتٌ وَنُوبَهُ كَفَنٌ
الْجَاهِلُ يَعْجِبُ بِشَيْبَاهُ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهُ
مَيِّتٌ وَأَنْ نُوبَهُ هُوَ كَفَنٌ .
- ١١٦٠ - لا تَعْجَلَنَّ فَرْبَمَا
عَجِيلَ الْفَتِي فِيمَا يَضْرِبُهُ
لَا تَعْجِلُ فِي الْعَجْلَةِ النَّدَامَةِ وَالضَّرَرِ .
- ١١٦١ - لا تقطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتَرْسِلُهَا
إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاثْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَنا
رَأْسَ الْأَفْعَى شَرٌّ مِنْ ذَنْبِهَا ، فَإِذَا قطَعْتَ
ذَنْبَهَا لَمْ تَفْعِلْ شَيْئًا ، فَأَسْرَعَ وَالْحَقُّ الرَّأْسُ
بِالذَّنْبِ .
- ١١٦٢ - لا تَكْتَمَنَّ دَاءَكَ الطَّبِيبَا
وَلَا الصَّدِيقَ سِرَّكَ الْمَحْجُوبَا
لَا تَكْتُمُ عَنِ الطَّبِيبِ مَرْضَكَ ، وَلَا عَنِ
الصَّدِيقِ الْوَفِيِ سِرَّكَ .
- ١١٦٣ - لا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِيِ النَّاسِ مَاسِتَرَوا
فِي كِشْفِ اللّهِ سِرَّاً مِنْ مَسَاوِيِكَا
لَا تَكْشِفُ مَسَاوِيَ النَّاسِ الْمُسْتَوْرَةَ ،
فِي كِشْفِ الْمَسَاوِيَكَ وَيَفْضُحُكَ .

لا تأس اذا أصابك ضيق فعقبى الضيق
فوج .

١١٧٦ - لا خير في طمع يُدنى الى طبعه
وبثغة من قوام العيش تكتفي
الطم شر وملكة ، وتُفكك لقمة
عيشك .

١١٧٧ - لا خير في غادر موته
كالصاد والقول منه كالعسل
لا خير في رجل غادر لسانه كالعسل و فعله
كالعلم .

١١٧٨ - لا شيء أتعن للتقى من ماله
يقضى حواجه ويجلب أنسنه
مال أشع شيء للفتى يقضى به حاجاته
ولذاته .

١١٧٩ - لا يأكل "الإنسان" إلا ما رزق
ما كتلـ أخلاق الرجال تتحققـ
أيها الإنسان أنت تأكل رزقك وحدك ،
وأخلاق الناس متفاوتة .

١١٨٠ - لا يخدع عثلك من عدو دمته
وارحم شبابك من عدو ترحمـ
اذا بكى عدوك فلا يخدعك بكاؤه ،
وارحم نفسك .

١١٨١ - لا يصبر الحر تحت ضيمـ
وإنما يصبر الحمارـ
الحر لا يصبر على الذل ، وإنما يصبر
على الذل الحمار .

١١٧٧ - لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا
لا يصلح الناس ان لم تكون لهم رئاسة
وزعامة ولا يصلحون كذلك اذا كان رؤساؤهم
هم الجاهلين والمنحرفين .

١١٧٨ - لا تعجبنَّ مُضيًّا حسنَ بِرِّته
وهلْ يروق دفينا جودة الكفنـ
لا يعجب الذليل بشابه فإذا الميت لا يعجبه
كتنه ، مهسا كان جميلا .

١١٧٨ - لا يفتر ثلك ما ترى من رجالـ
إذْ تحت الضلوع داء" دوىـ
لا تفتر بعولاـ الرجال الذين يحيطون بكـ
ويحدثونك حدثـا حلوـا فلو كشفت عن قلوبهمـ
لترين لك فيها الداء والحقـ .

١١٨٠ - لا يقبل الصدق من الكذابـ
وإن أتى بمنطق عجائبـ
اذا عرف المرء بالكذب لا يصدق وانـ
صدق .

١١٨١ - لا يكذب المرء إلا من مهاتهـ
أو عادة السوء أو من قلة الأدبـ
دواجه المرء الى الكذب ثلاثة : هوانـ
نفسه عليه ، أو عادته السيئة ، أو قلة تهذيبه .

١١٨٢ - لا يكنـ برتك برـ فـا خـلـباـ
إـنـ خـيرـ البرـقـ ماـ الفـيـثـ مـعـهـ
لـقدـ وـعـدـتـنـيـ فـأـنـجـزـ وـعـدـكـ ،ـ وـلـاـ تـكـنـ
كـالـبـرـقـ الـكـاذـبـ يـلـمـعـ وـلـاـ يـمـطـرـ فـخـيرـ الـبـرـ
ماـ صـاحـبـهـ الـمـطـرـ .

١١٨٣ — لا يبلأ الأمر صَدْرِي قبل موقعه
ولا يضيق به صَدْرِي إذا وقعا
الحادية منحوادث لا تشغل بالي قبل
أن تقع ، ولا يضيق بحملها صدرى إذا وقعت .
١١٨٤ — لا ينفع الذكر قلبا فاسياً أبداً
وهل يكفين لضرس الماضي الحجر
إذا حاولت بكلامك اصلاح قلب قاس
أضعت وقتك فالحجر لا يكسر تحت الضرس .

حروف الياء

١١٨٥ — يا أيتها الرجل المعلم غيره
هلاً لنفسك كان ذا التعليم
إيها الرجل هلا علمت نفسك قبل أن
تعلم الناس .
١١٨٦ — يا أيتها اللاعب أين تذهب
جَدَّ بك الأمر وأنت تتلهب
إيها اللاعب ، إن الأمر جد وأنت لا تزال
تعبث وتلعب فاتتب لنفسك .
١١٨٧ — يا أخا الخفيف والدعاه
نمت والأرض مشتبه
إيها الانسان السعيد أنت تسام وتففل
والارض التي تنام فيها ملائى بالسباع والوحوش .
١١٨٨ — يابى الفتى إلا اتباع الهوى
ومتهمج الحق له واضح
الانسان يتبع هواه ، ويترك طريق الحق
والعقل .
١١٨٩ — يا رب احسانٍ يعود ذنبنا
ورب سليمٍ سيصير حربا

رب احسان ينقذ اساءة عند الثام ،
ورب سلم ينقذ حربا عند من لا يرعى المهدود .
١١٩٠ — يا رب حلوٌ سيسير شمما
ورب حمدٌ سيسير ذمما
رب حلو صار ساما فاتلا ، ورب من حمدك
اليوم ، وهو يذمك غدا .
١١٩١ — يا رب هزلٌ كان منه الجد
ورب مرحٌ صار منه العقد
رب هزل اتقلب جدا ورب مرح أورث
حددا .
١١٩٢ — يا ربما أورثت اللجاجة
ما ليس للمرء إلية حاجه .
اللجاجة والإلحاد عاقبتها الندامة والذم .
١١٩٣ — يا ربما نال الفن رشدته
وأخذوا السهم المصيب قصده
ربما كان الفن عاقلاً وربما أخذوا السهم
هدفا .
١١٩٤ — يا زائري مين . بعد يأس ربها
تم المثنى مين . بعد إرجاء الرجا
لقد زرتني يا حبيبي بعد يأس من زيارتكم
وقد ينال الانسان أمله بعد قطع الرباء .
١١٩٥ — يا عاقد العقد جهلا
هلاً تذكرت حلاً
يا عاقد (الحل) اذكر حله .
١١٩٦ — يا عجبًا للاهمي
والدهر ذو دواهي
أعجب لمن يلهو ويغفل عما في الدهر من
تقلبات ومصاب .

- ١٢٠٣ - يجني الغنى للثامِ لو عَقْلَوا
ما ليسَ يجني عليهمَ العَدَمُ
اذ الغنى يضرُ اللئامُ والاشرارُ أكثرُ مما
يضرُهم الفقرُ .
- ١٢٠٤ - يجبُ الفتى طولَ البقاءِ وَإِنَّهُ
على ثقةٍ أَنَّ البقاءَ فناءً
كل انسان يجبُ الخلودُ وهو يعرفُ أنَّ
بقاءه هو طريقُ الفناءِ .
- ١٢٠٥ - يخفى صنائعُها واللهُ يظهرُها
إِذ الجميلُ إِذَا أخفيتها ظهرَها
الرجلُ الكريمُ يخفى عن الناس ما يفعله
من خيرٍ ولكن فضله يظهرُ للناس ، والجميلُ
يعرفه من يراه ، مما يخفى نفسه .
- ١٢٠٦ - يخيبُ الفتى من حيثُ يُرْزَقُ غيره
وينفعُ الفتى من حيثُ يُحرَمُ صاحبُهُ
الحياة على هذا الشكل : واحدٌ يخيب
سعيه وآخرٌ يرزقُ واحداً محروم وآخرٌ
موهوبٌ .
- ١٢٠٧ - يتراءُ من القلبِ نسائكم
وتَأْتِي الطَّبَاعُ على التَّاقِلِ
يريدُ الناسُ أَنْ ينساكم قلبي ، وقلبي
لا ينسى جهَ لكم .
- ١٢٠٨ - يرى الجناءُ أَنَّ الجنَّ حزْمٌ
وذلكَ خديعةُ الطَّبَيرِ اللَّهِ يَسِّرِ
الجانِ يرى الجن حزماً وعقولاً ، ويخدع
 بذلكَ نفسَهُ .
- ١١٩٧ - يا عجباً منْ يُحِبُّ الدُّنْيَا
وليسَ للدنيا عليهِ بِقِيَّا
أَحَبُّ مَنْ يُحِبُّ الدُّنْيَا ولِيْسَ لَهَا بِقاءٌ .
- ١١٩٨ - يا عجباً منْ نَائِمٍ يَنَامُ
وليسَ في الدُّنْيَا لَهُ مَقَامٌ
أَحَبُّ مَنْ يَنَامُ وَهُوَ يَعْرُفُ أَنَّهُ مَسَافِرٌ
إِلَى الْمَوْتِ .
- ١١٩٩ - يا قومُ أَذْنِي لِعِصْمِيْ عَاشِقَةٍ
وَالْأَذْنُ تَعْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَا
أَنَا أَعْمَى ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ
أَمْرَأَةٍ فَأَحْبَبْتُهَا ، وَقَدْ تَعْشِقُ الأَذْنَ كَمَا
تَعْشِقُ الْعَيْنِ .
- ١٢٠٠ - يا وَانِقاً بِرْزَانِهِ
أَخْطَرُ تَصَرُّفَهُ يَالِكَ
أَيْهَا الْوَاقِتُ مِنْ دَهْرِهِ تَذَكَّرُ أَنَّ الدَّهْرَ
يَنْتَلِبُ وَيَدُورُ .
- ١٢٠١ - يَبْكِي عَلَى الْذَاهِبِ مِنْ مَالِهِ
وَإِنَّمَا يَقِيُّ الَّذِي يَكْدُهُبَّ
هذا الرجل يَكْيِي على ما أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ
عَلَى الْخَيْرِ ، وَالْحَقُّ أَنَّ مَا أَنْفَقَهُ عَلَى الْخَيْرِ هُوَ
الَّذِي يَخْلُدُ ذَكْرَهُ وَيَقِيُّ لَهُ .
- ١٢٠٢ - يَنْعِي الْحَظْوَظَ أَنَاسٌ مِنْ ظَبَّيٍّ وَقَنَاءٍ
وَآخَرُونَ بَغْوَهَا بِالْمَسَارِيَّطِ
طَلْبُ الْأَرْزَاقِ مُخْتَلِفٌ فَبَعْضُ النَّاسِ
يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ وَالْحَظْظَ بِالْحَرْبِ ، وَالسَّيْوَفِ
وَالرَّماحِ ، وَبَعْضُهُمْ يَطْلُبُونَهَا بِأَدَوَاتِ الْحَلَاقَةِ
وَالصَّنَاعَاتِ .

١٢١٥ - يشتئي الانسان في الصيف الشتا
فإذا جاء الشتا أتكره
ما أحبب الانسان : اذا كان الصيف
اشتهى الشتاء ، واذا جاء الشتاء طلب الصيف .

١٢١٦ - يعتبرَ المرسِلُ بالرسولِ
وما على الرسولِ من سَيْلٍ
الرسولُ (المعوث) لسان من أرسله
إليكَ ، فإذا أخطأ أو أصاب فليس لك عليه
عتاب ، لأنه ينطق باسم صاحبه .

١٢١٧ - يعقبُ الصبرَ نجاحاً وغنى
ورداءً الفقر من نسخ الكسل .
عاقبة الصبر النجاح وعاقبة الكسل الفقر .

١٢١٨ - ينادي بيتكَ عيدهُ الله حاسداً هم
بعيدهِ العيير يتقدى حافرَ الفرسِ
الحاسدون فداء لأولادك العظام وحافر
الفرس الأصيل ينادي بعيدهِ الحمار .

١٢١٩ - يقربُ الشوقَ داراً وهيَ نازحةً
من غالحَ الشوقَ لم يستبعد الدارا
شوقى الى الأحباب والأهل يقرب علىَ
دارهم ، وان كانت بعيدة ، والمح لا يستبعد
دار الحبيب .

١٢٢٠ - يقولُ المرءُ : راحتني وزادي
وتقوى الله أحسن ما استزادا
يحرض الانسان على بيته وطعامه ، وخير
الزاد تقوى الله وخوف الشر .

١٢٢١ - يقولونَ - الزمانُ به فسادٌ
وهم فسدوا وما فسدَ الزمانُ

١٢٠٩ - يريدُ المرأة أن يعطي مثاءً
ويأبى الله إلا ما أرادا
كل انسان يريد أن يحقق آماله ولكن
القدر لا يعطيه كل ما يريد .

١٢١٠ - يريدُ المعالي عاطلٍ من أداتهَا
وهيئاتٍ مِنْ مَقْصُوصَةٍ طيرانها
يريد أن يدرك المجد من لا يملك الشجاعة
والارادة وكيف يطير الطير اذا كان مقصوص
الجناح .

١٢١١ - يزدحم الناس على بابِهِ
والمتهلُ العذبُ كثيرُ الزحامِ
هذا الرجل كريم يزدحم الناس على بابِهِ
يطلبون خيره ، وكذلك النبع الحلو يزدحم
الناس حوله يطلبون منه .

١٢١٢ - يستصلاح الناس ويensi نفسهِ
وكلتا أصبحَ ينسى نفسهِ
هذا انسان يطلب صلاح الناس ويفعل
هو الشر وينسى عند الصباح ما قاله
آمن وما فعله .

١٢١٣ - يسعى عليكَ كما يسعى اليكَ فلا
تأمينٌ غواائل ذي وجهينِ كذلكِ
الكذاب ذو الوجهين لا يؤتون فهو يحالفك
على عدوك ويحالف عدوك عليكِ .

١٢١٤ - يسقطُ الطيرُ حيث يلتقطُ الحَـ
بَ وتنفسى منازلَ الكثراً ماءً
يقصد الناس منزل الرجل الكريم كما
تقصد العصافير يبادر العب .

قال بعض الناس : لقد فسد الزمان ،
والزمان لا يفسد ، فهو ليل ونهار وقمر وشمس ،
ولكن الناس هم الذين يصلاحون أو يفسدون .

١٢٢٢ — يقولون : إنَّ العامَ أَخْلَفَ نُوءَهُ
وما كُلِّـ عامٍ رَوْضَةٌ وغَدَيرٌ
يقولون : المطر قليل في هذا العام ،
وليست الأعوام كلها خصيبة بل منها الخصيبة
ومنها الجدب .

١٢٢٣ — يقولون : أخبرْنَا فَانَتْ أَمِينَهَا
وَمَا أَنَا إِنْ أَخْبَرْتُهُمْ بِأَمِينِ
يقول لي أصدقائي : أخبرنا أخبار حبيبك
فَانَتْ أَمِينَ عَنْهَا تَطْلُبُكَ عَلَى أَسْرَارِهَا ، ولتكنى
أكتم أخبارها لأنني لو أخبرتهم كنت خائنا ولم
أكُنْ أَمِينًا .

١٢٤ — يقولون : لا تَنْظُرْ وَتَلَكْ بَلِيَّةً
الْأَكْلُ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بَنْدَ نَاظِرْ
مرت بي امرأة جميلة فقال لي أصحابي
لا تنظر إليها وكيف ذلك وكل من يملك عينين
لا بد له من أن ينظر ويرى بعينيه .

١٢٥ — يَقِي الْكَرِيمُ عَرَضَهُ بِمَالِهِ
وَعَرِضَ ذِي اللَّؤْمِ وَقَاءَ مَالِهِ
الْكَرِيمُ يَصُونُ عَرَضَهُ بِمَالِهِ ، وَاللَّذِيمُ يَصُونُ
مَالِهِ بِعَرَضِهِ .

١٢٦ — يَمُوتُ الْقَتِيْنِ مِنْ عَثْرَةِ بَلْسَانِهِ
وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجْلِ
قد يُقطِّعَ لسانَ المرء خطيئة تقتله ، وقل
أن يموت اذا تعثر رجله .

١٢٢٧ — يَمُوتُ رَاعِي الصَّافَرِ فِي جَهَلِهِ
مِيَّسَةَ جَالِينُوسَ فِي طِبَّهِ
رَاعِي النَّفَرِ الْجَاهِلُ يَمُوتُ مُشَلَّ الطَّبِيبِ
الْعَالَمِ .

١٢٢٨ — يَنْسِي مَفَرِّهَتَهُ لِنَعْمَ صَدِيقِهِ
لَا خَيْرَ فِي شَرْفِهِ إِذَا لَمْ يَنْتَعِّ
هذا صديق مخلص ينفع صديقه ، وإن
أضر بنفسه ، ولا خير في صديق لا ينفع .

١٢٢٩ — يَنْشَا الصَّغِيرَ عَلَى مَا كَانَ أَوْلَاهُ
إِنَّ الْعَرْوَقَ عَلَيْهَا يَنْبَتُ الشَّجَرَ
الصبي ينشأ على أخلاق أهله ، كما تترعرع
الأغصان من الأشجار .

١٢٣٠ — يَهُوَى الْبَقَاءَ خَشِيَّةَ الْفَنَاءِ
وَإِنَّا يَقْنُى مِنَ الْبَقَاءِ
فَلَانِ يَحِبُّ الْبَقَاءَ خَشِيَّةَ الْمَوْتِ ، وَإِنَّا
يَمُوتُ لَأَنَّهُ يَمِيشُ .

١٢٣١ — يَوْمَ الْفَقِ طَولَ السَّلَامَةِ جَاهِدًا
فَكِيفَ تَرِي طَولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يريد المرء أن يقي سلاما طول حياته ،
والصحة طريق المرض ، والسلامة طريق الهلاك .

١٢٣٢ — يَوْمَهُ الْمَرْءُ أَنْ يَحْيِي سَلِيمًا
وَمَا يَأْتِي لَهُ يَأْتِي عَلَيْهِ
يريد المرء أن يقي سلاما ، ولكن الأيام
التي هي له الآن سوف تقضي عليه غدا .

النموذج العاشر في كتابة التراجم

سهيل عثمان

أمل أن يتضح هذا النموذج ويتبادر مفهومه من خلال دراسة مثال عليه من تراثنا وهو أسلوب ابن أبي أصيبيعة في كتابه العلمي المسمى (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء) وابن أبي أصيبيعة هو أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي الدمشقي المولد . قيل انه ولد عام ٦٠٠ للهجرة وقيل بل ٥٩٦ من أمراة أطباء عرفت بالعلم والأدب ، فتزود بالثقافتين العامة والاختصاصية وغدا كحال أي طبيب عيون . وقد سافر في منتصف عمره الى مصر وعمل فيها وعاد الى دمشق بعد سنة ، ثم دعاه أمير صرخد للاقامة بقرره فلبى وأطّل المكت في البلدة التي أعجبه هواها الى أن توفي فيها سنة ٦٦٨ هجرية (١٢٧٠ م) . وقد أسعفته ثقافته في تصنيف كتب عديدة كان عيون الأنبياء ولم يزل أشهرها . يتالف الكتاب من أبواب متعددة تترجم للأطباء في مختلف العصور والأقطار وعند الأمم المختلفة فمن أطباء اليونان الأوائل الى تلاميذهم ، ومن أطباء العراق الى أطباء الشام ومصر ، ومن أطباء بلاد العجم الى أطباء الهند ، ومن أطباء العرب أثناء ظهور الإسلام الى الأطباء النقلة الذين أطّلعوا أبناء المربية على طب السابقين

وبما أن كثيراً من فلاسفه الأزمنة القديمة كانوا من الأطباء أو على الأقل من الدارسين للعلوم الطبية فقد احتوى «العيون» على ترجمة العديد منهم ، وأصبح من المراجع الهامة المعينة في التعرف على الفلسفة الاغريق والعرب وحكماء سائر الأمم . وقد أعجب المستشرق اوغست مولر بالكتاب ، فتتبع

مخطوطاته حتى حققه ودفعه إلى مصطفى وهبة وكيل دار الكتب المصرية فطبعه في المطبعة الوهبية عام ١٨٨٢ م . وجاءت الطبعة في مجلدين ، وهي تدل على الجهد الذي بذله كل من أسهم فيها .

ومن أجل التعرف على المنهج التناطفي الذي اتبعه المؤلف في ترجمته شخصياته سنقوم بتحليل ترجمته لأحدى الشخصيات الأسطورية اليونانية القديمة ولفيلسوف يوناني ولطبيب عربي مخضرم ولفيلسوفين عربين .

أما الشخصية المتولوجية اليونانية فهي شخصية اسقلاوب اله الطب حسب معتقد الاغريق الوثنيين القدماء حيث نجد الكتاب يذكر اسمه وهو اسقلبيوس، ويدرك مختلف الروايات في اسم أبيه مع تعينه مراجعه أو كتابها على الأقل . فمن السجستانى المنطقي أنه ابن زيوس وعن جالينوس أنه قد قيل في أبيه انه أفالن (أبولون) وأنه فلاوغواس . ويفسر تسميته فأسقلبيوس معناها في اليونانية مانع اليسى أي حافظ الصحة لأن الصحة في دوام الرطوبة الحية والموت في البيوضة ، كما يرى أن بعضهم يرى في أصل التسمية اشتقاها من البهاء والنور . وذكر أن أفلاطون قد ذكره في كتاب النوميس والسياسة . وينقل عن أخبار الجيازير بالسريانية سمو ذكائه وعلمه . ويأخذ عن أبقراط وعن كتاب جالينوس عن أبقراط هو كتاب (ايمان أبقراط وعهده) كما يورد القول لجالينوس ويتبعه بتفسير حنين بن اسحق له أو تعليله ٠٠٠ . وخلاصة صورة اسقلاوب في نظر ابن أبي أصيبيه أنه انسان صالح موهوب ألهمه الله الطب ورفعه مكاناً علياً بعد موته وأنه تلميذ هرمس الملقب بعطارد والذي يقابل ادريس نبي الله وأنه جد أغلب الأطباء والفلسفه اليونان . ويشير إلى مسألة تأليهه اشارة سريعة واسفأ ايها بأنها أحدى الغرائب . ويحاول تلليل كل ظاهرة من الظواهر المتعلقة به ، فقد دع ابن أبولون لأن الطبيب يحتاج إلى شيء من العراقة ، وأما الذين عدوه ابن فلاوغواس فلأن هذا الاسم مشتق من اللهيب فهو بذلك ابن القوة الملهبة الحيوانية لأن الحياة لا تكون إلا بالحرارة، وقد اعتبرت فورونس (كورونيس) والدته لأن اسمها مشتق من الشبع واستفادة الصحة . ويعرض لصورته مفسراً كل جانب من جوانبها ، فهو رجل ملتуж جمته ذات ذوائب ، وقد اختلف الباحثون في سبب تصويره ملترياً، فمنهم

من اعتقد أن هيئته كانت على هذا الشكل عندما انتهت حياته الأرضية ، و منهم من ذهب إلى أن صناعة الطب التي تسبب إليها و نسبت إليه تحتاج إلى الشيغوخة والملفقة ، ورأى آخرون أنه صور ملتحياً على حين صور أبوه أمرد بسبب تفوقة في صناعة الطب على أبيه ثم يفسر تصويره حاملاً عصا من شجرة بنات طببي ولماذا يرسم التنين^(١) على تلك العصا ٠٠٠

ويروي بعدها أنه علم الطب ابنيه اللذين رافقا أغامضون عند ذهابه إلى فتح طرياس (طروادة) . وأخيراً نجد المؤلف ينقل عن كتاب الأمير أبي الوفاء مبشر بن فاتك في كتاب (مختار الحكم ومعasan الكلم) باقة من حكم منسوبة إلى أسلوبيوس مثل « كم دهر ذمته و فلما صرتم إلى غيره حمدته وكم من أمر أبغضت أو ألهله و يكفي عند أواخره عليه » ومثل : « ابني لأعجب من يحتمي من المأكل الرديئة عافية الضرر ولا يدع الذنب عافية الآخرة » وقيل له : صفت لنا الدنيا فقال : « أمس أجل واليوم عمل وغداً أمل » وقال : « المتبع بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح ولا يدرى ما هو فاعل » إلى غير ذلك من الحكم التي تجعله مألفاً عند قارئي كتاب عيون الأنباء غير غريب في نظرهم ٠

و ملاحظتنا الأخيرة السابقة هي التي قادتنا إلى التوقف عند الظاهرة التعاطفية في منهج ابن أبي أصيبيعة ، فهو عندما يرى الباحثين مختلفين حول أمر من الأمور أو يجد أن الأمر يحتمل الاجتهاد يميل إلى تبني الاجتهاد الإيجابي الذي يعطي لترجمة صورة مقبولة في نظر قرائه ، ويسمح بتقريب العقول بعضها إلى بعض ، و يجعل نظرات الماضين معقولة في نظر اللاحقين . وقد رأينا يعتقد في أستقولاب أنه رجل صالح موهوب ملهم وليس لها للطب وهو بذلك قد عاد إلى أصل هذه الشخصية التي أدت المبالغة في شأنها إلى تكون المتقد الأسطوري عنها ، كما عبر عن تقدير القدماء لها بلغة التقدير التي يعرفها أبناء عصره فاستأنسوا بدلًا من أن ينفروا . وقد ذكر أثناء البحث عدداً من آلهة يونان وأبطالها مثل زوس وديونيزوس وديمتر او هيبا يستوس وهرقل واعتبرهم جميراً - كما يرجح أن يكونوا عليه في الأصل - أناساً نابهين تمعنا بالمواهب وقدموا العطاء .

١ - لعل المقصود بالتنين : الحبة التي ترافق استقولاب . فمن معاني التنين أنه الأفعى المظيمة .

وينظر صاحب الميون بعين الفهم الى الفن الاغريقي القديم فاجزاء صورة أسلوب المرسومة أو المنحوتة لم تأت عبتاً بل عن حكمة رمزية تناسب ما اشتهر به مؤسس الطلب فكانه يريد أن يقنع الناطقين بلغته أن أبناء العضارات الأخرى يفكرون ويجتهدون ويحاولون أن يعملوا بمقتضى الحكمة ومن المناسب للمرء أن يطلع على محاولاتهم ويفهمها ويقدرها حق قدرها .

فإذا ماتركنا أسلقيوس الذي يعتبر أدخل في باب الشخصيات الأسطورية منه في مجال التاريخ وانتقينا فيلسوفاً عاش تاريخياً بشكل أكيد ودقق في أمره القدماء والمحدثون وهو أرسطوطالليس بن نيقوماخوس نجد صاحب الميون يفسر الأسماء اليونانية . أرسطوطالليس هو تام الفضيلة وتفسير اسم نيقوماخوس هو قاهر الخصم وكان هذه التفسيرات اللغوية وأيحاها تخدم منهجه التعاطفي . ثم يرجع نسبة إلى أسلقيوس رأس الأطباء . عن طريق أبيه الطبيب وأمه . وبعد أن يذكر مكان ولادته المعروفة ولكن صاحب الميون ينقل عن مراجعه ما يجعل لها حالة خاصة، فقد أيضاً معروفة ولكن صاحب الميون ينقل عن مراجعه ما يجعل لها هالة خاصة، فقد ذكر قوم أن تسليم أرسطو إلى أفلاطون لتعليميه تم بوحى من الله في هيكل بوtheon وكانه ينبه قارئه إلى لا يأخذ الأمور بضيق الأفق بل عليه أن يوسع نظره فكل الهياكل يقصد بها الله وإن اختللت المظاهر والتسميات .

ويتم قصة حياته وتعليمه باللوقيون ثم تأديبه الاسكندر المقدوني ورحلاته بين أثينا وسواها إلى خروجه الأخير عند شروع أحد الكهنة في تأليب الرأي العام وتحريك الدعوى ضده بتهمة الغرور على الدين ، وقد استطاع الرحيل قبل أن يناله أحد بسوء وقبل أن يضطر إلى تقديم الاعتذار الذي نسبه بعضهم إليه . ثم يذكر تقدير أهل مدینته اسطاغرا له في حياته وبعد موته لأنه واضح سنتهم أو دستورهم وتقدير الآثينيين له ومقاومتهم من خالف ذلك ويدرك فضلهم ومراؤه واحسانه إلى الناس والتوسط لغيرهم لدى الملوك الذين قدروه حق قدره . ويدرك أن أفلاطون كان يلقبه العقل وكان لا يشرع في الدرس حتى يأتي وقد لا يراه ادارة الأكاديمية أثناء سفره الثاني إلى صقلية . ويروي عن المسعودي من غير تعليق أنه رأى في مكان الهيكل القديم في باليرمو بصقلية خشبة عظيمة معلقة في الهواء قيل له إن الروم - وهم اليونان

والروماني هنا - وضعت جثة الحكيم أرسطو فيها لكي تدعوه به الله لأغراضها.. ويصف أوضاعه العائلية وهيئته البسمية وطريقته في الحياة وهي طريقة الفيلسوف الجاد في البحث مع حب الفن ويدرك اختلاف الباحثين في مدة عمره وهل كان ٦٦ عاماً أو ٦٧ أو ٦٨ عاماً؟ بل إن منهم من يجعله قد عمر طويلاً . ثم يذكر قائمة بأسماء كتبه مصنفة بحسب عدة معاور للتصنيف .

ويُنقل عن حنين بن إسحق قصة أرسطو الغلام اليتيم الذي كان يخدم أفلامون أثناء تعليمه لابن الملك العاكم في زمانه فكانت النتيجة أن ابن الملك استخف بما ألقى إليه الفيلسوف من الحكم فلم يستطع أن يتحدث بشيء حين اجتمع كبار المملكة لامتحانه والابتهاج به وتقدم أرسطو فنطق بما ملأ الجميع بالعجب وبالإثارة صدر أستاذه فكان محل انعام الملك . ثم يذكر طرفاً من الحكم التي فاء بها مثل « باصابة المنطق يعظم القدر وبالحلم تکثر الأنصار » إلى غير ذلك من الحكم المألوفة . إلا أن ما يلفت النظر في هذه القصة أن أرسطو يسمى نفسه أرسطوطاليس بن يوليسيوس وليس ابن نيقوماخوس . ثم يعود إلى ذكر حكم أرسطو منقوله عن مبشر بن فاتك مثل (أعلم أنه ليس شيء أصلح للناس من أولي الأمر إذا صلحوا ولا أفسد لهم ولأنفسهم منهم إذا فسدوا) فكانت في الدنيا لم تجد لها أهلاً لأن تكرها بيهوان الآخرة لأن الدنيا دار بلاء ومنزل بلبة إذا أردت الفتى فاطلبه بالقناعة إن كان لا بد لك من اشتغال نفسك بلذة فليكن بمحادثة العلماء ودرس كتب الحكمة أعلم أن كثرة أعون السوء أضر عليك من فقدان أعون الصدق أي ملك نازع السوقه هتك شرفه ليكن غضبك بين المنزلتين لا شديداً قاسياً ولا فاتراً ضعيفاً فإن ذلك من أخلاق السباع وهذا من أخلاق الصبيان أنا لنحب الحق ونحب أفلامون فإذا افترقا فالحق أولى بالمحبة ليس زيادة القوة بكثرة ما يارد البدن من الغذاء بل ولكن بكثرة ما يقبل منه) ويروى بعض ما ينسب إليه من وصايا لطلبه الاسكتندر وبعض حكاياته معه وقصة أمره ببناء مثمن على قبره تنشش عليه ثمانين جمل فيها جماع مصلحة الناس تتعلق بالسياسة وتبين قيمة القوة والمال والعدل والدستور في ثبات الحكم وتأديته مهمته ، وقد رسم صاحب العيون مخططاً للمثمن وعلى كل ضلع جمله .

ثم يعود الى التوسيع في ذكر كتب أرسطو ناقلا عن بطليموس الذي يسميه بطليموس وعن أندرونيقوس، كما يذكر الكتب التي شاهدها بنفسه دون أن ترد عند هذين ومن الجملة رسالة في التوحيد على مذهب سقراط وكتاب القول على الربوبية وأعتقد أن هذا الكتاب الأخير هو الذي نسب خطأ الى أرسطو وهو في الأصل من تاسوعات أفلوطين ومصدر الخطأ هو عبد المسيح ابن عبدالله بن ناعمة المترجم^(١) . وهذه القوائم لكتب أرسطو احتوت على كتبه المروفة في التعاليم (الرياضيات) والهيئة (الفلك) والمنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والنبات والعيوان والطب والنفس والسياسة والأخلاق ومن أبرز مراجعه عن أرسطو كتاب (المسالك والممالك للمعمودي ، وكتاب ابن جليل عن أرسطو وكتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) لمبشر بن فاتك ، وكتاب (نواذر الفلسفة) لحنين بن اسحق ، والফهرست لابن النديم ، كما يستعين ببطليموس والفارابي والقاضي صاعدي كتابه (التعريف بطبقات الأمم).

وقد لاحظت أن العيون لم يعرض فلسفة أرسطو كمذهب متكامل يشمل بشكل متسلسل آراءه في العالم والمحرك الأول والصورة والمادة وأنواع النفوس ونظرياته في الفضيلة وأنواع الحكومات ومنظمه وما يحتوي عليه من نظريات في المقولات والأقيسة والبراهين ثم نظرياته الفنية وان عدد الكتب التي تحتوي على كل هذه الموضوعات فكان الكتاب مؤلف لغير المختصين موجه الى طلاب الشفافة العامة الذين يريدون أن يأخذوا فكرة عن كبار رجال الفكر الأطباء والمؤلف يعاملهم بذكاء فهو يعرض لهم رجل الفكر عرضاً حياً تختلط فيه السيرة بالفكرة بالحكاية بالقائمة المكتبية حتى يدفهم الى متابعة الاطلاع والرغبة فيه فيجدون مراجعتهم للتتوسيع مسرودة أمامهم . ولعله من أجل هذه الغاية لم يخوض في مسائل الخلاف حول أرسطو وعقيدته وما دار من جدل حولها وبشكل خاص فيما يتعلق بقدم العالم ومصير النفوس الفردية بعد الموت والصفات الالهية عنده . وينتهي القارئ من قراءة ترجمة أرسطو في العيون معيناً له باعتباره حكيمًا نبيلًا علامة داعية اعدال وعدل وتوازن وعقيدته لا غبار عليها .

١ - عن كتاب الملوطن عند العرب . تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي . بداية كتاب : القول على الربوبية بعد التصدير العام .

فإذا ما تركنا الفيلسوف اليوناني الموسوعي وعدنا إلى البلاد العربية نجد طيباً غضراً عاش بين الماهليه والاسلام هو العارث بن كلدة الثقفي . ويدرك صاحب العيون أنه طاف في البلاد وتعلم الطب في فارس وينوه بتعلمه ضرب المود وعاش حتى خلافة معاوية . وقد سأله معاوية : ما الطب يا حارث ؟ فقال : الأزم يعني الجوع (وللأزم عدة معان لعل أتواها في هذا المقام هو الحميمية والامتناع عما يضر) وقد أعطى الجواب نفسه حين سأله عمر بن الخطاب عن الدواء . ويروى أنه قابل كسرى أنوشروان وجرت بينهما معاورة دافع فيها العارث عن العرب وبين فضائلهم ، وأجاب عن عدده من الأسئلة الصحيحة تدل على استعداده طبله من التجارب الشخصية والشعبية فالداء الدوى هو ادخال الطعام على الطعام . وذم التخمة ، ودعا الانسان الى الا يدخل العمام وهو شيعان . (وموضع العمام هنا يثير اشكالا لأن العمام لم تكن موجودة في مواطن العرب الأساسية أو تكون قسمًا هاماً من حياتهم فاما أن يكون العارث ملماً بالعمام وما يتعلق بها أثناء جولاته أو تكون القصة أو هذا الجزء من العوار قد وضع في عصر متأخر ثم تسرب الى عيون الأنباء) وفاضل بين الفواكه كما فاضل بين الأزهار واعتبر الهندياء والخس أفضل البقول .

وفي العوار ما يدل على أن الطب المنسب للعارض بن كلدة متاثر بالطبع اليوناني القائم على نظرية الطبائع والأمزجة الأربع ، يتبع ذلك من هذا القسم من العوار (قال فعلىكم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال على أربع طبائع ، المرة السوداء وهي باردة يابسة والمرة الصفراء وهي حارة يابسة ، والدم وهو حار رطب والبلغ وهو بارد رطب) ، ونصح بالمحنة وفاضل بين معاشرة العجوز ومعاصرة الشابة من الناحية الصحية . . . وفي البحث يستخدم المؤلف الرواية الشفهية أحياناً حين يذكر مثلاً أن شخصاً يسمى حرب بن محمد قال : قال أبي . . . وقال داود بن رشيد عن عمرو بن عوف . . . ويروي قصة الأخوين الثقيفين ومنرض أحدهما واستخدام العارث التبيذ لمعرفة دخلته واكتشاف الهوى الذي أمر به ، وهذا اهتمام بالأثار النفسية على صحة الجسم ومرضه . ويدرك اعجاب الرسول سلام الله عليه بطبته وثقته به حين أمر أن يكلف بمعالجة سعد بن

أبي وقاص . ومن المراجع التي يذكرها ابن ججل . وينسب إلى العارث كتاب المعاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان .
وهكذا تتجلّى طبيعة المنهج التعاطفي الذي اتبّعه ابن أبي أصيبيعة فالترجمة متعاطفة مع المترجم له ، تمتزّقّ بقومه وبقوم المؤلف وهم العرب ، ولا تأتفّ مع ذلك من التعلم في فارس ومن الأخذ عن الطبع اليوناني القديم ولا تتشنج تجاه الضرب بالمود والاستفادة من النبيذ وتدخل قضايا القلب الدموي بقضايا القلب الماطفي .

فإذا ما انتقلنا إلى تحليل ترجمة العيون لابن سينا نجده يذكر اسمه ولقبه وشیئاً من نسبه فهو الشیخ الرئیس أبو علي الحسین بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن سينا . ثم يبین منهجه في التعريف به وهو منهج قائم على الأخذ عن وصف ابن سينا نفسه وما وصفه به تلميذه المباشر الملازم له أبو عبيد الجوزجاني ، ويلتزم بهذين المصدرين في أغلب البحث وهكذا يروي لنا العيون تاريخ حیاة ابن سينا وضمنها موطن أهله وأین ولد ومن هم شيوخه وتعلمه المبكر وتنوع علومه ، والمناقب التي تقلدها والحكام الذين عمل عندهم طيباً ووزيراً ، والحكام الذين لم ينسجم معهم وسجنه ، وثورة المسکر به وتنقله في البلاد ومؤلفاته ومناظراته ، وطباعه وأخلاقه مثل انكبابه على البحث واللذة ، وقصة مرضه الأخير وكيف تأمر عليه غلامه عند مزج الدواء إلى موته في همدان – وقد وردت في العيون همدان – سنة ٤٢٨ للهجرة وكانت ولادته سنة ٣٧٥ في أفسنة من ضياع بخارى .

وليس من مهمات بحثنا أن يعيّد ذكر كل جوانب حیاة ابن سينا العاملة فهي متوفرة في عدة مراجع قديمة وحديثة ولكن تهمنا بعض الاستخلاصات التي تلقي أضواء مفيدة على عصر ابن سينا وشخصيته ومنهج صاحب العيون . فمن هذه الاستخلاصات قيمة الطب في عصر ابن سينا عند كبار القوم الذين يشعرون بأنه وسيلة لا بقاء قوتهم وقدرتهم على الحكم والتغلب وتحقيق الأهداف ومن الأدلة على ذلك أن سبب دخوله دار كتب نوح بن منصور سلطان بخارى الساماني هو مرض هذا السلطان وعلاجه ابن سينا له فأصبح من المقربين والطب أيضاً هو سبب تقريريه من مجدد الدولة ثم من شمس الدولة .

ومن ملاحظاتنا اهتمام الدول يومئذ بأمر الثقافة والكتب اذ يصف ابن سينا دار كتب السامانيين في بخارى قائلا : (٠٠) فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة ، في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض . في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، فطالمت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت اليه منها (٠٠٠)

وفي أيامه كانت أنوار الحضارة العربية الإسلامية شديدة السطوع في بلاد فارس وما وراء النهر ، وكانت لغة الثقافة هي العربية في الفالب وان تشرم لها قوم ليسوا من أصول عربية . كان الملوك يتنافسون في ضم العلماء الى بلاطاتهم، وحين ظفر علاء الدولة بوفود ابن سينا عليه رتب مجلساً أسبوعياً للعلم والمناظرة يجول فيه الفيلسوف ويصول . وكانت التساؤلات كثيرة حتى ان بعض كتب ابن سينا ألقت لبعض جيرانه وأصدقائه مثل أبي حسين المروضي الذي ألف له كتاب المجموع ومثل الفقيه البرقي الذي ألف له كتاباً آخر ، وكانت ترده تعليقات على مؤلفاته وطالبات بالايضاح وتجربة مباحثات بينه وبين علماء عصره مثل أبي الريحان البيروني الذي التعلق بالفنزويين بينما انضم ابن سينا الى البوهيميين بعد انتقاء أمر السامانيين وقد تعلم ابن سينا مبادئ حساب الهند على يد بقال . وقد يجري السؤال والجواب الطيبان على شكل حوار شعري . فقد أرسل مثلاً الوزير أبو طالب العلوى الى ابن سينا الاستشارة الطبية التالية عن بشر في جبهته .

صناعة الشیخ مولانا وصاحبہ
وغرس انعامہ بل نشاء نعمتہ
يشکو الیہ ادام الله ملتہ
آثار بشر تبدی فوق جبهته
فامنن علیہ بعسم الداء مقتنما
شکر النبی له مع شکر هترته

فاجابه الشیخ الرئیس بمقطوعة شعریہ منها :
الله یشفی وینفعی ما بجهته
من الانڈی ویعاویه برحمته
ختمت آخر ایماتی بنسخته
اما العلاج فاسهال یقدمه
دم القذال وینفعی عن حجامته
ولیرسل العلق المصاص یرشف من
واللغم یهجره الا الغیف ولا
یدنی الیہ شراباً من مدامته ٠٠٠

وقد كان ابن سينا ابن عصره الشرعي فهو شخصية متعددة الجوانب ، انه طبيب فيلسوف سياسي شاعر نديم مغامر فلكي لغوي ، يؤلف الكتب بالعربية غالباً وبالفارسية قليلاً ، ممتلىء حيوية ونشاطاً لا يثنى سفر ولا سجن عن متابعة مشروعياته فقد ألف رسالة هي بن يقطان التي كتبت بها عن العقل الفعال وهو سجين في قلعة فردجان ، وفي مرة أخرى تابع التأليف وهو متواز حذراً الاعتقال أو القتل تطيب له الخمر وأن عدتها تداوياً لا تلهياً كما حببت إليه المرأة . يدل شعره على غنى شخصيته مع وحدتها القائمة على نور الثقافة فهو صاحب قصيدة النفس الشهيرة التي مطلعها :

هبطت إليك من المعل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتنزع

وعدتها في العيون عشرن بيتأ وقد وردت دون تعليق ولو شعر في الزهد مثبت في العيون وفي العينين الى الديار والشباب وفي الغزل وفي تصوير أوضاع حياته . وتظهر ثقافته الفلسفية من هذا البيت الذي قاله عندما كان سجيناً :

دخلولي باليقين كما تراه وكل الشك في امر الغرور

ويقول التشبيه في هذين البيتين على فكرة علمية في زمانه :

**أوليتني نعمة مذ كنت لتعظني كافي الكفارة بعيني مجمل النظر
ان اليواقيت - فيما قيل - نشانها من حسن تأثير عين الشمس في القمر**

ويظهر العلم أيضاً في هذين البيتين :

**اشكو الى الله الزمان فصرفه أبلی جدید قوای و هو جدید
محن الى توجهت فکاننسی قد صرت مغناطیس و هي حدید**

ويذكر له بعض القطعات الخمرية ومن عادة ابن أبي أصيبيعة أن يثبت بعض كل قصيدة أو قطعة يذكرها فهذه من البسيط وتلك من الكامل ٠٠٠ ثم يروي له أبياتاً يقول بتشكك انها اذا أنشدت أثناء تألق كوكب عطارد أفادت خيراً وعلماً .

ثم يروي قصيدة تنبؤية توقع ناظمهما حوادث المستقبل حتى اجتياح التتار البلاد وردهم على يد الملك المظفر قطز وهي حوادث جرت في زمان

ابن أبي أصيبيعة الذي يثبت سنواتها بالمناسبة ولكنه يشك في نسبة القصيدة
إلى ابن سينا وان أوردها في ترجمته .

وعلى عادة المليون فان مذهب ابن سينا الفلسفى لا يشرح ولا يلخص بل
يكفى بما أشرنا اليه من ترجمة حياة مؤلفات وأشعار فضلاً عن بعض الأقوال
الحكمية التي تصوره معتقداً فمن كلامه وصية أوصى بها أحد أصدقائه وهو
أبو سعيد ابن أبي الغير الصوفى : « ليكن الله تعالى أول فكر له وأخره وباطن كل
اعتبار وظاهره ٠٠٠ مسافراً بعقله في الملوك الأعلى وما فيه من آيات ربه
الكبرى ٠٠٠ »

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وليعلم أن أفضل العركات الصلاة وأمثل السكتات الصيام وأنفع البر
الصدقة ٠٠ والحكمة ألم الفضائل أما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة
وبقاء الشخص أو النوع أو السياسة، أما المشروب فان يهجر شربه لاتهماً بل تشفيها
وتداوياً ٠٠٠ ويعظم السنن الالهية ويواطئ على التعبادات البدنية ٠٠

وتظل سيرة ابن سينا شاهدة على نبوغه مثيرة للتعاطف معه وان ذكرت له
بعض المقطوعات الخمرية ، فقد أورد له قوله انه يرضى بالخمر تشفيًّا لا تلهيًّا .
ومع أن المؤلف جاء في عصر ما بعد الفزالي فانه لم يثر المسائل التي أثارها الفزالي
حول عقيدة الفلسفه ومنهم ابن سينا كالقول بقدم العالم وأن البعد يكون
بالأرواح دون الأجساد وأن علم الله يتناول الكليات دون الجزيئات ولا أفسر
ذلك ب عدم اطلاعه عليها لأن الجو العلمي كان يتناول أمثل هذه المسائل تعريفياً
وشفهياً ، وابن أبي أصيبيعة يعرف أن ابن رشد كتبها في الرد على الفزالي^(١) ،
والسبب الذي أرجعه لعدم الخوض في قضية صحة عقيدة ابن سينا هو ارادته
الواعيه التي ارتفعت المنهج التعاطفي الايجابي المشجع على احترام أولئك
المفكرين الذين يترجم لهم فضلاً عن أنه ينظر إلى العقيدة السليمة بمنظار واسع
غير ضيق .

١ - عيون الأنبا، في طبقات الأطباء، الجزء الثاني ص177 - القاهرة ١٩٨٢ .

و حين يترجم لأبي الوليد ابن رشد يذكر اسمه القاضي أبو الوليد محمد ابن أحمد بن محمد بن رشد ولد بقرطبة ونشأ بها . ثم يذكر فضله و ذكاءه و عنائه بالعلوم المختلفة و اشتغاله بالتألیف فيها . ويعدد بعض كتبه في الفقه والطب والفلسفة كشروحه على أرسطو و تعلیقاته على الفارابي و ابن سينا و كتاب تهافت التهافت ، ويبدو أنه اهتم في الطب بشرح جالينوس كما اهتم في الفلسفة بشرح أرسطو . و يتبع مناصب القضاء التي ولها ثم تقرب منك الموحدين الناصر له ثم امعان ابنه المنصور في تقريره حتى أن ابن رشد تشاءم من شدة التكريم . و يتعرض لنكتته من عزل و نفي واضطهاد للتلاميذ والأنصار . ويقول المؤلف أن الملك أظهر أنه فعل ذلك بهم لاشتغالهم بعلوم الأولئ . ولا يتعاطف العيون مع ناكبي ابن رشد باسم العقيدة ، والدليل على ذلك أنه لا يذكر شيئاً من التهم التي وجهت إلى معتقده ولا يدل على مطعن فيه . وكل ما يذكره هو أمور دنيوية مما يهم الملوك والحكام مثل مخاطبة ابن رشد للملك بعبارة « يتسم يا أخي » و مثل اتهامه إيه بأنه لقبه بملك البربر و الدفاع الفيلسوف بأن قصده ملك البربر والذنب ذنب النسخ . و يروى أن السبب المباشر للمفو عنه كان شهادة وفدي من أعيان أشبيلية بحسن عقيدته . و ينسب إليه القول الشهير « من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله » .

ويستخدم المؤلف الرواية الشفهية أثناء ترجمة ابن رشد اذ يقول (حدثني القاضي مروان الباجي قال : « كان القاضي أبو الوليد ابن رشد حسن الرأي ذكياً رث البزة قوي النفس ») . وعلى كل حال فإن ترجمة ابن رشد لم تكن من الاتساع والتنوع اللذين عرفهما كل من ترجمة ابن سينا وأرسطو ، ولعل السبب هو أن البعد الزمني الفاصل بين صاحب العيون وبين هذين الفيلسوفين كان ممتداً بشكل يكفي لتداول سيرهما وانتشار العکایات عنهما و تردد أقوالهما على أن ابن رشد توفي تقريراً عند ولادة ابن أبي أصيبيعة .

ويظل المنهج التعاطفي واضحاً في الصفحات القليلة التي خص بها ابن رشد ولعل ما أوردناه منذ قليل يكفي دليلاً على ذلك .

وهذا المنهج التعاطفي الذي اتبعه صاحب العيون ان دل على شيء فاما

يدل على سعة أفق هذا الطبيب الباحث واحترامه العميق للثقافة والمسهدين في أغناها . ومن أكبر مظاهر احترامه الثقافة هو تمجيده للفلسفة والفلسفه على خلاف ما كان يفعله كثير من متعلمي عصره والصور التالية له . ان عبد الرحمن بن خلدون نفسه قد هاجم الفلسفة من وجهة نظر قريبة من وجهة نظر الغزالي غالباً مع أنه يعد من مفاخر الفلسفة العربية ومع أنه استفاد كثيراً من آراء الفلسفه السابقين عليه . وأما ابن أبي أصيبيع فانه يقول في وصف أحد أبناء عائلة ابن خلدون السابقين على عبد الرحمن (٠٠٠) وكان متصرفاً بعلوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلسفه في اصلاح أخلاقه وتعديل سيرته وتقويم طريقة (٠٠٠) وهذا الخلدوني الذي وصفه صاحب العيون هكذا هو أبو مسلم عمر بن أحمد ابن خلدون العضرمي من أشراف أهل أشبيلية التي توفي فيها عام ٤٩٤ للهجرة . والنتيجة التي تتوصل إليها من خلال كل هذه الأمثلة والتعليقات أن كتاب عيون الأنباء كتاب يحقق أهم شروط الأدب العلمي وهو استثارة حماسة القارئ وتجاويه مع المفكرين ومعاناتهم الفكرية لكي تقبل نفسه على خوض غمار العلم والبحث فاما أن يصل إلى مرحلة التدقيق والتأمل العميق ، واما أن يظل على الشاطيء ينظر إلى بحر الفكر باعجاب ويكتز بما يلقي إليه من لآلئ ويمد إليها يده بالصقل والصيانة ويعمل على نشر فضلها بدلاً من سحقها أو نبذها . وليس ابن أبي أصيبيع وحيداً في هذا المنهج عبر تاريخنا الفكري كما نأمل أن نبين في المستقبل .

سهيل عثمان

١٩٧٩/٧/١



الاستشراق

نقيم: عبد النبی اصطیف

• الاستشراق • لدوارد سید ، کتاب جدید صدر في اوخر العام الماضي ، وغا الشغل الشاغل لدوائر الاستشراق في المملكة المتحدة وامريكا ، يناله المستشرقون وبخليونه ، يتدارسون الكبار ، خارجین مادا يطلبون ، يهاجرون بعضا ويقرون بعض ، وحالهم كحال الذين شفلا بشعر النبي . لقد فتح الكتاب اعينهم على حقيقة هريرة ، وفاثتهم باقهم الذي يعيشون فيه : ان الشرق الذي تدرسونه ، وتكتبون حوله ، وتناقشون شأنون اهله ، بعيد جدا عن الشرق الحقيقي ، انه مجرد تصور خلقتهوه ، وعشتم معه واصبتوه طويلا ، وان الطريق التي سلكتموها منذ ان خلق الاستشراق ان تقدكم الى شيء ، تلك هي رسالة الكتاب اليهم .

والاستاذ الدكتور ادوارد سید ، هو عربی فلسطینی يدرس في جامعة كولومبيا ، وهو برفسور بار Part للذین الانگلیزی والفاران فیہا ، كان استاذ زائراً لآداب المغارب في جامعة هارفارد ، وزميلاً في « مركز الدراسة المتقدمة في العلوم السلوكية » Center for Advance Study in the Behavioral Sciences في ستانفورد . كما والقس محاضرات Gauss في النقد في جامعة برستون عام ١٩٧٧ . وقد نال كتابه (بدايات : حصہ ومنہج) Beginning : Intention and Method من جائزة الیونیل تریلنگ Lionel Trilling من جامعة كولومبيا . وهو واحد من ابرز قادة الأدب في الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد ظفر كتابه الأخير « الاستشراق » باهتمام كل اذ يحظى به كتاب حدیث ، فقد ظهرت عنه عشرات المراجعات التي كتبها ابرز اعلام المستشرقين في مختلف الصحف والجلات ، في اوروبا وامريكا ، والاقتصر فيه العديد من المعاشرات ، ونونش في مختلف الدوائر الثقافية في دنوات خاصة وعامة . وكان من ابرز من كتب عنه الاستاذ البربر حوراني الزميل في كلية سانت انتوني وأستاذ تاریخ الشرق الاوسط العدید في كلية الدراسات الشرقية بجامعة اكسفورد ، وصاحب مؤلفات عديدة ، وبما كان من ابرزها « الفکر العربي في حصر النصف » الذي ترجم الى العربية . وقد استأنف صاحب هذه السطور الاستاذ حوراني في ترجمة مقالته فوائق مرحا ، وتفضل ذكرني في الترجمة بعد الانتهاء منها .

وبالطبع فاني اود ان الفت انتباه القارئ ، الى ان ترجمة مقالة الاستاذ حوراني لا تعنى موافقته على جميع ادائه في الكتاب فرغم ان مقالته تمثل وجهة نظر جادة ينفي ان تؤخذ بعين الاعتبار ، لأنها تصدر عن مستعرب عربی في خبرة واسعة بشؤون الاستشراق والدراسات الاستشراقية ، الا أنها من جهة اخرى غير بعيدة عن منتاول النقد ، واخبراً اود الاشارة الى انها كتبت بالأسلوب متغير حقا . ويبعدني ان ذلك عائد الى تأثير غير مباشر لأسلوب كتاب « الاستشراق » في اسلوب مراجمه . وقد حاولت ما امكنني ان اقل شيئاً من هذا الاسلوب في ترجمتي للمقالة التي كادت ان تكون في لفارات منها قطعة ادبية رائعة .

١٩٧٩ آب

كلية سانت انتوني اكسفورد

الطرق إلى المغرب^(١)

(٢)

قراءة في الاستشراق

بقلم: البرت حوراني
ترجمة: عبدالنبي اصطفيف

ان موضوع هذا الكتاب القوي المقلقل هو الطريقة التي تخلق بها التقاليد الفكرية وتنقل . انها – كما يعاج ادوارد سعيد – لا تنهض ببساطة في عزلة من عقل المفكر او الباحث . ولربما يحاول « الباحث أن يصل إلى مستوى من الحرية النسبية من الواقع اليومي والمر » ولكن له لن يستطيع أن يهرب أو يتجاهل تماماً « ارتباطه كموضوع انساني بظروفه المحيطة » .

... ان الامكانيات من أجل عمل مائل في النقافة هي بالنسبة الى عقل غيم واصيل غير محدودة ، اطلاقاً ... فعمل السابعين ، والحياة المؤسسة للعقل البارسي ، والطبيعة الجماعية لایة منشأ تعليمية ، كل هذه – فضلاً عن الحديث عن الفروق الاجتماعية والاقتصادية - تميل الى العدد من نتائج الباحث الفرد . ان حلاً كالاستشراق له ذات تراكمية ونقاية ولذلك كانت النتيجة اجمالاً معيناً : اشياء معينة ، انواعاً معينة من البيانات ، وانواعاً معينة من العمل بدء للمستشرقين انها صحيحة .

ان « الاستشراق » هو المثال الذي يستخدمه سعيد ليوضح موضوعه ، وهو يعني به شيئاً دقيقاً : الباحث الذي يدرس الشرق (وبالتحديد الشرق المسلم) ؛ والكاتب الغيالي الذي يتخده موضوعاً له ؛ والمؤسسات المدنية ، بتعليمها ، وتهذيبها ، وحكمها ، كلهم يشتهركون في أشياء : تمثيل معين له ، او فكرة أن « الشرق » يعرف بأنه غير « الغرب »، غامض ، غير متغير ، وفي النهاية ، أدقى منزلة .

Albert Hourani,

« The Road to Morocco », The New York Review, March 8, 1979, PP. 27-30.

١ - انظر

Edward Said,

Orientalism, Routledge & Kegan Paul, London, 1978, 368 PP.

٢ - انظر

ان تمثيل الشرق هذا قد خلته المقل العربي بعريمة تامة نسبيا ، لأن الشرق كقوة – شعر بها وتم اختيارها بصدق – غائبة تماما عن الثقافة الغربية تقريبا . فقد طورت وحافظت بنوع من الشراكة الضمنية بين الباحثين والكتاب وبين أولئك الذين ظفروا بالامبراطوريات وحكموها . وكان الباحثون والكتاب على وعي بالقوة الغربية كحقيقة مطلقة في شرق سلبي لا حول له ينتظر أن يحكم ويختار ، وقد استنتاج الحكم سوוגات أخلاقية وبالتالي نوعا من القوة من الفكرة الغربية عن الشرق . وقد تمت الوساطة في هذه الشراكة عن طريق المؤسسات – طرق رسمية معنية للتعليم والكتابية – التي حددت ماذا يمكن أن يدرس أو يقال عن الشرق .

وطريقة التفكير التراكمية هذه عن الشرق ، والتصريف تجاهه ، هي ما يدعوه ادوارد سعيد بالاستشراق . وبالطبع فإن أي نوع من الفكر يقتضي إقامة التمييزات ، وتقسيم العدود ، ولكن هذا النوع من التعريف فيرأيه هو الذي كان ضارا بشكل خاص . وربما قام دور العاشر للخيال الأوروبي ، وساعد على تشكيل العس الغربي بالهوية ، ولكنه ما دام قد اعتمد في النهاية على اختلافات دينية وثقافية ، فإنه قاد إلى سوء فهم للعمليات التاريخية . لتد جعل أمر رؤية الشرقيين ككائنات بشريية فردية أمرا غير ممكن ، ما دامت ذواتهم قد استقرت بـ « الملة » ، أو « العربي » ، أو « الشرقي » ، وأدت – كجميع المقابلات الثنائية البسيطة لـ « نحن » وـ « هم » – إلى اثارة محاكمات قيمة أخلاقية . ان الشرق يرى غربيا ، بعدها ، مؤذيا ميتاما لم تُنْدِي إليه الحياة ، ومواوى « للهولات والشروع والارهاب والمسرات والرغبات » .

ويجد السيد سعيد نواة هذه الرؤية للشرق في المواجهات الأولى لأوروبا الغربية مع الاسلام . فالصراع من أجل التحكم بحوض المتوسط سبب صدمة نفسية متكررة للعقل الأوروبي ، لا يمكن التحكم بها الا من خلال معادولة شرح الاسلام بكلمات مالوفة ، كوحى كاذب ، أو بدعة مسيحية . وعندئذ ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، علّمت بنى الفكر الموروثة عن الماضي ، وأعيد توزيعها وأصلحت ، وتحت تأثير النوع الجديد من الفضول الفكري وتوسيع القوة الاوروبية تم تحويل صورة العدو المسلم الى الصورة العدائية للشرقي . عندها ظهر أوائل المستشرقين المحدثين : الفرنسي Anquetil-Duperron الذي اكتشف النصوص الأفستية Avestan texts وترجمها ، والانكليزي السير ويليام جونز Sir William Jones الذي ترجم الشعر السنسكريتي ، والقوانين الهندية ، والذي كان متوكلاً لته من المربية والمعربة والفارسية قبل أن ينادر انكلترا الى الهند عام ١٧٨٣ . وقد كان جونز هاما على نحو خاص ، لأن مهمته كانت وثيقة الصلة بالدور الأول والفعال وال دائم للأوربيين في مجتمع شرقي : مجتمع شركة الهند الشرقية في البنغال . وفي حياته وأثاره تقدو الصلة بين السيطرة السياسية وال الحاجة الى الفهم جلية .

ويعد جيل جاء غزو أوربي لقلب الشرق المسلم . ان الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ لم يكن حادثا من حوادث حروب الثورة فقط ، ولكنه كان حركة من حركات التيال أيضا :

فقد قرأ بونابرت كتاب الكونت دوفولنزي Comte de Volney « رحلة في مصر وسوريا » Voyage en Egypte et en Syrie تصرفاته هناك : لقد كان على وعي بأن أربعين قرنا كانت تزدهريه وجذوره مما : ظن في نفسه أنه أتى ليعيد الحياة الى عالم ميت . وقد قام الباحثون والعلماء الذين صاحبوا بأول عملية تخصيص لمجتمع وثقافة شرقيين .

وربما أفادت الحملة الفرنسية « الجغرافية الخيالية » أكثر مما أفادت مصر الحقيقة . فتمثل الشرق فكريها وخياليا ، والسيطرة عليه وإعادة الحياة اليه ، كل هذه المساعي ما كانت الا للتخلق « حقل » المستشرق خلال السبعين سنة – أو ما يقاربه – التي تلت : لقد اكتشف الباحثون النصوص وحققوها واقطفلوا منها ، وترجموها ، وفسروها : في البداية كجهد فردي . وبعد ذلك قتن عملهم وتجسد في مؤسسات وتقاليد . والسيد سعيد معنى أساساً باثنين من هذه التقاليد : التقليد الفرنسي الذي يبدأ بـ Silvestre de Sacy صاحب كتب في النحو ، ومختارات عربية ! والتقليد الانكليزي الذي يرجع الى ادوارد ويليام لين Edward William Lane المعجمي ومترجم اللبابي العربية ، ومؤلف كتاب بلا يزال مقروءاً على نحو واسع هو : « وصف لسلوك المصريين المحدثين وعاداتهم An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptian »

وقد ألغى هذان التقليدان يافكاري مستمدتا من ثقافة المصر العادمة . وادوارد سعيد معق في تأكيده على فقه اللغة ، وخاصة على ارنسن رينان ، الذي طبق مناهجه في دراسة اللغات السامية . لقد كان فقه اللغة أحد الدراسات الأساسية في القرن التاسع عشر ، بل كاد يكون ديانة معلمنة . وقد دعاها رينان « العلم الدقيق لموضوعات عقلية » . ويبدو أنها تقدم طريقة لا لفهم اللغات فحسب وإنما لفهم طبيعة الجنس البشري وتاريخه أيضا . وبإعادة اللغات الى جذورها ، استطاعت فرزها الى أسر ، واقتصرت أن أسر اللغات يمكن أن تكون أسرا للذوات التي تعبّر باللغة عن نفسها أيضا : الديانات والأساطير ، الثقافات والعرق .

وي يكن ترتيب اللغات ضمن العائلة نفسها في نظام أجیال . وهكذا فإن تصنيف اللغات والثقافات يمكن أن يؤدي الى تاريخها ، والى تاريخ انساني صرف لا تطبع فيه الميتافيزياء اي دور . ولكن السيد سعيد يؤكد أن فقه اللغة نفسه – كما استخدم في العقل الاستشرافي – كان مقصورا على الاطمار الاستشرافي ، وكان يستخدم ليعطي قاعدة علمية للقضاء الثنائي الموجود لتوه . ان اللغات السامية بالنسبة الى رينان هي أساساً أدنى من اللغات الأذرية ، وغير قادرة على تجاوز نقطة معينة في تطورها : انتا ترفض بأن نسلم بأن للغات السامية القدرة على تجديد نفسها » . ويقترح السيد سعيد في فقرة رائعة على نحو خاص أن هذه الفكرة أتت من تطبيق أفكار معينة ، كانت سائدة في علم التشريح في ذلك العصر ، على فقه اللغة : ان الساميات بالنسبة الى رينان هي ما كان بالنسبة الى اثنين سانت ايلير Etienne Saint-Hilaire مسخاً تشريجياً، ليست استثناءً بل هي شذوذ ، او ظاهرة ذات تطور منقطع أو مقيد .

وقد سارت عملية الاكتشاف جنبا الى جنب مع عملية التخصص العلمي . وذهب بعض الرحالة الى الشرق كباحثين - مثل لين Lane - لجمع المواد ، ومضى بعدهم - كشاوبريان Chateaubriand - ليكتشف ذاته او يقبض عليها ، وذهب آخرون - كبريتن Burton - لخلط من الدوافع . وفي تحليل دقيق ليس فقط لما قالوه وإنما للطرق التي قالوه بها - الترتيب ، الأسلوب ، اللهجة - يميط السيد سعيد اللشام عن الاستشراف المستتر وراء اختلافاتهم في المنهج . لقد كانت حقيقة السيطرة ، توكيد سيادة أوروبا ، الواقع الماثل ، وبذا الشرق ككائن ساقط ، جذاب ، ولكنه مليء بالمخاطر وخاصة الغطر الجنسي .

لم يكن الشرق الحديث الذي وجده هو الشرق العقديقي ، وإنما كان صدفة ميتة ، لا ينفتح العيادة فيها من جديد الا أوربا : كان السفر الى الشرق نوعا من الجح ، لا يشر الا عندما يواجه المسافر الأخطار ويتنقلب عليها ، او عندما يرى أماكن غريبة يدير ظهره لها ويعود الى نفسه مفتنيا . وعلى الرغم من المشابهات بين الموقفين الفرنسي والإنكليزي ، فإن السيد سعيد مدرك لاختلافهما ، وربما هو يغالى في ذلك . فهو يقول ان الشرف السلم بالنسبة الى البريطانيين - الذين أقاموا آمنين في الهند - منطقة للسيطرة المكنته - الموجودة بالقوة . وأما بالنسبة الى الفرنسيين فقد كانوا مسكونين باحساس الخسارة الفادحة . ولكن الفرنسيين في تلك الفترة لم يغسروا الشرق الأوسط على نحو لا يمكن استعادته فيه ، وقد كسبوا لأنفسهم مقاطعة جديدة للخيال في الجزائر .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر يبدأ طور جديد . فالحكومات الامبرialisية تأخذ على عاتقها مسؤوليات جديدة : البريطانيون في مصر ، والفرنسيون في تونس . وبعدها يتم تقسيم الامبراطورية المشانية - الذي أنذر بالعرب العالمية الأولى - في نهايته ، وتسقط المقاطعات الناطقة بالعربية في أيدي البريطانيين والفرنسيين ، وتصبح العلاقة بين العمل العلمي والعمل السياسي أوثق وأكثر تعقيدا ، وتغدو المؤسسات - التي يتم من خلالها بث التقليد الاستشرافي - أكبر وتنظم بشكل أكثر رسمية ، وتوثق صلاتها بالحكومات . وضمن هذا التقليد تنبثق نتاج انسانية جديدة من المستشرقين . وعندما يظهر في الجيل الذي سبق عام ١٩١٤ ، عصر التوسيع البذل المولع بالقتال والواحد من نفسه ، « الميل الامبرialisي » الرجل الذي يضع معرفته وأفكاره ، شعوره ودفافعه في خدمة الامبراطورية .

ان السيد سعيد - كدارس لجوزيف كونراد Joseph Conrad - يتمامل باطمئنان مع هذا النوع من الشخصية الشامضة والخفية والتي لا يمكن معرفتها في النهاية ، والباحثة عن خلاص شخصي عن طريق مهمة سرية او صعبة . والمثل النطوي هو ت ، ا ، لورنس T. E. Lawrence ولدى السيد سعيد أشياء جديدة ونافذة ليقولها عن الدوافع المشاكبة والمقددة في حياة لورنس النشطة ، وعن السرد والرؤى الشخصية في « أعمدة الحكمة السبعة » Seven Pillars of Wisdom . وكما هو

الشأن بالنسبة الى يونايرت ، فانه بالنسبة الى لورنس - وبواسطة رؤية خيالية للملعنة ، تعاش اولا ثم تكتب ، - « طوى هذه الأمواج من الرجال في يدي » . • لقد أعيدت صياغة أعماله اذن في الرواية التي نجدها في رائعته المبدوعة ، ولكن من الصعب تحديد أين ينتهي السرد وأين تبدأ الرواية ، وفيما اذا كان غرض لورنس « أن يصنع أمة جديدة ، ويستعيد نقوذا مفقودا ، أو يصنع نفسه ويكتشفها . انه يصبح هو نفسه الشرق ، رجل واحد يصبح التاريخ برمته . »

وتغير الرؤية الاستشرافية في السنوات التي تلي عام ١٩١٨ ، فأوروبا متحكمة بالشرق ، وقوتها النهائية لا يمكن زعزعتها ، وحقها في أن تحكم لم يشكك به الا نادرا . ولكن نهوض شعوب آسيا أصبح يرى تعديا ، ومستشرق العصر هو المستشار الذي - في حين يقبل الواقع النهائي للسيادة الغربية - يحاول أن يُرِي الطريق الى حل سلمي للخلافات ، الى نوع من القبول المتبادل . وقد تتوجه التقليدان الانكليزي والفرنسي بشخصيتين اثنتين يبدو أنها تتشابهان عصاراتهما : الأول هو الفرنسي لويس ماسينيون Louis Massignon الذي كانت اثارته للكاتب والشهيد الصوفي منصور الحلاج قد تشكلت ليس عن طريق التقليد الأوربي في الدراسات الإسلامية وحسب ، وإنما عن طريق حساسية جمالية ووعي كاثوليكي كان مما يميز الفرنسي في ذلك الوقت ؛ والثاني هو الأوسكوتلاندي هاملتون غيب Hamilton Gibb الذي ترجع سلطته الى الأصول نفسها مارة بتوomas أرنولد Thomas Arnold وروبرتسون سميث Robertson Smith ، والذي تستدعي رؤيته في استمرارية الجماعة الإسلامية وتطورها عبر التاريخ بسهولة الى الذهن الواعي بالمسؤوليات الامبرiale والمتعتق لرأي بروتستانتي معين للكنيسة .

ان السيد سعيد يكتب عن كليهما باحترام لثقافتيهما ، ولنوعية فكريهما ، ولشجاعتهما ، ولكنه يعتقد أنها قد وقعا في شرك قالب المقل الاستشرافي : فالدراسات الشرقية لم تعد على تقليدها بالنظرية النقدية ، كما كانت العلوم الإنسانية تفعل في ذاك الوقت . وكانت الحقيقة النهائية بالنسبة الى ماسينيون وغير كليهما شيئا ما يسمى « الإسلام » ، ماثلا الى الأبد ، و مختلفا دائما عن الغرب ، حيث ذات فردية الكائنات البشرية وفروقات الأزمنة والأمكنة .

لقد توفي ماسينيون عام ١٩٦٢ ، وغيب عام ١٩٧١ ، وبالنسبة الى أولئك الذين عرفوهما منا ، ويمكن لهم أن يقارنوا ذكرياتهم بما يكتبه السيد سعيد عنهم ، فان شكوكا وتساؤلات يمكن أن تثار . ان كتابته قوية ورائعة (هي أحيانا قوية الى درجة القلقة ، ورائعة أحيانا أخرى الى درجة عدم الوضوح) ولديه براعة النقاد الى الارادة الإنسانية وتصوير بنية الرؤى الإنسانية ، ولكن أليس من الممكن أن يكون هو نفسه قد سقط في الشرك الذي قدمه ، وأنه قد أغرق الفروقات الإنسانية في مفهوم مجرد اسمه ، الاستشراف ، ؟ ما هي منزلة هذا المفهوم ؟ وما هو نوع الصلاحية التي يمكن أن يزعمها للبيانات العامة التي يدللي بها ، ببيانات ك : « المستشرقون ليسوا مهتمين بمناقشة الأفراد

ولا قادرين عليها» ، ان المستشرق متميّز « بغياب تعاطف مقتنع بمعرفة مترفة » .
 بمعنى ما ، ان الجواب سهل ، فما قام به السيد سعيد هو انشاء نمط نموذجي للمستشرق؛
 مصنوع من عدد من العناصر المتصلة ببعضها البعض منطقياً ، وال بعيدة عن تأثير أية
 عناصر خارجية او عارضة . ولكن هذه الأنماط النموذجية ، وكما يعرف كل عالم
 اجتماع ، ينبغي أن تستخدم بعناية وحذرة حتى يمكن لها أن تفسر الواقع الخاصة ، او
 الكائنات البشرية . فليس هناك من شخص يمثل بشكل كامل نمطاً واحداً ، ان كل فرد
 ينبغي أن يُرى على ضوء عدة أنماط . ان نمطاً واحداً من هذه الأنماط يمكن أن يشرح
 أكثر من الأنماط الأخرى ، ولكن بعض النكبة الفردية التي لا يمكن أن تعزى سببها
 في النهاية . انتا ، اذ نبدي اعجابنا باتفاقية هيكل السيد سعيد ، ينبغي أن تظل نسال الى
 أي مدى يمكن أن يخدم كمبداً في شرح الكائنات البشرية التي يكتب عنها .
 السياسيون وخدمة المستعمرون ؟ على وجه الاجمال ، نعم . ان استشهاداته من اللورد
 كرومروز Lord Cromer (الحاكم البريطاني لمصر بعد ١٨٨٣) وآخرين مناسبة ، وكان
 بإمكانه أن يجد الكثير مما يبرهن على نقطته : التضاد الوااعي « للشرق والغرب »
 وأفكار كـ « الاستبداد الشرقي » وـ « الركيود الشرقي » ، وفكرة أن الشرقيين لا يفهمون غير
 لغة القوة ، أعطت بالفعل الانكليز والفرنسيين ضمانة أن حكمهم للشعوب الشرقية كان
 طبيعياً وصحيحاً . والكتاب الغياليون يمكن أن يفهموا أيضاً على أنهن يعملون ضمن هذه
 الافتراضات ، وخاصة كتاب العصر الرومانتي ، شاتوبيريان لامايرين Lamartine فلاوبير
 Flaubert دونرفال De Nerval فشرقهم كان حصيلة الخيال ، ومناهج السيد
 سعيد المصوّلة والدقيقة في التحليل ، أدوات جيدة في تعرية بنية الخيال الأدبي .

ولتكن ، ربما كان لا يسيء على ارض راسخة كهذه ، عندما يكتب عن الباحثين .
 وقد وجدهنا أيضاً استشهادات مغبرة : قول Theodor Nöldeke تيودور نولدكه
 ان عمل حياته قد أكد فقط رأيه السيء في الشعوب الشرقية ، أو زعم غيب
 أن العقل العربي غير قادر على التفكير العقلي . ان بعض عناصر ، الاستشراق
 المستشرق ، كانت ماثلة حتى في عقول غالبية باحثي الاستشراق في الفترة التي يعالجها .
 وإذا لم تكن ازدراء خاصاً لهؤلاء الذين يكتبون عنهم ، فقد كانت على الأقل اعتقاداً
 بأنهم فهموا هؤلاء الناس وعرفوا لغاتهم ومتقدّاتهم أكثر منهم . ولكننا ينبغي أن
 نظل نسال الى أي حد دخل هذا الاعتقاد الى عملهم ورسم اتجاهه وحدوده . وحتى تجibb
 على هذا فاننا ينبغي أن نمضي الى ما وراء الملاحظة العابرة Obiter dicta الى عملهم
 الجدي المعترف ، وأن نسأل فيما اذا شُكِّل وشوّه عن طريق هذا التضاد النجيج بين الشرق
 والغرب ، أكثر مما شُكِّل عن طريق مفاهيم أكثر ملامة ل موضوعها ، والى أي مدى قامت
 نتاجاته بتشويه هذا التضاد وتزييفه .

ليس من الضروري أن تكون ذكياً حتى تصبح باحثاً ، وقد كان هناك الكثير من
 الباحثين الذين لم يظهروا حتى في أكثر أعمالهم وزناً أية براءة باشتئام براعات الله ،
 ولم يستخدموا أية آنفكار باستثناء تلك التي كانت معروفة في العصر بشكل عام . وحتى

المستشرقون العظام وجدوا أنفسهم مكرهين بسبب الظروف أن يتحدثوا ويكتبوا في أشياء تتجاوز إلى حد بعيد حدود كفائهم الحقيقة . وقد أفادوا في ذلك من الأفكار الملتقطة من الجو المحيط . وعندما كتب أغليهم عن السياسة، أو علم الاجتماع، أو الشخصية القومية، أو التاريخ ، أو الأدب ، فانهم كتبوا ذلك كهواة على وجه الإجمال .

ان هناك على أي حال خيطاً مركزاً واحداً من الاهتمام – يسري في نتاج الباحثين المسلمين النظام – يأمل جميع أفلحة الفكر التي حاولت الإبانة عما يعتقد المسلمون أنه الوحي الذي منح للنوع الإنساني من خلال النبي محمد : الحديث، القانون ، علم الكلام، والفكر الصوفي . ان قرناً كاملاً من الدراسة لهذه الأمور قد أنتجه عملاً لا يمكن اعتباره مؤدي على نحو سئٍ . ففي هذا العمل استعمال حذروستان للمصادر الأصلية، وتجنب للتعيميات التي لا أساس لها ، واحساس بالصلات المتبادلة بين الحركات الفكرية والواقع السياسية والاجتماعية ، وشحوم بنوعية المفكرين الأفراد كما تفصح عنها أعمالهم أيضاً . ان الفرد لم يستقر في مفهوم عام في اكتشافات تفصيلية لعوالم الفكر الشخصية ، كما هو الشأن في دراسة ماسينيون للعلاج، ولا وشت Laoust Ritter لفريد الدين المطرار . صحيفيًّا أن مفهوماً عاماً قد يكون عملاً كهذا : انه الإسلام كنظام فكري ، تم النظر إليه من حيث صلته بالأنظمة السابقة : الأغريقية ، المسيحية واليهودية . ولكن هذا المفهوم ليس شكلًا آخر . لفكرة « الشرق » كما وصفها السيد سعيد . انه الإسلام مرئياً ليس كوجه معكوس من شيء آخر ، ولكن ضمن طبيعته الخاصة . ومن المؤكد أن هذا مفهوم ملائم لموضوعه . وفي حدود هذا العمل ، فإن هؤلاء الذين دعاهم العالم بالمستشرقين ليسوا متذمرين لما يسميه السيد سعيد « بالاستشراق » .

ان السيد سعيد يعرف أساساً هذا وهو يعترف « بعمل الكثرين من الباحثين المغلظين » ولكن في الحقيقة لا يتعامل معه في كتابه . وربما كان وراء ذلك سببان : أحدهما أنه حذر من مسحة الباحثين الذين كتبوا بالألمانية . وقد فعل ذلك لأنه في ألمانيا « لم تكن الآية شراكة وثيقة بين المستشرقين والمصالح القومية الدائمة والمرسومة في الشرق أن تتطور في أي وقت من الأوقات » . وهذا سبب وجيه إذا ما أعطي شروطه الخاصة في الإشارات ، ولكنه قاده إلى اهتمال شيء هام . وثانياً أن العمل في ميدان التاريخي الديني والثقافي – بسبب كونه مجدها وصلداً كما هو الشأن فيه – كان في غالبه مثلاً ، وكانت تصوراته الوضمة التي يمكن أن تستهوي ذهن السيد سعيد .

ولكن كان هناك رجل مثير ذو عبقريَّة بينهم . وقد استدعى جميع قوى ذهن سعيد ، انه الفرنسي لويس ماسينيون . ان صفحاته عن ماسينيون هي من بين أفضل صفحات الكتاب . ولكنها يعني ما ، تُرى كم هو قليل ذاك الذي يمكن أن يقدمه نسط نموذجي « للشرق » من مساعدة في فهمه . ان السيد سعيد يدعى أن ماسينيون « في اتجاه واحد ، تبقى أنكارة عن الشرق تماماً تقليدية وشرقية Oriental . ولكن الذي يقوله فيه ربما يتركنا مع الانطباع الماكس . فهو يكتب عن « الذكاء الطاغي ، والبعيرية

الصافية ، وعن جدة عقل ماسينيون » ؛ « الكياسة ، والأسلوب الشخصي ، وعقبريّة الفرد ، ربما تختفي في النهاية الكوابح السياسيّة التي تعمل بشكل غير شخصي من خلال التقليد والمحيط القومي » .

ان العالم المسلم ، لم يكن في العقيقة بالنسبة الى ماسينيون بالمعنى الأكثر عمقا ، منطقة يلاحق فيها يلده أهدافا سياسية . لقد كان مليئا بالرجال والنسماء الأفراد، المحبوبين، المفهومين ، المدركون في طبيعتهم الفردية ، ولم تكن العلاقة بين المسيحية والإسلام صلة وجود وعدم وجود ، ولكنها كانت صلة تبادل واستبدال . وكما قال الباحث الفرنسي جاك بيرك Jacques Berque لأولئك الذين عرقوه ان هنالك أماكن – كنيسة معينة في القاهرة وشارعا معينا – سيكون فيها حاضرا على الدوام .

أسئللة كهذه يثيرها أيضاً القسم الأخير من الكتاب : « الطور الآخر » . وأطروحة السيد سعيد هي أن تراث الاستشراق الأوروبي قد نقل إلى الولايات المتحدة ، وتم التعبير عنه بلغة العلوم الاجتماعية ، وتجسيده في مؤسسات ربطت بشكل وثيق بالصالح والسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط ، واستخدمت كصلاح في الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين . وثانية . من المحتمل أن يكون معينا فيما يتعلق بالصور الشعبية . فالعرب بالنسبة إلى الأفلام والسياسيين وجزء كبير من الصحافة هم الظل الشرقي البغيض ، الغامض ، الجبان . ولكن مرة أخرى إن شكوكاً أكبر تثار عندما يكتب عن الباحثين .

ان هذه الشكوك نوعان : أولهما أن السيد سعيد يختار أسلوباً أو لهجة معينة تجعل القارئ مقلقاً . ان وعيه بالأسلوب الكتاب الآخرين يجعلنا أكثر وعيًا بالسلوك . لقد أخبرنا في بداية الكتاب بطريقة صريحة ومحركة بالدافع الشخصي الذي قاد جزئياً إلى كتابته . ان السيد سعيد كعربي فلسطيني يعيش في الفرب ، يجد حياته « مثبطة للهمة ... نسيج المنصرية ، والتواكب الثقافية الجاهزة Stereotypes والأمبريالية السياسية . وقبضة الأيديولوجية التي تنزع عن الإنسان انسانيته ، المسكة بالعربي أو المسلم قوية جداً بالغفل » . ان اللهجة في هذا القسم الآخر هي لهجة المزعزع الذي يجاهد لخلق هذا النسيج ، ونقده العنف يمضي في بعض المواقع إلى حد اتهام الباحثين بسذم العقيدة . ولذلك كانت هذه الاتهامات منظمة ومتوزعة بالشواهد ، فإنها ربما كانت عقبات أمام القول المتعقل . وحتى في ورودها في موضوعين أو ثلاثة ، فإنها ربما تسبب استياء خطيراً وتقود إلى عدمأخذ الكتاب بدرجة الجد التي تنبغي له .

وفيمَا عدا فان المرء الذي يعمل في حقل الدراسات الشرق - الأوسيطية ربما يجد هذا القسم من الكتاب قدّيماً . ان السيد سعيد لا ينافس هنا النتاج الذي يقدم اليه ويغير عنه بالمقالات والرسائل العلمية Monographs وكلمات الأستاذة ، وإنما أعمال التركيب ، والتي تجسد بطبيعتها نتاج الماضي . ان أفضل العمل الراهن في أوروبا وأمريكا كلتيهما يبدو أنه قد خرج على الإطار « الاستشرافي » . وعاد بالفقد على

نفسه ، وأُخسب بأفكار الملوم الإنسانية للنصر . والسيد سعيد واع بهذا . فهو يذكر أعمال جاك بيرك ، ومكسيم رودنسون Maxime Rodinson في فرنسا ، وكليفورد غيرتس في أمريكا Clifford Geertz وروجر أوين Roger Owen في إنكلترا . ولكنه كان من الممكن أن يمضي إلى أبعد من هذا ، ويكتب عن التراث المستمر أو المستعاد للتاريخ الديني في ألمانيا ، وللعمل التاريخي الفرنسي الجديد المتدرج بواسطة الماركسية والمدرسة الملتقة حول مجلة Annales (المهتمة بالتاريخ الاجتماعي) . ان مؤرخاً للشرق الأوسط في عصرنا العاضر ، كلود كهين Claude Cahen لم يذكر مرة واحدة . ان حقل الدراسة هذا يستعيد حيويته - مثل جميع العقول الأخرى تقريباً - على يد الباحثين الأمريكيين الشباب : المؤرخين ، الأنثروبولوجيين ، ودارسي الأدب - على الرغم مما يقوله عن اعمال الأدب الآن .

ان الكلمة الأخيرة هي : ان عمل اليوم يظل - الى حد بعيد - يعبر عن تصور أوربي وأمريكي للشرق المسلم « ان العالم العربي والإسلامي يظل قوة ثانوية في ميدان انتاج الثقافة والمرارة والبحث » . هناك بعض الاستثناءات : فليس ثمة مؤرخ عثماني يمكن أن يهمل عمل خليل الأنجلو Halil Inalcik ومؤرخين أتراك عظام آخرين . ولن يستطيع دارس لشمال إفريقيا ان يتغافل أفكار عبدالله المرwoي الأصيلة والأساسية . ولكن ، بشكل عام ، يبقى من الصحيح أن دارس العرب والفرس الغربي يظل يعمل ضمن بنية أفكار خلقت من قبل دارسين غيريين آخرين . ان العرب والفرس « كقوة شعر بها وخبرت على نحو حقيقي » ، ما زالوا غير حاضرين في الثقافة الغربية . ولكن هذا يحتاج إلى كتاب آخر يشرح لماذا كان الأمر على هذا النحو .

مؤلفات

أبو الفرج الأصبهاني وأثاره

محمد خير السيخ موسى
الرباط - المغرب

اشتهر أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - بعد ٣٦٢ هـ) في عصره بسمة العلم والرواية وكثرة الحفظ، وحسن الاستيعاب والدراءة. فكان بذلك موضع تقدير تلامذته ومحاصريه، ومثار تعجبهم واستغراقهم، وقد عبر عن ذلك أحدهم فيما رواه التعليب البندادي في تاريخه فقال: « حدثني التنوخي عن أبيه قال: ومن الرواة المتسعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني ، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والحديث المنسد والنسب ما لم أر قط من يحفظه مثله ، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ، ويحفظ دون ما يحفظ منها علما آخر منها اللنة والنحو والغرافات والسير والمجازي ، ومن آلته المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونحوه من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك » (١)

وقد كان لهذه الثقافة الموسوعية الشاملة أثر كبير جداً في تنوع اتجاهاته في تأليف كتبه ، واختلاف الروايات ومضامينها ، فشملت الأدب والنقد والموسيقى والفنانة والتاريخ والأيام والأسباب والحديث ، اذ كان لكل فن من هذه الفنون نصيب في كتبه وأثاره ، كما كان لها أثر واضح في كل كتاب منها أيضاً .

اما بداية مرحلة التأليف لديه فانتسابه إلى مقتبل الطالبيين (٢) ، وانتهائه في هذه السنة (٣١٣ هـ) ، ثم جلس لتدريسه وأملاكه . وقد استمرت هذه المرحلة بعد ذلك مدى حياته الطويلة ، فكانت حصيلتها مجموعة كبيرة من الكتب والمؤلفات المختلفة ، لم يصل اليانا منها سوى ثلاثة كتب هي : مقابل الطالبيين ، والأغاني ، وأدب الفرياء . وأما بقية هذه الكتب فلا تزال في عداد المفقودة ، اذ لا نعرف من أمرها شيئاً سوى أسمائها وعنوانيها ، وتنتفاً مما ورد حول بعضها في بطون المصادر القديمة .

ولم يعرض أصحاب التراجم القديمة على ذكر قائمة كاملة او قريبة من الكمال بمؤلفاته . فمنهم من عد المشهور منها (٤) ، ومنهم من اكتفى بذكر ما رأه (٥) ومنهم من

اقتصر على عدد قليل جداً منها^(٦) ، كما أن منهم من استغنى عن ذلك كله بالاشارة إلى كثرة تاليفه وكتبه^(٧) . ولعل أوسع قائمة باسماء هذه الكتب تلك التي ذكرها ياقوت العموي في معجمه ، إذ عد فيها أسماء خمسة وعشرين كتاباً^(٨) .

على أن هذه الكتب والمؤلفات قد تعرضت في هذه المصادر إلى اختلاط واسع جداً، انقسم معه بعضها إلى عدة كتب ، وصحف أو حرفت أسماء عدد آخر منها ، وتغيرت أسماء بعضها تغيراً ذا أهمية وأثر ، ولا يكاد ينجو من شيء من ذلك أي مصدر من المصادر التي كان لهذه الكتب ذكر فيها .

وامتد أثر ذلك كله إلى كتب المعاصرين التي ورد فيها ذكر لبعض هذه المؤلفات ، ولم يكتفى عدد كبير منهم بما نقله من المصادر القديمة من أسماء هذه الكتب على صورتها المختلطة أو المحرفة أو المصححة ، وإنما زاد على ذلك بعض منهم تحريرها جديداً أو تصعيبها حديثاً ، ونسب إليه آخرون كتاباً لم يأتلها ، ودواوين لم يصنعوا^(٩) .

ومن هنا فقد كان البحث عن مؤلفات الأصحابياني ، وصيغة قائمة علمية دقيقة بأسمائها ، ودراستها دراسة منهجية سليمة أمراً محفوفاً بمصاعب شتى .

وفي سبيل ذلك فقد رجمنا إلى عدد كبير من المصادر والمراجع ، واستقرأنا أسماء ما ذكر لأبي الفرج فيها من الكتب ، وقمنا بدراسة تاريخ كل كتاب منها ، وقارنا بينها بعد أن ربناها ترتيباً تاريخياً ، ورجمنا إلى مؤلفات الأصحابياني التي وصلت إلينا ، فرقضتنا أسماء بعض ما ذكره من تصانيفه فيها ، مما أمكن لنا معه تصحيح أسماء هذه الكتب ، وتوثيق نسبتها إليه ، ونقى ما نسب إليه من مؤلفات ، واعادة نسبتها إلى أصحابها الحقيقيين . وكانت حصيلة ذلك كله قائمة باربعة وثلاثين كتاباً من الكتب التي صحت لدينا نسبتها إليه .

وسنبدأ – في ذكرنا لهذه القائمة – بما وصل إلينا من كتبه ، ثم نأتي بعد ذلك على أسماء الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في مؤلفاته التي بين أيدينا ، لنتنتقل إلى باقي كتبه المفقودة الأخرى .

فاما كتبه التي وصلت إلينا فهي ثلاثة كتب ، وكلها مطبوع وهي :

١ - مقاتل الطالبيين :

وسماه ابن النديم « مقاتل آل أبي طالب » وورد عند من أتي بعده من المؤلفين باسم « مقاتل الطالبيين » ، وحملت النسخ المطبوعة من هذا الكتاب هذا العنوان أيضاً .

وقد ترجم أبو الفرج فيه لنيف وما ثنتين من شهداء الطالبيين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الوقت الذي انتهى فيه من تاليفه .

وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه بدأ في تاليفه في شهر جمادي الأولى من سنة (٢١٢ هـ)^(١٠) ، وقال في آخر صنفه منه أنه انتهى من ذلك في هذا الشهر من السنة

نفسها أيضاً^(١١) على أن ذلك لا يعني أنه قد جمع مادة هذا الكتاب الطويلة خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة . أذ هي حصيلة جهد طويل يبدأ مع أوائل عهد مؤلفه بالطلب والتحمل^(١٢) وينتهي بانتهاء تأليفه .

وبإمكاننا أن نعتقد أن المقاتل هو أول كتاب الفه الأصبهاني في حياته ، أذ لم نجد له كتابا آخر قبله . على أننا وجدنا في هذا الكتاب بعض الحالات على كتاب آخر من كتبه دعاه باسم : الكتاب الكبير^(١٣) مما يمكن أن يوهم أن الكتاب المذكور سابق في تأليفه للمقاتل ، بيد أن مرد اللبس في ذلك – على ما يظهر – يعود إلى أن المؤلف – على عادة القدماء – قد أملى المقاتل عدة مرات في حياته ، وبعد أن ألف كتابا أخرى غيره ، فكانت هذه الحالات بعد ذلك على واحد منها .

وقد ظن محقق الكتاب في طبعته الأخيرة أن أبي الفرج يقصد بالكتاب الكبير كتاب الأغاني ، دون أن يجد فيه أثرا لأي منها مطلقا ، فاتخذ من ذلك دليلا على ما أصاب الأغاني من خلل ونقص واضطرباب^(١٤) . بيد أننا نعتقد أن المقصود بالكتاب الكبير كتاب آخر غير الأغاني ، ككتاب « مجموع الآثار والأخبار » أو « كتاب التعديل والانتصاف » الذي يمكن أن يكون أكبر مؤلفاته حجما وأجردتها بهذه الصفة كما سرد معنا بعد قليل .

وقد طبع المقاتل أول مرة في طهران سنة (١٣٠٧ هـ) ، ثم نشر بعد ذلك وبهامش كتاب « المنتخب في المراثي والخطب » لغز الدين النجفي في يوميات بالهند سنة (١٣١١ هـ) ، ثم طبع في النجف بالعراق سنة (١٣٥٣ هـ) وكانت آخر طباعته في القاهرة سنة (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) وهي طبعة محققة تحقيقا علميا سلیما قام بأمره السيد أحمد صقر .

٢ - كتاب الأغاني :

ومن القدماء من يسميه « الأغاني الكبير » تفرি�قا له عن كتاب آخر من كتبه وهو « مجرد الأغاني »^(١٥) .

ويعد هذا الكتاب أهم ما وصللينا من كتب أبي الفرج ومؤلفاته ، ومن أكثر كتب التراث العربي قيمة وأهمية ، لما تضمنته أجزاءه الكثيرة من الوان الثقافات المختلفة ، والمعارف المتعددة ، وهو في كل الأحوال أهم مصدر من مصادر الشعر العربي ونقده منذ أقدم عصوره وحتى القرن الثالث للهجرة .

وقد أبدى القدماء اعجابا شديدا بهذا الكتاب ، وكان ابن خلدون أقواهم تعبيرا ودلالة على قيمته حين قال : « وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني – وهو ما هو – كتاب الأغاني ، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الفنان في مائة الصوت التي اختارها المتنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك اitem استيعاب وأوفاه . وهو لعمري ديوان العرب ، وجامع أشئtas المعasan التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والفنان وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما تعلمه . وهو الغاية التي يسمى إليها الأديب ويقت عندها »^(١٦) .

وقف أمامه الباحثون في عصرنا وقفة أكبار وأعظماء ، أفسح عنها المستشرق الانكليزي فارمر بقوله : « انه كتاب من الطراز الأول في التأليف الأدبي للعرب ، وقد أنفق فيه مؤلفه الجائب الكبير من حياته ، وان المعارف التي يعرضها - ودع جانبها ما استلزمته من دأب وصبر - ترك المرء خجلاً مما يسمى في عصرنا أدباً وموسيقى » (١٧) .

وقد حصلت لهذا الكتاب شهرة واسعة جداً منذ أن ظهر للناس في أواسط القرن الرابع وحتى يومنا هذا ، فتسابق العلماء والمتأدبين إلى قراءته على مؤلفه ، ووصلت شهرته إلى الأندلس سريعاً ، فبعث الحكم خليقتها إلى مؤلفه « الف دينار عينا ذهباً ، وخطبه يلتمس منه نسخة ٠٠٠ فارسل إليه منه نسخة حسنة منقحة » (١٨) ، كما بعث بنسخة أخرى إلى سيف الدولة العمداني في حلب « فأنفذ له الف دينار » (١٩) .

وأفاد منه عدد كبير من المؤلفين ، فكان أحد مصادر العاتمي (- ٣٨٨ هـ) في تاليف « حلية المحاضرة » (٢٠) ، كما اعتمد عليه البكري الأندلسي (- ٤٨٢ هـ) في تصحيح بعض أوهام القاتلي في أمالقه (٢١) ، ومن الأندلسيين الذين أفادوا منه أيضاً ابن الإيابي الذي كان أحد مصادرته في « الحلقة السيراء » (٢٢) ، وقال ياقوت الحموي في معجمه : « وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به ، وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة يخطي في عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراً فاكتثرت » (٢٣) . كما كان أحد مصادر ابن خلkan الرئيسي في تاريخه (٢٤) .

مختصرات الأغاني وتجريدهاته :

ويتجلى الاهتمام بهذا الكتاب أيضاً من خلال مختصراته وتجريدياته الكثيرة التي يعود أقدمها إلى عصر مؤلفه . وقد وقفت على عدمن هذه المختصرات المطبوعة والمخطلة والمقرودة ، وسنذكرها على حسب ترتيبها التاريخي وهي :

١ - مختصر الوزير المغربي : أبي القاسم العسین بن علي بن العسین (- ٤١٨ - ٣٧٠ هـ) شاعر أديب متسلل ، ذكرت له مؤلفات عديدة . ولـي الوزارة مرات كثيرة في بغداد والموصل وديار يك ، ودفن بالكونفه (٢٥) .

ذكر مختصره ياقوت الحموي ، ونقل شيئاً من مقدمته (٢٦) . وكذلك فعل ابن واصل العموي في تجريده ، وقال : « ولما ولـي الوزير المغربي الوزارة اختصره وأحبه وصار له به غرام عظيم ، وأفرط في تكريظه ومدحه في خطبة مختصرة ، وقال انه لم يقف على مصنف لأحد أحسن منه ، وأنه اختصره لأجل سفره ليصفر حجمه » (٢٧) . وذكره صاحب الكشف أيضاً (٢٨) مفقود .

٢ - مختار الأغاني ومعانيها : للأمير عز الملك محمد بن القاسم العرانـي المسبعي (- ٣٩٦ - ٤٤٨ هـ) ذكره ابن خلـان ، وصاحب الكشف (٢٩) . مفقود .

- ٣ - مختصر الأغاني : لابن ناقي أبي القاسم عبدالله بن العسن الشاعر الأديب العلبي (٤١٠ - ٤٨٥ هـ) (٢١) . ذكره ابن خلkan وقال : « واختصر الأغاني في مجلد واحد (٢٢) . كما ذكره صاحب الكشف أيضاً . (٢٣) مفقود . »
- ٤ - مختصر الأغاني : للقاضي الرشيد أبي الحسن أحمد بن علي الزبيري الاسواني المصري (٢٤) (٥٦٣ - ٥٢٤ هـ) . شاعر وأديب ذكره ابن منظور في مقدمة مختاراة ، ونقل من مقدمته تقريطاً للأغاني ، كما ذكره صاحب الكشف أيضاً (٢٥) . (٢٥) مفقود . »
- ٥ - مختصر الأغاني : للتابع أبي الفتح عثمان بن عيسى الباطلي (٥٥٩ - ٥٢٤ هـ) (٢٦) . شاعر وأديب ونحوى . تفرد السغاوى بذكره وقال : « واختصر الأغاني اختصاراً جميلاً أحسن فيه » (٢٧) . مفقود . »
- ٦ - مختصر الأغاني : للداعور عبد الرحيم بن حامد (٣٨) (٥٦٥ - ٦٢٦ هـ) . شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق ، وشاعر أديب مؤلف ، ذكره ابن شاكر الكتبى وصاحب الكشف (٣٩) . مفقود . »
- ٧ - تجريد الأغاني من المثالث والثانية : لابن واصل التمّوى (٤٠) (٦٠٤ - ٦٩٧ هـ) ، وهو من مختصرات الأغاني المطبوعة في مصر سنة (١٩٥٥ م) في ثانية مجلدات . أشرف على تحقيقه د. طه حسين وابراهيم الأبيارى . وقد جرده « من الأسانيد والتكرارات وما لا فائدة من ذكره من الأخبار والأشعار والمشتركات ، واقتصر على غرر فوائده ، ودرر فرائده » (٤١) ، بناءً على أمر أحد سلاطين حماة الأيوبيين (٤٢) . »
- ٨ - مختار الأغاني في الأخبار والتهانى : لابن المكرم صاحب لسان العرب المعروف بابن منظور المصري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) (٤٣) . وقد رتبه على حروف المعجم ، فابتداً بأخبار أبي التاهية ، وأضاف إليه ترجمة طويلة لابني نواس أسسها على ترجمة قديمة له من صنع ابن الأعرابى (٤٤) . طبع الجزء الأول منه بالطبعية السلفية في القاهرة سنة (١٩٢٧ م) ثم طبع فيها كاملاً بجزء ثانية سنة (١٩٦٥ - ١٩٦٦ م) في بتحقيق ابراهيم الأبياري . ونشره محمد زهير الشاويش في بيروت سنة (١٩٦٤ م) في اثنى عشر جزءاً ، وهي طبعة تجارية كثيرة التصرف والأخطاء . »
- ٩ - ادراك الآمانى من كتاب الأغاني : لعبد القادر بن عبد الرحمن المرسوفي بالسلوى ، الفاسى الأندلسى الأصل ، التونسى الدار ، من رجال القرن الثانى عشر للهجرة (٤٥) ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ، ومنه نسخة - نعتقد أنها الوحيدة - في خزانة القصر الملكى برباط الفتح فى المغرب الأقصى برقم ٢٧٠٦ ، اطلمنا عليها ، وتقع فى خمسة وعشرين جزءاً ، ينقسمها الجزء الأخير (مفقود) ، مذهبة الوجوه والمقدمات ، مكتوبة بخط مغربي واضح وجميل ، وفي بعض صفحاتها خروم بسيطة . »

وقد جعل له مؤلفه مقدمة من سبع عشرة ورقة ، ذكر فيها أن السلطان محمد بن عبدالله (تولى الملك بالمغرب سنة ١١٧١ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ) أمره « بتحريين نسخة من هذا الكتاب الجليل ... وتصحيحها وتحقيقها وتهذيبها وتنقيتها » (٤٦) وقال : « وإن

أضيف إليها ما اختاره - نصره الله - من كلام المولدين ، وانتخبه من أشعار المحدثين ^(٤٧) ، « وأن أضرب صفحا عن تلك الأغاني ٠٠٠ وأن افتح كل سفر من أسفاره الخامسة والشرين بشاعر كبير من فحول الشعراء ، أو سيدجليل من السادة السرة الجلة الكبار ، وعين - أいで الله - لابتداء أشعر شعراً الإسلام بالاطلاق حسان بن ثابت » ^(٤٨) ٠

وقد لاحظنا في هذا الكتاب أن صاحبه قد أعاد ترتيب أخبار الشعراء فيه على حسب طبقاتهم وأزمانهم ، دون أن يفضل شيئاً من أخبار الأغاني الأصلية ، سواء منها أخبار الشعراء أو المفتين . إلا أنه أضاف إليها أخبار عدد من المحدثين ، كالقاضي التنوخي ^(٤٩) ، وابن البناء ^(٥٠) ، وابن مطروح ^(٥١) ، والمعربي ^(٥٢) ، وابن نباتة السعدي ^(٥٣) وغيرهم من توزعت أخبارهم في ثلثاً أجزاء ^٤ . كما أضاف إليها ترجمة طويلة وهامة لأبي نواس ^(٥٤) ، مشيراً إلى أن هذه الترجمات والأخبار ليست من أصل الكتاب . وقد جمل في صدر كل جزء من أجزاءه فهرساً يتضمن أسماء من لهم ترجمة فيه ، وفيه إشارة إلى بداية كل جزء وختامه ٠

١٠ - رئات الثالث والثانوي في روايات الأغاني : للأب أنطون صالحاني اليسوعي . وهو من مختصرات الأغاني الحديثة . ويقع في جزئين ، الأول منها مخصص بالروايات الأدبية ، والثاني بالتاريخية . وحذف ما دون ذلك من أسانيد وأوصوات وأخبار مفتين . وقد جعل له مقدمة أورد فيها أطرافاً من أخبار أبي الفرج وكتبه وممؤلفاته ، ونسب إليه ضمنها عدة تصانيف لم تثبت لدينا صحة نسبتها إليه .

صدرت الطبعة الأولى منه سنة (١٨٨٨ م) ولم تكن تحمل اسم المؤلف ، وإنما جاء في مكانه : « لأحد الآباء اليسوعيين » . والثانية سنة (١٩٢٣ م) وفي رأسها اسم المؤلف .

١١ - مهدب الأغاني : للأستاذ محمد الخضرى (- ١٩٢٧ م) من أساتذة الجامعة المصرية . حذف منه الأسانيد ، ورد الأشعار إلى أصولها ، وأكمل النقص فيها ، ورتب الشعراء فيه على حسب أزمانهم من جاهلين ، ومخضرمين ، وأسلاميين ، ومخضرمي الدولتين ، ومحدثين ، فكان من ذلك الأجزاء ستة الأولى ، وخمس السابع بالمنزين ، والثامن بالنهارس والاستدراكات . وقد طبع في القاهرة سنة (١٩٢٥ م) ٠

و قبل أن نختتم هذا الحديث حول مختصرات الأغاني نشير إلى أن الدكتور الهي (باكتشاني) كان قد ذكر في بحث له عن ياقوت العموي ، أن ابن المستوفى - وهو من معاصر ياقوت - ذكر في « تاريخ اربيل » ، من بين ما ذكره من كتب ياقوت ، كتاباً له اسمه : « عنوان كتاب الأغاني » . ويعتقد الدكتور الهي أن ياقوت ربما كان قد عبر عن اعتقاده التقدي بالاغاني ، فوضع مقدمة تنسخته منه تحمل هذا العنوان ^(٥٥) ٠

بيد أننا مع ذلك نشير إلى أن ياقوت نفسه قد ذكر في معجمه أنه كتب من الأغاني نسخة بخطه في عشر مجلدات ^(٥٦) ، وكان الكتاب يكتب في عصره في عشرين مجلداً ^(٥٧) ، مما يدعونا إلى الاعتقاد أنه ربما يكون قد اختصر الأغاني كإذا يسهل عليه حمله أثناء رحلاته الطويلة ، ويتمكن من الافادة منه في تأليفه .

كذلك فقد ذكر بروكلمان أن هنالك مختصرًا مجهول المؤلف في الجزائر ، وأخر مثله في تونس (٥٨) .

وهناك مختصرات أخرى حديثة له ، أو مختارات منه نذكر منها « مختار من شعراء الأغاني » لمحمد العسین آل كاشف للطفاء (بغداد ١٩٥٠ م) ، و « مختارات من الأغاني » للدكتور أحمد كمال زكي ، طبع في القاهرة بجزئين ، دونما تاريخ .

طبعات الأغاني :

١ - الطبعة الألمانية : وهي أول ماظهر من هذا الكتاب في عالم المطبوعات ، اذ قامت جامعة كوزجارتون بطبع الجزء الأول منه ، مع ترجمة المائة له ، سنة (١٨١٠ م) . ويقابل هذا الجزء : الجزء الأول من طبعة بولاق إلى ص ١٥٢ والأول من طبعة دار الكتب إلى صفحة ٣٧٨ . وينتهي عند أخبار ابن محزز ، وقد ضبطت كلماته بالشكل .

٢ - طبعة بولاق : وهي الطبعة الأولى للأغاني ، وتقع في عشرين جزءاً ، صدرت بالقاهرة ، عن مطبعة بولاق سنة (١٢٨٥ هـ) . وقد سقطت من هذه الطبعة بعض الآثار والتراجم والأشعار ، بسبب افتقارها إلى التحقيق العلمي السليم ، وعدم اعتمادها على مخطوطات تامة للأغاني .

وقد أصدر المستشرق الأمريكي رودولف برونو ف جزءاً مكملاً لهذه الطبعة عرف باسم « الجزء العادي والعشرين » جمع فيه بعض التراجم والأخبار التي شعر عليها في بعض مخطوطات الأغاني ، مما لم يرد في الطبعة السابقة ، وطبعه في ليدن سنة (١٣٥٠ هـ - ١٨٨٨ م) .

وصنع المستشرق الإيطالي جوبيدي وبعض معاونيه فهارس كاملة لهذه الطبعة من الأغاني ، مرتبة على حروف المعجم ، وتشتمل على فهارس للشعراء ، والأعلام والقبائل ، والقوافى والأشعار ، والأمكنة والجبال والمياه ، صدرت بالفرنسية سنة (١٨٩٥-١٩٠٠ م) . وفي سنة (١٦١٦ م) قام الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمى بطبع ما جمعه من تصحيحات الشيخ الشنقيطي على نسخته للأغاني ، بعنوان « تصحيح كتاب الأغاني » .

٣ - طبعة السياسي : قام بامرها الحاج محمد السياسي . وصدرت بالقاهرة عن مطبعة التقدم سنة (١٢٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) . وتقع في واحد وعشرين جزءاً تشتمل على الطبعة السابقة ، مضافة إليها الجزء العادي والعشرين الذي جمعه برونو ، ومذيله بفهارس جوبيدي مترجمة إلى العربية ، بيد أنها ليست مطابقة لهذه الطبعة ، اذ كانت قد صنعت على أساس طبعة بولاق .

٤ - طبعة دار الكتب المصرية : وهي طبعة محققة تحقيقاً علمياً ، صدر الجزء الأول منها سنة (١٩٢٧ م) ، واستمرت باقي الأجزاء بالصدور حتى تم منها ستة عشر جزءاً قبل تصفية القسم الأدبي بدار الكتب سنة ١٩٦٣ .

ثم أعيد تصوير هذه الأجزاء بالأوفست ، مضافة إليها أخبار حارثة ابن بدر التي ألقت بالجزء السادس عشر ، وهي تابعة في الأصل للجزء الثامن .

ومنذ سنة (١٩٧٠ م) كلفت الهيئة المصرية للتأليف والنشر التي حل محل القسم الأدبي ، عددا من المحققين بمتابعة تحقيق بقية الأجزاء ، فتم ذلك سنة (١٩٧٤ م) بصدور الجزء الرابع والشرين منه . وتعرف هذه الطبعة بجملها بطبعة دار الكتب .

٥ - طبعة دار الثقافة اللبنانية : وهي طبعة أشرف عليها الشيخ عبداله العلايلي ، وقام بأمر تحقيقها ، وصنف فهارسها الأستاذ عبد السنار أحمد فراج وتقع في خمسة وعشرين جزءا تكاد الأجزاء الستة عشر الأولى منها تتطابق مع مثيلاتها من طبعة الدار ، وتختلف عنها في بقية الأجزاء ، اذ لم تكن قد صدرت طبعة الدار لهذه الأجزاء . صدرت الطبعة الأولى في بيروت سنة (١٩٥٥ م) والثانية سنة (١٩٥٧ م) والثالثة سنة (١٩٦٤ م) والرابعة (١٩٧٣ م) .

وهنالك عدة طبعات أخرى للأغاني ، تذكر منها طبعة إبراهيم الأبياري (١٩٦٩ - ١٩٧٩) عن دار الشعب بالقاهرة ، وتعتمد أساسا على طبعة الدار ، كما ان هنالك طبعات أخرى مصورة في بيروت عن تلك الطبعات المختلفة تذكر منها الأجزاء الأربع والشرين المصورة عن طبعة الدار الكاملة ، وقد صدرت عن مؤسسة جمال للطباعة في بيروت .

على أن الكتاب لا يزال بحاجة الى تضافر جهود كثيرة ومتعددة تعمل على دراسته وتحقيقه تحقيقا علميا سليما ، يستبعد ما فيه من خلل ونقص واضطراب ، ويعتمد على نسخه المخطوطة ومحضراته وتجزيراته الموزعة في مكتبات العالم ، حتى يعود الى أصله الصحيح .

اما دراسة تاريخه ومنهج تأليفه وأسلوبه ومصادره فتلك أمور لم تؤت حقها بعد من الدراسة المنهجية ، على الرغم من وجود بعض الكتب والمقالات التي تتناول هذا الجانب او ذاك من الأغاني .

٣ - كتاب أدب الغرباء :

وساهم ابن النديم : « أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب » (٥٩) ، وورد عند الخطيب باسم : « آداب الغرباء » (٦٠) ، وذكره ياقوت باسم « أدب الغرباء » مرة ، و « أدباء الغرباء » أخرى (٦١) .

وقد عثر الدكتور صلاح الدين التجدد على مخطوطة فريدة منه ، فقام بأمر تحقيقها وطبعها في بيروت سنة (١٩٧٢ م) . ويقع الكتاب المطبوع في ١١٨ صفحة تشتمل على المتن والعلoshi والمقدمة والمهارس ، وأصل الكتاب منها ثمانون صفحة مع العواشي والتعلقات ، تتضمن مقدمة أبي الفرج ، وستة وسبعين خبرا من أخبار الغرباء وأشعارهم .

وقال أبو الفرج في مقدمته : « وقد جمعت فيه ما وقع الي وعرفته ، وسمعت به وشامته من أخبار من قال شعرا في غربة ، ونطق عما به من كربة ، وأعلن الشكوى بوجده

إلى كل مشرد عن أوطانه ، ونماذج الدار عن أخوانه ، فكتب بما لقى على الجدران ، وباح بسره في كل حانة وبستان . فاري الحال تدعو إلى مشاكلهم وحيث الزمان يقود إلى التعلي بسمتهم « (٦٢) » .

وتدل هذه المقدمة على ما وصلت إليه حالته الصحية والنفسية والمادية من سوء في أواخر العمر ، كما تدل على أن هذا الكتاب كان آخر ما صنفه في حياته الطويلة من الكتب والتاليف .

٤ - التعديل والانتصاف :

وهو من الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في أربعة مواضع من الأغاني ، سنوردها دونما ترتيب لأهمية ذلك فيما يتبني عليه من نتائج .

فقد قال أبو الفرج في أخبار خالد القسري : « وكان قوم من سمعة عرضوا لجبار أسد (جد خالد) فاقرئ لهم أسد ... فقال القتال فيه عدة قصائد ... ولم اذكرها هنا لطولها ، وإن ذلك ليس الفرض المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما تذكر هنا لعمها ، وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب : الذي جمعت فيه أنسابها وأخيارها ، وسيأتي : التعديل والانتصاف . ولبني سمعة يقول أسد ... وهي قصيدة طويلة ، ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها ما هنا ، وسائرها يذكر في : كتاب النسب ، مع أخبار شعراء القبائل أشقاء الله » (٦٣) . فهذه ثلاثة مواضع يرد فيها ذكر هذا الكتاب على لسان أبي الفرج نفسه ، اثنان منها بصفته ، والثالث باسمه وعنوانه .

اما الموضع الرابع فقد ورد في معرض حديثه عن نسب أبي قطيبة فتال : « وقد شرحت ذلك في : كتاب النسب شرحًا يستنقى به عن غيره » (٦٤) .

فهذه النصوص تؤكد – دونما لبس أو غموض – أنها أمام كتاب واحد أسماء مؤلفه باسم : التعديل والانتصاف ، وذكره بصفته فقال عنه انه يشتمل على : جمهرة أنساب العرب ، وأنه : كتاب النسب ، دالا بذلك على جزء هام من مضمونه ومنهج تأليفه وبنائه .

وقد توهم معظم القدماء ، وجميع من ذكر هذا الكتاب من الماصريين في حقيقته وأصله ، اذ جعلوا منه كتابين أو ثلاثة كتب ، تذكر على أنها كتب مختلفة . وتغير اسمه وعنوانه مرات عديدة ، فصحف أو حرف أو بدل أو ذيل بديهيون غريبة .

فلسنا نجد لهذا الكتاب ذكرًا لدى ابن النديم ضمن القائمة التي قدمها بكتب أبي الفرج (٦٥) ، وكذلك لم يذكره الشعالي فيما ذكر من كتبه التي رآها (٦٦) .

اما الخطيب البغدادي فقد ذكره بصفته التي ذكرها أبو الفرج في الأغاني فورد عنده باسم : كتاب جمهرة النسب ، وقال انه « من الكتب التي لم تقع علينا » (٦٧) . وعدد ضمن قائمة الكتب التي قال ان الأصحابي كان يؤلفها للأمويين في الأندلس ، ويبعث بها سرا

اليهم . الا أن في حديث أبي الفرج نفسه عن هذا الكتاب - كما مر معنا - ما يدل على وجود نسخ منه بآيدي الناس في عصره .

وأنقسم الكتاب في معجم ياقوت إلى كتابين مختلفين ، والي بينهما في القائمة التي قدمها بأسماء عدد من كتب الأصحابياني ، وهما : « كتاب التعديل والانتصار في أخبار القبائل وأشمارها » ، وقال عنه « ولم أره وبودي لو رأيته ، ذكره أبو الفرج في الأغاني » ، ثم أورد بعده : « كتاب جمهرة النسب » على أنه كتاب آخر من كتبه ، ويبدو أنه نقله من الخطيب البغدادي (٦٨) .

وإذا كنا لا نستطيع أن نؤكد شكتنا في عدم اطلاع ياقوت على نص أبي الفرج المذكور في الأغاني ، فانتنا نشك في صحة فهمه لحقيقة هذا النص ومقاصده ، واللتبيين له أنهما كتاب واحد قحسب .

وغير اسم هذا الكتاب عند القبطي فأصبح على هذه الصورة : « التعديل والانتصار في مأثر العرب ومثالبها » ، وذكر أيضاً كتاب « جمهرة النسب » على أنه كتاب آخر غير غير التعديل (٦٩) ، وكذلك فعل ابن خلكان في الوفيات (٧٠) .

اما ابن واصل العموي فقد ذكره باسم : « التعديل والانتصار في مأثر العرب » ، وذكر له أيضاً « كتاب جمهرة النسب » (٧١) .

وأسماه اليافعي بالاسم الذي ورد عليه عند القبطي (٧٢) ، بينما اكتفى العيني بذكر « جمهرة النسب » فحسب (٧٣) .

اما صاحب الكشف فقد دعاه باسم : « التعديل في مأثر العرب وأمثالها » ، وذكر له أيضاً « كتاب جمهرة النسب » (٧٤) .

وإذا كان معظم المعاصرین قد قنعوا بذكر هذا الكتاب على احدى الصور التي ورد عليها في كتب الأقدمين ، فاختلقت أسماؤه باختلاف المصادر التي نقلت منها ، وتمددت عناوينه فتحول إلى كتابين أو ثلاثة كتب مختلفة (٧٥) ، الا أنها نجد بروكلمان - من بينهم - يصر على تسميته باسم : « التعديل والانتصار في معايب العرب ومثالبها » ، مشيراً إلى أنه ورد كذلك في تاريخ الخطيب البغدادي ، وقد من بنا قبل قليل أن الخطيب لم يذكر هذا الكتاب مطلقاً ، كمال نجد له ذكراً بهذا الاسم عند غيره من المؤلفين الذين وقفنا على مصنفاتهم وتاليفهم (٧٦) .

اما مضمون هذا الكتاب ومحاتوياته فاننا نستطيع أن نتبينها من خلال ما ذكره أبو الفرج عنه ، اذ أشار إلى أنه جمع فيه جمهرة أنساب قبائل العرب وشمائرهم وقصائدتهم وأيامهم . وعلى ذلك فإنه ينبغي أن يكون مبنياً على أساس قبلي واقتليمي في منهجه العام . وما لا شك فيه أن صدره يتضمن حديثاً طويلاً عن النسب والتسلين ، وما تقبل فيهم من أقوال وأحاديث ، وقد شرح أبو الفرج ذلك « شرحاً يستحقني به عن غيره » كما قال آنفاً .

وعلى ذلك فاننا نقدر أن حجم هذا الكتاب كبير جدا ، يفوق حجم الأغاني بكثير ، وأنه يتضمن قصائد شعراء القبائل كاملة ، اذ كان قوله يوحى بذلك حين قال : « ولم ذكرها (القصيدة) هنا طلولها ، وأن ذلك ليس الفرض المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكر ما هنا لمعا ، وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها وسميتها : التعديل والانتصار » . مفقود .

٥ - مجرد الأغاني :

وهو من الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في الأغاني أيضا مرات عديدة ومن ذلك قوله في مقدمته : « ولم يستوعب كل ماغنى به في هذا الكتاب ، ولا أتي بجميعه ، اذ كان قد أفرد لذلك كتابا مyleda من الأخبار ، ومحظواها على جميع الفناء القديم والمتأخر »^(٧٧) . وذكره ابن النديم ومن جاء بعده من المؤلفين أيضا^(٧٨) . وأشار الخطيب إلى أنه من جملة الكتب التي كان أبو الفرج يبعث بها إلى الأندلس^(٧٩) . مفقود .

٦ - رسالة في علل النغم :

أشار إليها أبو الفرج في الأغاني وذلك في معرض رده على شيخه المنجم حول صوت مختلف في لعنه وايقاعه فقال : « اذ كان استقصاء شرحها طويلا ، وقد ذكرته في رسالة إلى بعض أخوانه في : علل النغم ، وشرح هناك الملة في أن قسم النداء إلى قسمين »^(٨٠) ، وقال في موضع آخر :

« وشرحت الملل مبوسطة في كتاب الفتوى في النغم »^(٨١) . وورد ذكر هذه الرسالة في موضع آخر من الأغاني أيضا . وكان أبو الفرج في هذه الموضع كلها يتحدث عن أمر واحد ، ويورد على شيخه أبي أحمد يحيى بن علي المنجم في رسالة له في النغم^(٨٢) .

ولم يذكر أحد من القدماء هذه الرسالة ضمن ما ذكروه من مؤلفات أبي الفرج ، وتوجه المعاصرون في أمرها^(٨٣) ، فجعلوا منها كتابين أو رسالتين : أحدا هما في النغم والآخر في الأغاني^(٨٤) . مفقودة .

٧ - كتاب مجموع الآثار والأخبار :

ذكره ابن النديم بهذا الاسم ، وسماه ياقوت : « مجموع الأخبار والآثار »^(٨٥) . مفقود .

٨ - كتاب الأخبار والتواتر :

ذكره ابن النديم وياقوت . مفقود .

٩ - كتاب أيام العرب :

ذكره الخطيب باسم : « أيام العرب ومتاليها »^(٨٧) . وورد عند ابن الجوزي والقطنطي وابن كثير وابن خلkan وصاحب الكشف باسم : « أيام العرب » . وأشاروا جميعا إلى

أنه يشتمل على ألف وسبعينة يوم^(٨٨) . ولستنا نعتقد أن التسمية التي ورد عليها عند الخطيب صحيفة ، لما نعرفه من هجوم أبي الفرج العنيف على أصحاب المثالب^(٨٩)؛ مفقود.

١٠ - كتاب نسب عبد شمس :

ذكره الخطيب وأشار إلى أنه من جملة الكتب التي كان أبو الفرج يؤلفها للأمويين في الأندلس ، كما ذكره ياقوت والقطفي وابن واصل وأبو الفدا وابن خلكان وصاحب الكشف أيضاً . (٩٠) مفقود .

١١ - كتاب نسب المهابة :

ذكره الخطيب ضمن مجموعة الكتب التي كان يبعث بها أبو الفرج إلى الأندلس . كما ذكره ياقوت والقطفي وابن واصل وابن خلكان والسخاوي أيضاً . (٩١) مفقود .

١٢ - كتاب نسب بنى شيبان :

ذكره الخطيب وياقوت والقطفي وابن واصل وصاحب الكشف . وورد عند أبي الفداء مصحفاً إلى : « نسب بنى سنان »، بينما ذكره ابن الوردي باسمه الصحيح ، وهو ينقل عنه في تاريخه كما هو معلوم ، مما يدل على التصعيف في ذلك^(٩٢) .

١٣ - كتاب نسب بنى تغلب :

ذكره الخطيب وياقوت والقطفي وابن واصل وابن خلكان وصاحب الكشف . (٩٣) مفقود .

١٤ - كتاب نسب بنى كلاب :

ذكره الخطيب والقطفي وابن واصل وابن خلكان وصاحب الكشف . (٩٤) مفقود .

١٥ - كتاب الإمام الشواعر :

ذكره ابن النديم باسم « أشعار الإمام والماليك » ، وورد عند الشعالي باسم « الإمام الشواعر » وأشار إلى أنه رأه أما الخطيب فقد ذكره باسم « أخبار الإمام الشواعر » . وبهذا الاسم ورد عند القطفي وابن واصل وابن خلكان والصفدي والسخاوي وصاحب الكشف . أما صاحب مفتاح السعادة فقد ذكره باسم « الإمام الشواعر » . وكذلك ورد اسمه عند ياقوت وذكر بمده كتاباً آخر لأبي الفرج هو « الماليك الشعراة »^(٩٥) .

وعلى هذا فإن لنا أن نفترض في هذا الكتاب افتراضين : أحدهما أن الكتابين في الأصل كتاب واحد كما ورد اسمه عند ابن النديم ، ثم انقسم هذا الكتاب بعد ذلك إلى جزئين منفصلين أو كتابين مختلفين منذ وقت مبكر جداً يعود إلى أيام الشعالي (٤٢٩ـ هـ) الذي صرخ بأنه رأى أحدهما .

اما الافتراض الثاني : فهو أن الكتابين منفصلان في الأصل وذكرهما ابن النديم معاً بجامع الأشعار بينهما . وما يقوى صحة هذا الافتراض أننا سنجد لأبي الفرج بعض الكتب المؤلفة على هذا النحو كأخبار القيان ، وأخبار المتنين كما سيرينا بعد حين .

١٦ - كتاب المالك الشعرا :

تفرد ياقوت العموي بذكره كما رأينا .

١٧ - أخبار جحظة البرمكي :

ذكره الشاعري وقال انه رأه ، كما ذكره ياقوت وابن خلكان وصاحب الكشف(١٦) .

١٨ - أخبار الطفيليين :

ذكره ابن النديم وياقوت العموي(١٧) .

١٩ - كتاب صفة هارون :

تفرد ابن النديم بذكرة(١٨) .

٢٠ - كتاب الفرق والمعيار بين الأوغاد والآحرار :

ذكره ابن النديم على هذه الصورة : كتاب الفرق والمعيار وهي رسالة في هارون بن المنعم بين الأوغاد والآحرار «(١٩)» .

وظاهر الأمر أن ليس هنالك أیما ليس في أمر هذا الكتاب الذي اعترضت بين جزئيه صفتة لدى ابن النديم ، غير أن الأمر ليس بهذه السهولة .

فنحن نقرأ في موضع آخر من الفهرست وأثناء ترجمة علي بن هرون التجم قوله ابن النديم : «وله كتاب اللقط المحيط ينقض ما لفظ به اللقط ، وهو معارضة عن كتاب أبي الفرج الأصبهاني : الفرق والمعيار بين الأوغاد والآحرار » (١٠٠) . فهذا النص يؤكد أن كتاب أبي الفرج موجه أساساً إلى علي بن هرون التجم (٢٢٧ - ٣٥٢ هـ) وهو أحد معاصرى الأصبهانى ، ومن زملائه فى ندوة الوزير المهلبى ، وكان أدبياً شاعراً عارفاً بالفناء وله عدة تصانيف فيه ، وقد روى أبو الفرج عنه - فيما نعلم - رواية يتيمة في الأغاني (١٠١) .

اما هرون فهو ابنه ، وكان مثله في الأدب والشاعرية والاهتمام بالفنان ، وقد ذكر له ابن النديم من الكتب مختاراً في الأغاني ، وهو أحد معاصرى أبي الفرج أيضاً (١٠٢) .

ومما لا شك فيه عندنا أن نوعاً من الصراع والتنافس كان قد وقع بين أبي الفرج وأل التجم ، فادى إلى نشوب خلاف قوى بينهم ، كانت ثمرته هذه الكتب الثلاثة : صفة هرون ، والفرق والمعيار ، واللقط المحيط .

ومن الواضح أن المقصود بكتاب أبي الفرج الأول هو هارون بن علي . أما الثاني :
فإن نص ابن النديم الأول يؤكد أن المقصود به هو هارون أيضا ، ولكن نصه الثاني الذي
أوردناه يوحى بأن المقصود به على أبوه ، ومن هنا كان الالتباس والعنوان في أمر
هذا الكتاب .

وفي تفسير ذلك لنا أن نفترض أن أبي الفرج كان قد وجه الكتابين إلى هارون
ابن علي ، فانتصر له أبوه ، وعارضهما بكتابه للنفط المحيط . أو أن الكتاب الأول موجه
إلى هارون ، والثاني إلى أبيه علي الذي عارضه ونقضه بكتابه . وعلى ذلك تكون
جملة ابن النديم المترضة - فيما نقدر - تابعة في الأصل لكتاب الأول وهي مناسبة له ،
إذ أنها صفتة ، ثم أصابها بعد ذلك ما يصيب العمل من اضطراب على أيدي الوراقين عادة ،
فسقطت لتعترض بين أجزاء عنوان الكتاب المذكور بعدها - أو ربما تحتها مباشرة -
اعتراضًا لا مسوغ له .

ويبدو أن هذا الاضطراب قد وقفت حائلًا دون ذكر أحد من المؤلفين بعد ابن النديم
لكتاب « صفة هارون » ضمن ما يقدمونه من قوائم بكتب الأصحاباني ، أما « الفرق والميارات »
فقد ذكره ياقوت نقلاً عن ابن النديم ، وعلى الصورة نفسها التي وردت في الفهرست (١٠٣) ،
بيد أنه تجنب ذكر الكتاب الأول مع أن ابن النديم قد ذكره قبله ، وورد اسم الكتاب
الثاني في الكشف مصعبًا دونما اعتراض على هذه الصورة : « الفرق والميارات بين الأقواد
والاحرار » (١٠٤) .

٢١ - كتاب دعوة التجار :

ذكره الثنائي و قال انه رأه ، كذا ذكره ياقوت أيضًا ، وورد عند اليافعي
وصاحب الكشف باسم : دعوة التجار (١٠٥) .

٢٢ - كتاب دعوة الأطباء :

تفرد ابن خلكان بذكره (١٠٦) .

٢٣ - كتاب مناجيب الغصيان :

تفرد ياقوت بذكره وقال إن الأصحاباني « عمله للوزير المهلبي في مغنيين كانوا له » (١٠٧) .
ـ كتاب تفضيل ذي العجة :

ذكره ابن النديم وياقوت الحموي (١٠٨) .

٢٥ - كتاب أدب السماع :

ذكره ابن النديم وياقوت (١٠٩) .

٢٦ - كتاب الفلان المغنيين :

ذكره العطليب وياقوت والقطفي وابن واصل وابن خلكان ، وورد عند السخاوي

باسم : «أخبار المفنيين المالك» ، وذكره اليافي باسم : «المفنيين الفلمان» ، واكتفى صاحب الكشف باسم «كتاب الفلمان» (١١٠) .

٢٧ - كتاب المفنيين :

تفرد السخاوي بذكره ، وكان قد ذكر قبله مباشرة الكتاب السابق ، مما يدل على أنهما كتابان منفصلان ، فإذا كان الأول منها مختصاً بالفلمان من المفنيين ، فإن الثاني - على ما يبدو - عام يشمل غيرهم أيضاً (١١١) .

٢٨ - كتاب القيان :

ذكره الشاعري والخطيب وياقوت الذي سماه «أخبار القيان» والقططي وابن خلكان وابن واصل والستخاوي الذي أشار إلى أنه يقع في مجلدين (١١٢) .

ولم يذكره صاحب الكشف ، وإنما ورد عنده ذكر لكتاب باسم : «نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمفنيات الدواخل العسان» .

وقال إن «أوله» : بحمد الله والثناء عليه افتتح كل قول عند ابتدائه الخ (كذا) ، وهو مشتمل على لطائف مستحسنة وأخبار مستطرفة من أخبار القيان ، قديمهن وحديثهن ، وشرح أحوالهن» (١١٣) .

ومن الواضح أن هذا الكتاب هو كتاب القيان أو أخبار القيان نفسه . وما يقوى ذلك أن المؤلف لم يذكر له كتاباً بأحد هذين الأسمين ، وأن اسمه الذي ورد عليه عند ياقوت «أخبار القيان» ، قد اشتمل عليه ما أورده صاحب الكشف من مقدمته . كما أن هذه المقدمة تدل على أنه ذات الكتاب الذي ذكره السخاوي ، وأشار إلى أنه يقع في مجلدين . كذلك فإن أحداً غير صاحب الكشف لم يذكر له كتاباً بهذا الاسم . مما يدعونا إلى الاعتقاد بأن هذه التسمية متاخرة تعود إلى عصر حاجي خليفة ، وقد صنعتها الوراقون ليدلوا بها على صفة الكتاب بشكل واضح .

٢٩ - كتاب الغمارين والخمارات :

ذكره ابن النديم وياقوت بهذا الاسم ، أما الخطيب والقططي وابن واصل وابن خلكان فقد ورد عندهم باسم : العانات ، ولم يذكروا الغمارين والخمارات ، مما يدل على أنه المقصود ، وأن عنوانه قد تغير عند أولهم (الخطيب) فتابعوه في ذلك ، إذ كانوا يقولون على تاريخه في تاليفهم . على أن معنى المعنوانين واحد .

وورد هذا المعنوان في مراة الجنان مصحفاً إلى : العانات . ولم تجد أحداً غير اليافي يذكر له كتاباً بهذا الاسم . ويبدو أن لشهرة أبي الفرج بالأغاني والألحان أثراً في ذلك (١١٤) .

٣٠ - الديارات :

ذكره ابن النديم والشاعري والخطيب . وورد في معجم الأدباء مصحفاً إلى الديارات ، وذكره القططي وابن واصل وابن خلكان وصاحب الكشف باسمه الصريح . أما ابن الأثير فقد

ورد عنده معرفا الى : المزارات . وأشار الى أنه ورد كذلك عند ابن خلكان الذي ذكره باسمه الصريح كما رأينا ، مما يدل على التعريف في ذلك (١١٥) .

٣١ - تحفة الوسائل في أخبار الولائد :

تفرد صاحب الكشف بذكره من بين الأقدمين . ونقله عنه صاحب مدية المارفين (١١٦) .

٣٢ - كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين وأهل بيته :

تفرد الطوسي بذكره (١١٧) .

٣٣ - كتاب نفي كلام فاطمة في فدك :

تفرد الطوسي بذكره أيضاً (١١٧) .

٣٤ - مجموع شعر يزيد بن الطثريه* :

لم أجد أحداً من القدماء أو المحدثين ذكره مع كتب أبي الفرج التي يذكرون . بيد أنني وجدت ابن خلكان أثناء ترجمة يزيد بن الطثريه يقول : « وكان أبو الفرج الأصبهاني قد جمع شعر يزيد بن الطثريه أيضاً في ديوان » (١١٨) . وقال في موضع آخر من هذه الترجمة : « وقال أبو الفرج الأصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثريه أن بنى حنيفة قتلتة في خلافة بنى العباس » (١١٩) . وقد ذكر أبو الفرج من خبر مقتل يزيد في الأغاني ما يؤكد قول ابن خلكان (١٢٠) .

ويبدو أن هذا الديوان يشتمل على مقدمة ضمئتها أبو الفرج أخبار هذا الشاعر، على طريقته المعروفة في سرد أخبار الشعراء في الأغاني .

غير أن ابن خلkan لم يذكر هذا الديوان أو المجموع مع ما ذكره من كتب أبي الفرج أثناء ترجمته له (١٢١) .

تلك هي الكتب التي صحت لدينا نسبتها إلى أبي الفرج .. وتبقى هناك مجموعة أخرى من الكتب والمؤلفات التي تنسب إليه في كتب المعاصرین ، دون أن يكون لها ذكر في أي مصدر المدارق القديمة التي وجدنا أنها منسوبة فيها إلى غيره من المؤلفين .

وأقدم ذكر لهذه المؤلفات المنسوبة إليه ورد في مختصر الألب اليسوعي للأغاني ، إذ جاء في مقدمته قوله يمد أن أتى على ذكر بعض مؤلفات الأصبهاني : « وللأصبهاني تصانيف غيرها لم يذكرها أصحاب التراجم ، تيسر لنا أن نجمعها بالاستقراء من كتاب كشف الظنون وغيره » (١٢٢) . ثم أتى على تعداد هذه الكتب ، ومعظمها مما ورد ذكره عند عدد كبير من القدماء ، وبعضها لم يذكره أحد منهم حتى ، لأنها ليست من كتب أبي الفرج .

* جمع الاستاذ حاتم صالح الصافن شعر يزيد بن الطثريه ونشرته دار التربية ببغداد سنة ١٩٧٣ م .
(المجلة)

ولدى بعثنا عن حقيقة هذه الكتب ، وتبيننا لها في مطانها ، وجدنا أنها تنسب في المصادر القديمة – ومنها كشف الظنون – إلى شخص آخر من معاصرى أبي الفرج من الأدباء وهو : أبي الفرج علي بن حمزة الأصبهاني (- ٣٥٦ هـ) وكان – على ما يبدو – مولماً بجمع دواوين الشعراء ، ومنها مما ينسب إلى أبي الفرج :

مجموع شعر أبي تمام : ذكره ابن النديم وأبن خلكان وصاحب الكشف ، وقالوا انه رتبه على الأنواع ، وهي الصفة التي ورد عليها عند اليسوعي منسوباً إلى أبي الفرج (١٢٣) .

ديوان البعتري : لعلي بن حمزة أيضاً ، ذكره ابن النديم وصاحب الكشف ، وقالا انه رتبه على الأنواع كسابقه ، وقال بذلك اليسوعي حين نسبه إلى أبي الفرج (١٢٤) .

ديوان أبي نواس : ذكره ابن النديم وصاحب الكشف لعلي بن حمزة (١٢٥) .

كتاب أعيان الفرس : ذكره صاحب الكشف لعلي بن حمزة ، وقد ذكر من ترجم له أنه فارسي الأصل (١٢٦) .

ومن الواضح أن مبعث الوهم في ذهن اليسوعي راجع إلى ما بين هذين المؤلفين من تشابه في الاسم وتاريخ الوفاة . وقد نقل عنه محققو الأغاني (ط دار الكتب) أسماء هذه الكتب ، وأوردوها منسوبة إلى أبي الفرج ، ومن ثم انتشرت في كتب المعاصرين الأخرى التي كان لهذه الكتب ذكر فيها (١٢٧) .

وأورد بروكلمان أسماء بعض الكتب الأخرى منسوبة إلى أبي الفرج ومنها : « كتاب أخبار المجانين » (١٢٨) مشيراً إلى أنه نقله عن السخاوي في الإعلان بالتوقيع من ١٠٨ . ولم نجد لهذا الكتاب ذكراً في كتاب السخاوي كله ، كما لم نجد أحداً نسبه إلى أبي الفرج غيره . و « كتاب الأمالي » (١٢٩) الذي لم نجد أحداً من القدماء يذكر له كتاباً بهذا الاسم . على أننا وجدنا صاحب الكشف يذكر كتاباً باسم « الأمالي الأصبهانية » للقاضي المعاملمي من معاصرى أبي الفرج (١٣٠) وذكر له كتاباً آخر باسم « كشف الكربة في وصف القرية » (١٣١) ولعله اسم آخر لكتابه الذي ذكرناه « أدب الغرباء » ، إذ لم نجد لهذا الكتاب ذكراً في المصادر القديمة .

وهكذا نلاحظ مدى ما أصاب كتب هذا الأديب من اختلاط وتشابه وتبدل ، وما داخلها من أوهام وتعريف وتصحيف ، وما أضياف إليها من الكتب المنسوبة إليه ، دون أن تكون هناك قائمة صحيحة بأسماء هذه الكتب والممؤلفات .

وقد بذلنا في سبيل تقديم مثل هذه القائمة جهداً غير يسير ، تأمل بعده أن تكون قد وفقنا إلى انتقاد هذه المؤلفات بعد أن كانت تنتشر تحت ركام تلك الأوهام والاختفاء ، وعسى أن يساعد ذلك في البحث عن بعض هذه المؤلفات المفقودة ، والمشور عليها ، فنكون بذلك قد وفياناً هذا الأديب بعض حقه علينا ، إذ طالما اغترفنا من بحر علمه ، ومفید تاليفه وكتبه (١٢٩) .

الهوامش :

- ١ - تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ . وصاحب هذا القول هو ابو علي الحسن بن ابي القاسم علي بن محمد التفاسى التنوخي . اديب شاعر اخباري محدث ثقة صدوق . وهو أحد تلامذة الاصبهانى ، ورواد مجلسه . (٣٢٧ - ٣٤٦) . انظر وليات الاعيان وفوات الوفيات ١٥٩/٤ .
- ٢ - مقاتل الطالبيين ص ٥ .
- ٣ - المصدر نفسه ص ٧٢١ .
- ٤ - انظر مثلاً : المهرست ص ١٧٢ - ١٧٣ ، وتاريخ بغداد ٣٩٨/١١ .
- ٥ - انظر بيته الدahr ٩٦/٣ .
- ٦ - انظر مثلاً : المختصر ١٣١/٣ ، ومرأة الجنان ٣٠/٢ .
- ٧ - وفتح السعادة ١٨٥/١ .
- ٨ - انظر مثلاً : العبر ٣٠٥/٢ ، ولسان الميزان ٤٢١/٤ .
- ٩ - مجمع الادباء ٩٩/١٣ .
- ١٠ - وسيرة الحديث عن ذلك في اواخر هذا البحث .
- ١١ - مقاتل الطالبيين المقدمة ص ٥ .
- ١٢ - وكان طلبه في حدود الثنائمة ، كما يقول ابن حجر في لسان الميزان ٤٢١/٢ .
- ١٣ - انظر مقاتل الطالبيين ص ٩٨ و ٦١٦ .
- ١٤ - انظر مقدمة الحقن ص /ص .
- ١٥ - المهرست من ٧٢٢ .
- ١٦ - مقدمة ابن خلدون من ١٧٠ .
- ١٧ - دراسة في مصادر الادب العربي ١٧٣/١ .
- ١٨ - الحلة السيراء ٢٠١/١ .
- ١٩ - مختار الاغانى ١/١ .
- ٢٠ - حلية المحاضرة ، مقدمة الحقن ١٢/١ .
- ٢١ - انظر النتبة على اوهام ابن علي في اماليه من ٣٧ و ٦٧ و مواضع أخرى كثيرة .
- ٢٢ - كتاب الحلة السيراء ، مقدمة الحقن من ١٧١ .
- ٢٣ - مجمع الادباء ، مقدمة الحقن من ٩٨/١٣ .
- ٢٤ - انظر وليات الاعيان : ٢٥٤/١ ، ٢٥٤/٢ و ١٦٣/٢ ، ٣٥/٣ ، ٣٥٢ ، ١١٠/٤ ، ٦٨/٦ و ١٥٥ و ٣٦٩ و ٣٧٤ ، ١٧٩/٨ ، وموضع آخر كثيرة جداً .
- ٢٥ - انظر في ترجمته : مجمع الادباء ٧٩/١٠ .
- الاعيان ١٧٢/٢ - ١٧٧ .
- ٣٦ - مجمع الادباء ٩٧/١٣ .
- ٣٧ - تجريد الاغانى ٦/١ .
- ٣٨ - كشف النقون ١٢٩/١ .
- ٣٩ - انظر ترجمته في الوفيات ٣٧٧/٤ و كشف النقون ١٢٩/١ .
- ٤٠ - انظر وليات الاعيان ٣٧٨/٤ و ٣٧٩/١ .
- ٤١ - انظر ترجمته في انباء الرواية ١٣٣/٢ و وفوات الوفيات ٩٨/٣ .
- ٤٢ - واسان الميزان ٣٨٤/٣ .
- ٤٣ - وليات الاعيان ٩٩/٣ .
- ٤٤ - كشف النقون ١٦٠/١ .
- ٤٥ - انظر ترجمته في وليات الاعيان ١٦٠/١ .
- ٤٦ - مختار الاغانى ١/١ .
- ٤٧ - مختار الاغانى ١٣٠/١ .
- ٤٨ - وفوات الوفيات ١٤١/٢ .
- ٤٩ - انظر ترجمته في مجمع الادباء ١٤١/٢ و انباء الرواية ٣٤٤/٣ .
- ٥٠ - وفوات الوفيات ٣٤٤/٢ .
- ٥١ - واسان الميزان ١٥٠/٤ .
- ٥٢ - انباء الرواية ٣٤٤/٣ .
- ٥٣ - وفوات الوفيات ٣٤٥/٢ .
- ٥٤ - كشف النقون ١٣٥/١ .
- ٥٥ - وفوات الوفيات ٣٤٥/٢ .
- ٥٦ - انظر ترجمته في الواقي بالولييات ٨٥/٣ .
- ٥٧ - وفوات الوفيات ٣٤٩/٢ .
- ٥٨ - انباء الرواية ٣٤٩/٢ .
- ٥٩ - تجريد الاغانى ١/١ .
- ٦٠ - وهو السلطان محمود بن محمد بن عمر الزيوي . ملك حماة سنة (٦٢٦ هـ) وتوفي سنة (٦٤٢ هـ) . وكان ابن واصل على صلة قوية به . انظر تاريخ ابن الذهابي ٣٣/٤ .
- ٦١ - وقد توهם المحققان انه السلطان محمد بن عمر (٦١٧ هـ) وذلك لا يتفق مع مواد ابن واصل سنة (٦٠٤ هـ) ولم يخالف فيه احد . كما توهما في اسماها ، بعض من ذكر ابا الفرج من القديما ، كابن محمد بن الحسين التوبختي فزعموا انه ابن دارم بن النواس ، وابي الحسن البти فزعموا انه جحظة البرمكي . انظر مقدمة التجريد ٦/٦ ثم تاريخ بغداد ٣٩٨/١١ .
- ٦٢ - انظر ترجمته في وفوات الوفيات ٣٣١/٢ .
- ٦٣ - مختار الاغانى ٦/٣ .
- ٦٤ - مختار الاغانى ٦/٣ .
- ٦٥ - تم نشر له على ترجمة . ييد ان احد ادباء تونس نشر بعناته في احدى مطبخ تونس ، وهو ملحق بكتاب المخطوط ، الكوكب النايل في اخبار الشعراء من ذوي المنايل ، بالغزارة الملكية في الرباط برقم ٢٧٠٧ .

- ٤٦ - المخطوطه ١٠/١
 ٤٧ - المخطوطه ١٥/١
 ٤٨ - المخطوطه ١٦/١
 ٤٩ - المخطوطه ٤٠/٢٢ وما بعدها
 ٥٠ - المخطوطه الجزء ١٢
 ٥١ - المصدر نفسه الجزء ١٢
 ٥٢ - المصدر نفسه الجزء ١٥
 ٥٣ - المصدر نفسه ٩٧/٥ وما بعدها
 ٥٤ - المصدر نفسه ١٠٩/٢٣ - ١١٦
 ٥٥ - مجلة السوره البغدادية مع ٧ ع ١ عام ١٩٧٨
 من ٣٤ و ٣٩
 ٥٦ - معجم الادباء ٩٨/١٣
 ٥٧ - الواقي بالوفيات ٢٥٢/٦ - ٢٥٣
 ٥٨ - تاريخ الادب العربي ٦٩/٣
 ٥٩ - الفهرست من ١٧٣
 ٦٠ - تاريخ بغداد ٣٩٨/١١
 ٦١ - معجم الادباء ٩٩/١٣
 ٦٢ - ادب الغرباء من ٢١
 ٦٣ - الاغاني ٣/٢٢ - ٤
 ٦٤ - الاغاني ١٤/١
 ٦٥ - المهرست من ١٧٣
 ٦٦ - بيتهما الدهر ٩٦/٣
 ٦٧ - تاريخ بغداد ٣٩٨/١١
 ٦٨ - معجم الادباء ٩٨/١٣
 ٦٩ - انباه الرواة ٢٥٢/٢
 ٧٠ - وفيات الاعيان ٣٠٨/٣
 ٧١ - تجرييد الاغاني ٥/١
 ٧٢ - مرأة الجنان ٣٦٠/٢
 ٧٣ - مفتاح المسادة ١٨٥/١
 ٧٤ - كشف الظنون ٤١٩/٩١ ثم ٦٠٥
 ٧٥ - انظر مثلاً تصدیر الاغاني (ط المدار) ٣١/١ وابو المرج
 الاصبهاني لشقيق جبری من ٢١ - ٢٢ - وللascusci
 من ١٥٩ - دراسة في مصادره الادب ١٥٨/١
 ٧٦ - تاريخ الادب العربي ٣/٣
 ٧٧ - الاغاني ١/١ وانظر ٧٦/٢
 ٧٨ - الفهرست من ١٧٣
 ٧٩ - تاريخ بغداد ٣٩٨/١١ وقد توجه الدكتور مکسی الا
 ظن أن هذا الكتاب هو مختصر للأغاني قام به ابو المرج
 نفسه ، انظر دراسة في مصادره الادب ١/١٨١
 ٨٠ - الاغاني ٣٧٤/٨

- وقد ورد هذا الكتاب عند بروكلمان ٧١/٢ مصطفى الس
الخاتن . وقال : « مكدا بدلا من العكبات عن ابن
خلكان » . وقد رأينا أن ابن خلكان سماه : « الخاتن
وليس العكبات » .
- كما ورد في تصدر الأغاني (ط الدار) ٣٠/١ - ٣١
مقسمًا إلى كتابين منفصلين هما : « الغمارون والغمارات »
والخاتن .
- ١١٥ - انظر على التوالي : الفهرست من ١٧٣ وঠিকে দেহ
৩٠/٨ و تاريخ بغداد ٣٩٨/١١ ومجمم الأدباء ١٩/١٣
واباه الرواية ٢٥٢/٢ وتغيريد الأغاني ٥/١ ووفيات
الأعيان ٣٠/٨/٣ وكشف الطفون ١/ ٧٦٢ وبداية
والنهاية ٣٤/١١ .
- ١١٦ - انظر كشف الطفون ١/ ٣٦٠ وحدة العارفين ١/ ٦٨١ .
- ١١٧ - فهرست كتب الشيشة ٣٧٩ .
- ١١٨ - وفيات الأعيان ٣٦٩/٦ .
- ١١٩ - المصدر نفسه ٣٧٤/٦ .
- ١٢٠ - الأغاني ١٨٠/٨ - ١٨٣ - ٣٠/٨ .
- ١٢١ - وفيات الأعيان ٣٧/٣ - ٣٠/٨ .
- ١٢٢ - رفات المثالاث والثانوي ١/٣ .
- ١٢٣ - انظر على التوالي : الفهرست من ٢٤١ ، وفيات الأعيان
٢/ ٣٧٧ ورفات المثالاث والثانوي ١/ ١٢/٢ .
- ١٢٤ - انظر : الفهرست من ٣٤٤ وكتشف الطفون ١/ ٧٧٤ .
- ١٢٥ - ورفات المثالاث والثانوي ١/ ١٢/١ .
- ١٢٦ - انظر : كشف الطفون ١/ ١٢/٨ وانظر ترجمته في مجم
الأدباء ١/ ١٣ ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٣ .
- ١٢٧ - انظر الأغاني التصدر ٣/١ وابو الفرج الإسباني
محمد عبد الجبار الأصبهني من ١٥٩ ، وتاريخ الأدب
العربي لفروخ ٤٩١/٢ ودراسة كتاب الأغاني
د. دادو سلوم ص ٧ .
- ١٢٨ - تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧٠ . ويبدو أن هناك خطأ
في الترجمة العربية لما بين كلعتي الماجنن والمفتين تشابه
في الكتابة بالآخرف اللاتينية . والأصل الإلالي
ليبروكلمان يشير إلى « كتاب أخبار المفتين » . وقد ذكره
السفراوي ضللا في ص ١٠٦ من الإعلان بالتوبغ .
- ١٢٩ - تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧٠ .
- ١٣٠ - كشف الطفون ١/ ١٦٨/١ .
- ١٣١ - تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧٠ .
- ١٣٢ - يقى ن نشير إلى أن من آثار هذا الأديب أيضًا مجموعة
شعرية له عدلتنا على جمعها من بعض المصادر القديمة ،
ونأمل أن ترى النور قريبا .
- وقد ظن بروكلمان أن هذا الكتاب يمكن أن يكون ذات
كتاب النساء الشواعر الذي ذكره التجانسي في تعلقة
العروس . تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧٠ . وال الصحيح أن
هذا الكتاب ربما يكون كتاب أبي الفرج الشاعر
المكبري ذكره الصدقي في الوالي بالوفيات ٥٤/١ .
- ١٣٣ - انظر يتيمة الدهر ٩٦/٣ ومجمم الأدباء ١٠٠/١٣ ووفيات
الأعيان ٣٠/٨ وكشف الطفون ٢٦/١ .
- ١٣٤ - انظر الفهرست من ١٧٣ ومجمم الأدباء ٩٩/١٣ .
- ١٣٥ - الفهرست من ١٧٣ .
- ١٣٦ - المصدر نفسه والصلة نفسها .
- ١٣٧ - الفهرست من ٢١٣ .
- ١٣٨ - الأغاني ٣٠/٧/١٩ .
- ١٣٩ - انظر في ترجمتها الفهرست من ٢١٣ .
- ١٤٠ - مجمم الأدباء ١٣/ ١٠٠ .
- ١٤١ - كشف الطفون ٢/ ١٢٥/٢ .
- ١٤٢ - انظر على التوالي : يتيمة الدهر ٩٦/٣ ومجمم الأدباء
١٠٠/١٣ ، ومرأة الجنان ٣٥٩/٢ . وكشف الطفون
٧٥/١ . وقد اسماء ابو الفضل ابراهيم من بين
المعاصرين باسم : دعوة التجارة ، شهراً الى أنه
ورد كذلك عند ابن التدمير وبالسوت ، ولم تجد له
عند ابن التدمير ذكرًا ، وأما بالسوت فقد اسماء باسمه
ال صحيح كما مر . انظر إنتهاء الرواية ٢/ ٢٥٢/٢ الحاشية .
- ١٤٣ - وفيات الأعيان ٣٠/٧/٣ .
- ١٤٤ - مجمم الأدباء ١٣/ ١٠٠ .
- ١٤٥ - الفهرست من ١٧٣ ومجمم الأدباء ٩٩/١٣ .
- ١٤٦ - الفهرست من ١٧٣ ومجمم الأدباء ٩٩/١٣ .
- ١٤٧ - انظر على التوالي : تاريخ بغداد ٣٩٨/١١ و تاريخ بغداد
١٠٠/١٣ واباه الرواية ٢٥٢/٢ ومرأة الجنان
٣٠/٢ وفتح السعادة ١٨٥/١ وكشف الطفون
٤٤٤/٢ .
- ١٤٨ - الإعلان بالتوبغ من ١٠٦ .
- ١٤٩ - انظر على التوالي : يتيمة الدهر ٩٦/٣ وتاريخ بغداد
٣٩٨/١١ ومجمم الأدباء ٩٩/١٣ . واباه الرواية
٢٥٢/٢ ووفيات الأعيان ٣٠/٨ وتجريد الأغاني ٥/١ .
- ١٤١ - كشف الطفون ٧/ ١٩٤٧ .
- ١٤٢ - انظر على التوالي : الفهرست من ١٧٣ ومجمم الأدباء .
- ١٤٣ - تاريخ بغداد ٣٩٨/١١ و تاريخ بغداد ٢٥٢/٢ واباه الرواية
٩٩/١٣ وتجريد الأغاني ٥/١ ووفيات الأعيان ٣٠/٨ ومرأة
الجنان ٣٥٩/٢ .

مسرد المصادر والمراجع

- أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني : محمد عبد الجبار الأصمسي ، ط ٢ دار المعرفة بمصر .
- أبو الفرج الأصلهانى : شفيف جبري ، دار المعرفة بمصر ١٩٦٥ .
- ادب القراء : لأبي الفرج الأصبهاني (- بعد ٣٦٢ هـ) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ط ١ دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٢ .
- ادراك الامانى من كتاب الأغاني : عبد القادر السلوى الفاسى ، (من رجال القرن الثاني عشر للهجرة) . نسخة مخطوطة ، الغزانة الملكية بالرباط ، رقم ٢٠٧٦ .
- الاعلام : لغير الدين الزركلى ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٩ .
- الاعلان بالتوبیخ من ذمة التاريخ : للسحاوى ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ، (ت ٩٠٢ هـ) نشر التدسى ، دمشق ١٩٤٩ .
- الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني ، ط دار الكتب المصرية ، وطبعاته الأخرى .
- انباه الرواة على انباه النهاة : للقططى جمال الدين علي بن يوسف (- ٦٤٦ هـ) ، تحقيق محمد ابن الفضل ابراهيم ، ط ١ دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
- البداية والنهاية : لأبي العلاء عمار الدين اسماعيل بن عمر (- ٧٧٤ هـ) ، ط ١ مكتبة المغارف ، بيروت ١٩٦٦ .
- بغية الملتس فى تاريخ رجال الاندلس : لأحمد بن يحيى القبى (- ٥٩٥ هـ) تحقيق مصطفى السقا ، ط ١ دار الكتاب ، بيروت ١٩٤٥ .
- تاريخ الأدب العربي : لعمرو فروخ . دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨ .
- تاريخ الأدب العربي : لكارل بروكلمان (- ١٩٥٦ م) ترجمة د عبد الحليم التجار ، ط ٣ دار المعرفة بمصر ١٩٧٤ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي احمد بن علي (- ٤٦٣ هـ) ، ط ١ مكتبة الغانجى ، القاهرة ، ١٩٣١ .
- تتمة المختصر : لابن الوردي زين الدين عمر (- ٧٤٩ هـ) تحقيق احمد رفعت البستادوى ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠ .
- تحرير الأغاني من المثالث والثانى : لابن واصل العموى (- ٦٩٧ هـ) ، تحقيق د طه حسين وابراهيم الابيارى ، مصر ١٩٥٥ .
- التنبىء على اوهام ابن على في اماميه : للبكرى ابن عبد الله بن عبد العزيز (- ٤٨٧ هـ) بتصحيح محمد عبد الجبار الأصمسي - ط ٣ . التجارية مصر ١٩٥٤ .
- الحلقة السيرة : لابن الأبار (- ٦٥٨ هـ) ، تحقيق حسين مؤنس ، الشركة العربية ، ط ١٦ ، مصر ١٩٦٣ .
- حلية المحاضرة : للحاتمى ابن عبد الله محمد بن المظفر (- ٣٨٨ هـ) ، تحقيق د جابر الكتانى ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٧٩ .
- دائرة المعارف الإسلامية : ط مصر ، الترجمة العربية ١٩٤٢ .
- دراسة الأغاني : شفيف جبri ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥١ .

- دراسة في مصادر الأدب العربي : د. طاهر أحمد مكي ، ط ٣ دار المعرف بعمر ١٩٦٨ .
- دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه : د. داود سلوم ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٧ .
- رنات المثال والمتانى في روايات الأغاني : للأب أنطون صالحاني اليسوعي ، ط ٢ بيروت ١٩٢٣ .
- الفهرست : لابن التديم محمد بن الحسن (- حوالي ٣٧٨ هـ) . التجارية ، القاهرة .
- فهرست كتب الشيعة : للطوسي محمد بن الحسن (- ٤٦٠ هـ) ط شهد الهند ١٣٥٢ هـ .
- ثواب الواليفات : لابن شاكر الكتبى (- ٧٦٤ هـ) تحقيق د. احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٤ .
- كتاب العلة السيرة : لابن الأبار (- ٦٥٨ هـ) ، دراسة وتحقيق د. عبد الله الطباع . دار الشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦٦ .
- كشف النقون عن أسامي الكتب والفنون : لجاجي خليفة كاتب جلبي (- ١٠٦٧ هـ) ط وكالة المعرف ، الهند . مصورة .
- الكوكب الثالث في الحباد الشعراء من ذوي المناصب : نسخة مخطوطة بالكتبة الملكية بالرباط برقم ٢٠٧٧ .
- لسان الميزان : لابن حجر المستقلاني (٨٥٢ هـ) ط مصورة عن الهندية .
- مجلة المجمع العلمي العراقي : ١٢ ، س ١ ، ١٧٥٠ .
- مجلة المورد البغدادية : ج ٧ ، ع ١ ، عام ١٩٧٨ .
- مختار الأغاني في الأخبار والتهانى : لابن منظور محمد بن المكرم (- ٧١١ هـ) ، ط تحقيق ابراهيم الأبيارى ، القاهرة ١٩٦٥ . ونشر زهير الشاويش - بيروت .
- المختصر في الخبر الشر : لابن الفدا عاد الدين اسماعيل بن علي (- ٧٣٢ هـ) دار الفكر ، بيروت ١٩٥٩ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقنان : لليلامي عبد الله بن مسعود (٧٦٨ هـ) ط دار المعرف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٣٨ هـ .
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي (- ٦٦٦ هـ) تحقيق د. احمد فريد الرفاعي ، دار المامون ، القاهرة ، ١٩٣٨-١٩٣٦ .
- مفتاح السعادة : لطاش كيري زاده (- ٩٦٨ هـ) دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، ١٣٣٨ هـ .
- مقاييس الطالبين : لابن المرق الأصبهاني (- بعد ٣٦٢ هـ) تحقيق احمد صقر ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٩ .
- مقدمة ابن خلدون (س ٨٠٨ هـ) ط ٢ . دار الكتاب . بيروت ١٩٩١ .
- المتسلم في تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزي أبي المرق عبد الرحمن بن علي (- ٥٩٧ هـ) ط حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٥٨ هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تفري برطى (- ٨٧٤ هـ) . دار الكتب المصرية - مصورة .
- هدية المارفين أسماء المؤذنين وأئام الصنفين : لاسماعيل باشا البغدادي (- ١٣٣٩ هـ) مصورة دار المشن بشداد ١٩٥١ .
- الواقي بالوليفات : للصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك (- ٧٦٤ هـ) . تحقيق ديدرلنخ ، ليسبادن ، ١٩٧٠ .

محمد خير الشيخ موسى

معالشون لابن جمیع الصیداوي

(٣٠٥ - ٤ شعبان)

د. عمر عبد السلام تدمري
جامعة المتنانية - طرابلس

أخرجت مدينة «صيدا» - كغيرها من مدن ساحل الشام - عدداً كبيراً من رجال الحديث ، والعلماء الحفاظ ، والرواة الثقات ، في الفترة الواقعة بين الفتح الإسلامي والغزو الصليبي ، كما قصدها جمهرة كبيرة من المحدثين وطلبة العلم وغيرهم من العلماء . وقد أحيينا جميع هؤلاء وأولئك في « معجم العلماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي » المأثر للطبع في بيروت .

بغداد » وغيره ، ومدينة بعلبك أخرجت الإمام والفقير الكبير المتوفى ببيروت « عبد الرحمن الأوزاعي »^(١) (٨٨ - ١٥٧ هـ) ، ومدينة صيدا أخرجت « ابن جمیع الصیداوي » المحدث الراشد المستند (٣٠٥ - ٤٠٢ هـ) .
وفي مساحة متواضعة بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري قمت بجمع مصنفات المحدث « خيشمة الأطرابلسي » ونشرتها في كتاب^(٢) ، كما قمت بجمع مصنفات الحافظ « محمد بن علي الصوري » لشرائها أيضاً ، وكذلك حصلت على ما صنفه « ابن جمیع الصیداوي » وأقوم بتعقيقه

وكلها واضحة تبدو من يتبع رجال الحديث في ساحل الشام نجد أن كل مدينة من مدنه تکاد تشتهر بمحدث متخصص عن غيره من المحدثين من أبناء مدینته نفسها ، وأهم ما يميزه عن غيره ما تركه من أثر مكتوب يجعله في عداد المصنفين ، فطرابلس الشام ، مثلاً ، آخرت المحدث الكبير الملقب بمسند الشام « خيشمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي »^(٣) (٢٥٠ - ٣٤٣ هـ) ، ومدينة صور أخرجت المحدث والحافظ الكبير « محمد بن علي الصوري »^(٤) (٣٧٧ - ٤٤١ هـ) وهو شيخ الخطيب البغدادي صاحب « تاريخ

ليصدر في العام الهجري القادم (١٤٠٢ هـ) حين يصادف مرور ألف سنة هجرية على وفاته تماماً.

التعريف بابن جميع :

يعتبر « ابن جميع الصيداوي » أشهر محدث آخر جته صيدا في كل تاريخها على الأطلاق . وهو : « محمد بن عبد الرحمن بن يعيي بن محمد ابن أحمد بن عبد الرحمن بن يعيي بن جميع ، أبو الحسين الفساني الصيداوي الحافظ » ، من أسرة اشتهرت برواية الحديث في مدينة صيدا ، يرجع نسبها إلى « غسان » ، وهي القبيلة العربية التي في بلاد الشام قبل ظهور الإسلام . ويعرف جداً هذه الأسرة الأعلى بـ « جميع » (بضم الجيم وفتح الميم) . ويعود التاريخ المعروف لهذه الأسرة في صيدا إلى القرن الثالث الهجري ، ولكن من غير المعروف إذا كان والد ابن جميع : صيداوي المولى ، أو أن جده كذلك ، أذ جل ما نعرفه هو أن والد ابن جميع « أحمد بن محمد بن أحمد » توفي سنة ٣٧١ هـ^(٥) . وتزوج أن وفاته كانت بصيدا ، وأنه كان يروي الحديث . وقد عاش ٩٧ سنة ، ومثلها جده « محمد بن أحمد بن عبد الرحمن » ، ومثلها جد أبيه « أحمد بن عبد الرحمن بن يعيي » .

ووصلنا اسم أخ لابن جميع صاحب هذه الترجمة هو : « بكر بن أحمد »^(٦) .

ولد أبو الحسين محمد بن جميع في مدينة صيدا بساحل الشام سنة ٣٠٥ هـ (وقيل ٣٠٦ هـ) ، ونشأ فيها ، وتلقى علومه وهو صغير على شيوخها ، فسمع من أبيه ، كما سمع من الشيوخ المحدثين الصيداويين وغير الصيداويين الذين كانوا ينزلونها أو يقيمون فيها بعض الوقت ، ثم خرج من بلده في رحلة واسعة لطلب العلم فطُوف في بلاد الشام ،

والعراق ، وديار مصر ، وبلاد فارس ، وكور الأهازو ، والعجاز ، وأكثر عن الشيوخ في تلك البلاد ، ولذلك لقب بـ « الشيخ العالم ، الصالح ، المستند ، الرجال ، صاحب المجم »^(٧) . وقد أحصى شيوخه في معجمه الذي تحن بصدره ، بلغ عددهم (٣٧٢) شيئاً ، توزعوا في (٥٢) مدينة وبلدة ، هي : الأبلة ، الأثارب ، آذنة ، أصبهان ، انطاكيه ، الأهازو ، بالس ، البصرة ، بغداد ، بلد ، بياس ، بيت المقدس ، بيروت ، تتنيس ، جبئل ، جبلة ، حلب ، حمص ، دمياط ، دير عاقول ، الرافقة ، الراهبهرمز ، الرصافة ، الرقة ، الرملة ، سيراف ، شيزار ، الصرفند ، صنعاء ، صور ، صيدا ، طرابلس ، طرسوس ، عرقه ، عين زربة ، الفسطاط ، قرقيسيا ، القلزم ، كفر بيا ، الكوفة ، مرعش ، مصر ، المصيصة ، مكة ، منجع ، الموصل ، نصبيين ، نهر الملك ، همدان ، واسط ، يافا ، فضلاً عن مدينة دمشق التي لم يرد ذكرها في معجم شيوخه ، والتي لا بد أن دخلها وسمع بها ، إذ نعرف أنه لقى « العسن بن حبيب العصائري الدمشقي » الفقيه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ^(٨) هذا عدا (٥٢) شيئاً نجهل مكان سماعه عليهم . ومن الجدول الذي وضعناه باسماء الأماكن التي سمع بها ابن جميع يتبع لنا أن بغداد تأتي في مقدمة المدن من حيث عدد الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم بها ، فبلغوا (٨٥) شيئاً ، تليها مصر (٣٠) شيئاً ، ثم البصرة (٢٧) شيئاً ، فبلده صيدا (٢٠) شيئاً . انظر جدول شيوخ ابن جميع .

ونحن لا نعرف كم استغرقت رحلة ابن جميع من الوقت ، أو أنه خرج من صيدا على دفعات ، ولا نعرف تاريخ عودته إلى بلده التي ترور فيها وخلف أولاداً ، ولكن أولاده كانوا يموتون وهم صغار^(٩) ، إلى أن رزق

شيخ ابن جميع في البلاد التي سمع بها

اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد
الإبلة	٣	جبل	١	جبلة	٢	الآثارب	١	مكة
الأنفة	٣	حلب	١٥	صيدا	٢٠	منبع	٢	المصيصة
اصبهان	٦	حصن	١	طرابلس	٢	الموصل	٢	نطرين
انطاكية	٩	دياط	١	طرسوس	٢	نصيبين	٢	نهر المدك
الامواز	٣	دير عاقول	٢	عرقة	١	هدا	١	هدان
بالس	٣	الراقة	٢	عين زربة	١	واسط	٢	القطاط
البصرة	٢٧	الراهمون	٨٥	قرقيسا	١	يايا	١	القلزم
بغداد	٩	الرصافة	٩	كفرنيا	٧		١	كفرنيا
بلد	١	الرقة	١	الكونة	٤	دمشق	٣	الكونة
بياس	١	الرملة	١	مرعش	٦	مكان غير معروف	١	مرعش
بيت المقدس	٢	سيراف	١	صر	١	المعروف	٣٠	صر
تبروت	٣	شراح	٢					
تيس		الصرلند						

التخيبي : رأيت سماعه في أجزاء جده ، وكان عنده كتب جده فيها سماع التلقى الذين سمعوا منه (١٦) ، وأبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ المتوفى ٤٤١ هـ (١٧) وأبو الفتح محمد بن عبد الرحمن المصري المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٨) ، وأبو علي محمد بن العسين ابن الفضل البصري الصوفي المتوفى سنة ٤٣٢ هـ (١٩) وأبو محمد عبد الله بن أحمد ابن الحسن النيسابوري الخفاف المقرئ الذي ألمى الحديث في المسجد الجامع بدمشق سنة ٤١٥ هـ (٢٠) ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد البخاري العنفي ، ومحمد بن محمد بن أبي الموفق النيسابوري الذي كتب عنه بصيدها وتوفي سنة ٤٢٩ هـ (٢١) وأبو العسين عتيق ابن أحمد الاسكتدراني المعروف بابن الكاتب وسمع منه بصيدها ، (٢٢) وأبو العسين أحمد ابن محمد بن المخ الصيداوي (٢٣) ، وأبو العسن عبدالله بن علي بن المخ العدل الصيداوي

ب « الحسين » المعروف ب « السكن » ، فكتب له أن يعيش ، ثم رزق ب « الحسن » و « طلعة » .

ومن ذريته : « علي بن الحسين » وقد قتل في وادي الجرم شرقي صيدها بعد سنة ٤٥٠ هـ (٢٤) و « محمد بن الحسن » (١١) ، و « أحمد بن الحسن » (٢٥) ، و « علي بن الحسن » (١٣) ، و « محمد بن الحسن » (١٤) .
*(انظر سلسلة نسب ابن جميع) *

وحين عاد ابن جميع من رحلته الى وطنه جلس لرواية الحديث في المسجد الجامع بصيدها ، فقصده عشرات الطلبة ليسمعوا ويستجذروه في الرواية عنه . وقد أحصيت أسماء جماعة من تلاميذه ، منهم :

ابنه الحسن بن محمد المعروف بالسكن المتوفى سنة ٤٣٧ هـ (٢٥) ، وحفيده أبو الحسن أحمد بن الحسن ، الذي قال عنه أبو محمد

وكتب بصيدا في حجرة ال碧ع في سنة ٤٦٠ هـ .
وقال عنه الأئمـ « ابن ماكولا » : « ما وجدت
عنهـ غيرـ الجزءـ الثانيـ منـ معجمـ شيوخـ ابنـ
جـمـيعـ » (٢٤) ، وأـبـوـ مـعـمـدـ عـطـلـيـهـ اللهـ بـنـ
الـحـسـينـ الصـورـيـ الطـلـيـبـ المـتـوفـيـ سـنـةـ
٤٤٥ـ هـ (٢٥) ، وأـبـوـ سـعـدـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ
الـمـالـيـتـيـ الصـوـفـيـ ، وأـبـوـ نـصـرـ عـبدـ الرـحـمـنـ بـنـ
أـبـيـ عـقـيلـ الصـوـرـيـ (٢٦) ، وـأـبـدـ الـفـنـيـ بـنـ
سـعـيدـ الـحـافـظـ ، وـهـوـ مـنـ أـقـارـانـهـ ، وـأـبـوـ مـعـمـدـ
عـبـادـهـ بـنـ عـلـيـ بـنـ عـيـاضـ بـنـ أـبـيـ عـقـيلـ
قـاضـيـ صـورـ (٢٧) ، وـأـبـوـ الـعـبـاسـ أـحـمـدـ بـنـ
مـحـمـدـ الـأـصـبـهـانـيـ ، وـأـبـوـ الـفـتـحـ مـعـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ
الـمـصـرـيـ الصـوـافـ ، وـأـبـوـ نـصـرـ عـلـيـ بـنـ عـسـينـ
أـبـيـ أـبـيـ سـلـمـةـ الـوـرـاقـ الصـيـداـويـ (٢٨) ، وـأـبـوـ
الـحـسـينـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـينـ التـرـجـمانـ ، وـأـبـوـ
عـلـيـ الـأـهـواـزـيـ ، وـأـبـوـ الـحـسـنـ الـعـنـائـيـ (٢٩) ،
وـأـبـوـ الـوـليـدـ سـلـيـمـانـ بـنـ خـلـفـ الـأـنـدـلـسـيـ
الـبـاجـيـ الـفـقـيـهـ الـمـتـوفـيـ سـنـةـ ٤٧٤ـ هـ (٣٠) ،
وـأـبـوـ حـفـصـ عـمـرـ بـنـ الـحـسـينـ الدـونـيـ الصـوـفـيـ
الـمـتـوفـيـ سـنـةـ ٤٨١ـ هـ (٣١) ، وـأـبـوـ اـسـحـاقـ
إـبـرـاهـيمـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ سـهـلـ الـمـرـوزـيـ
الـقـرـيـمـ (٣٢) ، وـتـكـمـلـةـ مـحـمـدـ الـهـمـدـانـيـ (٣٣) ،
وـيـعـتـبـرـ أـبـوـ نـصـرـ الـحـسـينـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ طـلـابـ
طـلـيـبـ دـمـشـقـ أـخـرـ مـنـ رـوـيـ عـنـ أـبـيـ جـمـيعـ (٣٤) ،
وـكـانـ أـخـدـ عـنـهـ قـرـاءـةـ فـيـ دـارـهـ بـصـيـداـ سـنـةـ
٣٩٤ـ هـ (٣٥) .

★ ★ ★

قال السمعاني عن ابن جميع : « الحافظ
الصيadiani ، من أهل صيدا ، له رحلة إلى
ديار مصر والمراق وببلاد فارس وكشور
الأهواز ، وأكثر عن الشیوخ بهذه البلاد .
وخرج له خلف الواسطي الحافظ مجمع
شیوخه في خمسة أجزاء حسنة » . ويضيف
السمعاني أن ولادته كانت في سنة ٣٠٦
بصيدا ، وأن وفاته كانت بعد سنة ٣٧٤ هـ (٣٦) .

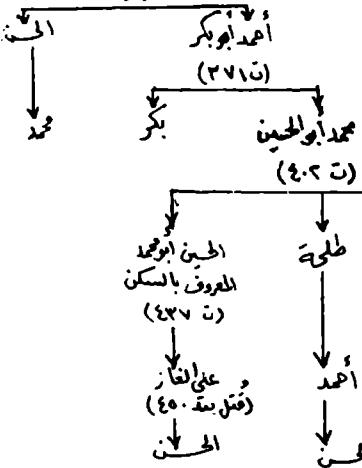
جـمـيعـ الـغـسـلـاـنـيـ الـصـيـداـويـ

↓
يجـيـ

↓
عـبدـ الرـهنـ

↓
أـهـمـ

↓
مـحـمـدـ



سـلـسلـةـ نـسـبـ اـبـنـ جـمـيعـ

ولكن المرجع أنه ولد في سنة ٣٠٥ وتوفي
في شهر رجب سنة ٤٠٢ هـ بـصـيـداـ ، وبـهـذاـ
يـكـونـ قدـ عـاشـ سـبـعـةـ وـتـسـعـينـ عـامـاـ حـسـبـ
رواـيـتـيـ : « سـبـطـ اـبـنـ الجـوزـيـ » وـ« اـبـنـ عـساـكـرـ »
الـذـيـنـ قـالـاـ إـنـ طـافـ الدـنـيـاـ ، وـكـانـ زـاهـداـ
مـتـبـعـاـ قـوـاماـ بـالـلـيـلـ ، وـمـاتـ وـهـوـ اـبـنـ سـبـعـةـ
وـتـسـعـينـ سـنـةـ بـصـيـداـ ، وـأـجـمـعـواـ عـلـىـ صـدـقـةـ
وـثـقـتـهـ (٣٧) . وقدـ سـرـدـ الصـومـ وـلـهـ ثـمـانـيـ عـشـرـةـ

وقال «ابن طلوبون الدمشقي» : «وجدت نسخة من كتاب معجم شيخ أبي الحسين محمد ابن أحمد بن جميع الصيداوي ، تغريب أبي محمد خلف بن محمد بن علي الواسطي ، وهو في أربعة أجزاء ، على كل جزء طبقة مذيلية يخط الطالب العاشر ركن الدين أبي محمد المنذري ، والطباق الاربعة مؤرخة بستة خمس ثم ست وثلاثين وستمائة ، بدار الحديث الكاملة بالقاهرة » (٤٢) .

وقد جاء عند «السمعاني» ، ان خلف الواسطي خرج المجم في «خمسة اجزاء حسنة» (٤٣) وقد ظل الشيوخ يحدثون بالمعجم حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، اذ وصلنا ان محمد بن عبدالله البعلبكي العنيلى المتوفى سنة ٨٠٣ هـ . كان يحدث به (٤٤) .

كما ترك ابن جمیع : « معجم تلامیذه او سماعاتهم » ، وهذا لم نعرف اسمه الحقيقي . وهو يتضمن سماعات الخلق الذين سمعوا من ابن جمیع . ويبدو أنه كان يتألف من عدة أجزاء ، وكانت موجودة عند حفیده أبي العسین احمد بن الحسن ، اذ قال عنده ابو محمد النعشی : رأیت سماعه في أجزاء من أجزاء جده ، وكان عنده كتب جده فيها سماع الخلق الذين سمعوا منه . ذکر ذلك « السعیانی » في « الأنسان » .

وفي قائمة آثار أبي الحسين محمد بن جميع يضيف الأستاذ « سرکین » جزءاً بعنوان « حديث » فينسب تصنيفه اليه^(٤٥) . وترجح أنه اعتمد في ذلك على فهرس مخطوطات الحديث المختارة بالطاهريية الذي وضعه محمد ناصر الدين الألباني الذي يعزّزه لأبي الحسين ابن جميع المذكور^(٤٦) . وقد وهم الأستاذان الفاضلان في ذلك ، فالجزء « المختار من حديث ابن جميع » ليس لأبي الحسين محمد المتوفى

سنة الى أن مات . ووثقه الخطيب
البغدادي (٣٨) .

★ ★ ★

أما آثاره فهو :

« معجم الشيوخ » ، وهو يضم أسماء
شيوخه فقط الذين أخذ عن كل واحد منهم
حديثاً واحداً . ويقول الأستاذ « فؤاد سزكين »
ان ما ذكره « جولد تسيهير » من أن هذا المعجم
هو نفسه « مستذابن جميع » ليس بصحيح (٣٩) .
وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة « الكونت
لاندبرغ » بجامعة ليدن في أمستردام بهولندا
محفوظة تحت رقم (٣٧) وتتألف من (٨٧)
ورقة ، كتبت في سنة ٦١٣ هـ :

ويذكر الأستاذ «سزكين» أن هناك نسخة خطية أخرى من هذا المعجم في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة تحت رقم (٣٧٣/١) ضمن مجموعة رقمه (٣٢٦) قسم (٢) تتألف من (١٣) ورقة ، كتبت في سنة ٦٦٧ هـ (٤٠) .

« وأقول » : انتي لم أغير على هذه النسخة رغم تبنقيبي أكثر من مرة في فهرس الحديث الخاص بمكتبة الجامع الأزهر ، ووُجِدَت في الرقم نفسه كتاباً للامام البخاري . وعلى افتراض أن النسخة صحيحة حسب قول الأستاذ « سزكين » ، فإنها لا يمكن أن تكون هي المجم لألها من (١٣) ورقة ، لأن المعجم بين أيدينا من (٨٧) ورقة . وهذا يعني أن النسخة التي يشير إليها « سزكين » هي « بعض » المعجم .

وهناك نسخة فيها « مختارات » أو « منتقى من المجمع » باتفاق « محمد بن سند » مخطوطه محفوظة بدار الكتب الظاهيرية بدمشق تحت رقم (٣) ضمن مجموع (٥٢) في الأدراق (٩٨ ب - ١١٠) (٤١) .

سنة ٤٠٢ بل هو لابنه : العسين بن محمد المعروف بالسكنى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ . وتبين هذه الحقيقة من آخر الجزء ، اذ جاء فيه :

« يقول العسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمدين عبد الرحمن بن يحيى بن جمبع الفساني : اني اخترت هذه الأحاديث التي كتبتها ببسطي وجميع ساعياتي من أبي وجدي، رحهما الله ، ومن جميع شيوخي » .

وهذا الجزء الصغير يوجد ضمن مجموع يحمل رقم (١٧) حديث ، ويستقرن نصف الورقة رقم (٨٢) وكامل الورقة رقم (٨٤) ، وهو معفوظ بدار الكتب الظاهرية ، كتبه : « الخضر بن شبل العارثي » في شهر رجب سنة ٥٠٢ هـ (١٧) .

★ ★ ★

معجم الشيوخ :

تاليف النسخة الخطية الموجودة في جامعة ليدين من (١٧٦) صفحة حسب ترقيتنا للنسخة ، وهي من أربعة أجزاء ، وتحمل الصفحة الأولى : عنوان المجمع ومؤلفه ورواته ، وصورتها :

« كتاب المجمع لشيخ أبي العسين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جمبع الفساني الصيداوي ، رحمة الله ، تخریج العاھف أبي محمد خلف بن محمد الواسطی روایة الطیب أبي نصر العسین بن محمد ابن أھمد بن العسین بن أھمد بن طلاب عنه ، روایة الفقیہ الامام جمال الاسلام أبي العسین علی بن المسلم بن الفتح السلمی عنه ما اخبرنا به عنه القاضی الامام الاجل

■ صورة الصفحة الأولى من نسخة ليدين ■

الفقيه جمال الدين شيخ الاسلام قاضي القضاة أبو القسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الانصاري، أبيه الله سماع صاحبه الفقير الى رحمة الله تعالى أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أحمد المعروف أبوه بالنور المقرئ ، وولديه أبي بكر وسلامان

نفهم الله بالعلم

سماع منه أيضاً محمد بن علي بن محمود المحمودي الصابوني غير مرّة » .

★ ★ ★

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُحَمَّدٌ نَّبِيٌّ حَمَدٌ لَّهُ شَعْلَانٌ بْنُ الْعَبَّاسِ
الْأَشْرَقُ الْمَشْرِقُ

لخدا الاله و ایا هم خدا بر جای بیان آن داشت
الربع سیمین: دادیکل (داندیش) و اندیشه دادیکل
و فیصله زیرینه دادیکل (داندیش) و اندیشه دادیکل
آن استراتژی را که در پس از این مقدمه ایجاد شد
دارد و این ایله ایله عالم را که میتواند از ایله ایله
الصلوکی ایله ایله کجی نماید این ایله ایله
ارسرا بود و این ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله
دلکه هسته ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله
دارای همان ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله
سعیده و لذت بخش ایله ایله ایله ایله ایله ایله
اللهم ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله
درینه دادیکل (داندیش) ایله ایله ایله ایله ایله
شیوه ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله ایله

■ صورة الصفحة الثالثة

الشيخ أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد
ابن طلاب الخطيب قراءة^(٤٩) عليه بدمشق ،
قال : أبناءنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن
محمد بن أحمد بن جميع الفساني الصيداوي
قراءة علينا في داره بصيدا في شهور سنة
أربع وتسعين وثلاثمائة ، قال : هذا ما اشتمل
عليه ذكر شيوخى الذين لقيتهم في سائر الآفاق
، بمكة ، وال العراق ، وفارس ، وأرض اصطخر ،
والشغور ، وديار بكر ، والشام ، ومصر ،
مرتب ذلك على حروف المعجم ، وابتداانا بين
اسمه محمد تبركا بالنبى صلى الله عليه وسلم ،
وعلى آله ، ثم نتبعه بباب الالف ، وان كان

صورة الصفحة الثانية

اما الصفحة الثانية فتعمل افتتاحية
المجمـع بما صورته :
« بسم الله الرحمن الرحيم »
« أخبرنا الشيخ الإمام الأجل القاضي
الفقيه العالم العامل جمال الدين شيخ الإسلام
أبو القسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل
الأنصاري ، أيده الله بطاعته ، قراءة عليه
ونحن نسمع ، قال : أخبرنا الفقيه الإمام
جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المسلم
(بن محمد بن علي)^(١٤) بن الفتح السلمي ،
قراءة عليه وأنا أسمع في ذي القعدة سنة
ثمان وعشرين وخمس مائه ، قال : أتباـنا

فِي الْأَلْفِ مِنْ سُورَةِ الْمَهْدِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَمِعَتْ بِهِ الْمُسْكَنَ

وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا مَلَكٌ

■ صورة الصفحة ٥٤
(بنية الجزء الثاني)

أحمد ومحمد واحداً . وخرج عن كل واحد منهم حديثاً أو حكاية مستحسنة . وآلة أسأل التوفيق لذلك » .

* * *

واعتباراً من الصفحة (٣) يبدأ الجزء الأول من المعجم بـ « محمد بن أحمد بن حماد ابن ثعلب أبو العباس الأثرب المقرئ » الذي أخبره ببغداد . وينتهي الجزء بصفحة (٥١) بما صورته :

« آخر الجزء الأول من الأصل . والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآلته

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .
وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وتحمل الصفحة (٥٢) ثلاثة ساعات ، تواريختها على التوالي :
١ - الأربعاء ثالثي ذي الحجة من سنة احدى
وثمانين وستمائة .

٢ - السبت الثالث والعشرين من جمادى
الأولى سنة سبع وتسعين وستمائة .
٣ - سابع شهر رمضان المظلم سنة احدى
وستعين وستمائة .

أما الصفحة (٥٢) فهي بياض . ويبدأ
الجزء الثاني بصفحة (٥٤) وأوله بعد

امتنانه بـ(ساجداً) افاده دلائله بـ(غافر) سمع
١٩٠ **عبد الملك بن محمد بن عبد**
الله **العاملي** **شاعر** **رسامي**
الله **العاملي** **المربي** **رسامي** **يعمل**
بـ(رسامي) **رسامي** **يعمل** **رسامي**
فـ(السعده) **رسامي** **يعمل**
من **أنتمه** **علي العاقر** وغیره
عبد الغافر **رسامي** **يعمل** **الجميل**
بن عبد العاقر **رسامي** **يعمل**

أنه **رسامي** **يعمل** **رسامي** **يعمل**
رسامي **العاملي** **رسامي** **يعمل** **رسامي** **يعمل**

■ صورة الصفحة ١٣٨
(بداية الجزء الرابع)

البسمة : حرف الالف . من اسمه **أحمد** .
أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم
ابن الاعرابي أبو سعيد » .
وفي الصفحة (٥٥) كتب سماع على
العاشرة اليسرى بعرض الصفحة ، تاريخه :
يوم الأربعاء ثاني ذي الحجة سنة احدي
واثنان وستمائة .
وينتهي الجزء الثاني بصفحة (٩٢)
بمن اسمه : « ثواب بن يزيد بن ثواب أبو
بكر » ، وكتب على حاشية الصفحة : « آخر
الجزء الثاني من أجزاء أبي الحسين ابن
جميع . بلغ في الثاني الأمير أبيك العسامي » .

ويبدأ الجزء الثالث في آخر الصفحة
(٩٣) بعنوان **الجيم** فيمن اسمه **جعفر** .
« جعفر بن ادريس أبو عبدالله » . وينتهي في
منتصف الصفحة (١٣٨) فيمن اسمه :
« عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو القسم » ،
وقد كتب على العاشرة اليمنى من الصفحة
ما صورته : « آخر الجزء الثالث من أجزاء
الشيخ أبي الحسين بن جميع في الأصل . بلغ
قراءة الأمير أبيك » .

ثم يبدأ الجزء الرابع والأخير في الصحف
الثانية من الصفحة (١٣٨) بمن اسمه
عبد الغافر : « عبد الغافر بن سلامة بن احمد

ابن عبد الغفار بن سلامة بن ازهر أبو هاشم الحضرمي العصبي » . وفي آخر الصفحة (١٧١) يذكر من يعرف بالكتني ولم يكتب اسماعهم ، فيبدأهم بآبي بكر الغزال ، وينتهي بابن الربيع في صفحة (١٧٦) وهو آخر شيوخ المعم .

وتحمل العاشرة اليمنى للصفحة ساعا تاريخه : يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وستمائة بجامع دمشق » . -

و جاء في آخر المجم ما صورته :

« في الأصل ساع شيخنا القاضي الفقيه الامام العالم العامل قاضي التقاضة جمال الدين شرف الأئمة أبي القسم عبد الصمد ابن محمد بن أبي الفضل الانصاري ، على شيخه الفقيه الامام جمال الاسلام أبي الحسن علي بن المسلم ابن محمد بن علي بن الفتاح السلمي ، بقراءة الامام العالم العافظ شيخ الاسلام أبي القسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعى ، في ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وخمس مائه . نقله مختصرنا (العبد الفقير الى رحمة الله تعالى) (٤٠) أبو بكر بن محمد بن أبي بكرالمعروف جده بالنور المقرب البلخي ، في اواخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وستمائة . والعمد شر رب العالمين . وصلواته على محمد وآله » .

* * *

سبق أن ذكرنا أن شيوخ المجم الذين ذكرهم ابن جميع وسمع منهم بلفوا (٣٧٢) شيئاً ، وقد سمع منهم : الحديث ، والرقائق ، والشعر . وكانت كمية الحديث هي الأوفر فيما سمعه ، حيث يروي (٣٣٦) حدثاً شريفاً بالسند المتصل . أما الرقائق والحكايات التي سمعها وروها فبلغ عددها (٣٤) ، وببلغت الأشعار التي أوردها (١٨) .

وأهم ما يسترعى الباحث المؤرخ أن ابن جميع يحمل تماماً أي محاومة لتأريخ ساعاته على شيوخه ، وهذا يجعلنا نجهل تماماً مسار رحلته الطويلة التي قطعها من بلد إلى بلد . كما أنه لا يذكر تاريخاً لوفاة أي من شيوخه إلا في مواضع ثلاثة، عندها ذكر « محمد بن المطلب ابن حمزة » (٥١) ، و « الحسين بن اساعيل ابن محمد المعاملى » (٥٢) ، و « الحسين بن سعيد المرهون بابن المطبي » (٥٣) . ويشهد مرة واحدة - ان جاز التعبير - عن منهجهية، فيذكر مولد أحد شيوخه دون الاشارة الى تاريخ وفاته ، وهو « عثمان بن محمد » . هذا ، فضلاً عن أنه لا يترجم لشيوخه مطلقاً . بل انه يكتفي بذلك اسم الشيخ ، ثم يقول : « أخبرنا ، أو حدثنا ، أو حدثني ، أو سمعت ، أو أشدهنا ، أو أنشدنا ، أو أخرجني ، أو قرأ علينا » . ويدرك اسم شيخه ثانية واسم البلد الذي لقيه فيه في معظم الأحيان ، وبعد ذلك الأسانيد ليصل إلى الموضوع .

ونسخة المجم التي بين يدينا كاملة ، واضحة القراءة ، مشكولة ، بخط نسخي ، تضم الصفحة الواحدة (١٧) سطراً ، بمعدل (١١) كلمة في السطر الواحد .

نصوص مقتطفة في الرقائق :

- حدثني محمد بن سهل قال : « كنت بالموصل ، فرأيت رجلاً له مية وثلاثة وعشرون سنة قد لقيه النبي ، قال : قرأت في الانجيل : ابن آدم ، أعطيتك ثلث خصال ، ما لم تستلمي سترت عليك ذنبك فلا يعلم الخلق اني راض عنك ألم غضبان . وأعطيتك دعوة أخيك المؤمن في ظهر النبيب . وزرتك ما لا يدخل به على نفسك في حياتك . فانتقد لك ثلاثة بعدل وأنا أرحم الراحمين . قال : قلت شيئاً

آخر ؟ قال : نعم . الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس ، كل ساعة ألف نفس ومايتي وخمسين نفس » (٥٥) .

— سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز بمكة يقول : « سمعت أبا داود سليمان بن الأشمع بن بشير بن شداد السجستاني بالبصرة وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها جوابا لهم قاتلي علينا : سلام عليكم، فاني احمد اليكم الله الذي لا إله الا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد عبده رسوله ، صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، عافانا الله واياكم وهذه الأربعية آلاف والثمانمائة حديث كلها في الأحكام . فاما احاديث كثيرة من الزهد والفضائل وغيرها من غير هذا فلم اخرجاها . والسلام عليكم ورحمة الله ، وصلى الله على محمد النبي واله » (٥٦) .

— أخبرنا أبو علامة يعني محمد بن مكحول ببيروت ، حدثنا أبو علامة يعني محمد بن عمرو ، حدثنا مكي بن عبد الله الريفي ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن أبي الرويد ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض العيشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجل . قال لنا مكي : قال سفيان : حجل — مشى على رجل واحدة اعظاما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه وقال له : يا حبيبى أنت أشبة الناس بخلقي وخليقى ، وخلفت من الطينة التي خلقت منها ، حدثني بعض عجائب أرض العيشة . قال : نعم يابى أنت وأمي يا رسول الله ، بينما أنا ساير في بعض طرقاتها اذا بعجوز على رأسها مكتل ، فاقبل شاب يركض على فرس له فرحمها ، فالتقاما لوجهها والتي المكتل عن رأسها ،

فاسترجمت قائمة وأتبعته النظر وهي تقول له : الويل لك غدا اذا جلس الملك على كرسيه فاقتصر للمظلوم من الظالم . قال جابر : فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دموعه على لعيته مثل الجماد ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا قدس الله امة لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم غير متتعص » (٥٧) .

— حدثني أحمد بن محمد ، حدثنا محمد بن يوسف البخاري قال : « كنت عند محمد بن اساعيل البخاري يمنزله ذات ليلة ، فاحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثانية عشرة مرّة » (٥٨) .

— سمعت أبا عبد الله العسini بالبصرة يقول : سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول : سمعت السري بن مفلس السقطي يقول : خرجت من الرملة الى بيت المقدس ، فمررت بمشرقة وغدرير ماء مطر وعشب نابت فجبلت أكل من العشيش وأشرب من الماء . قال . فقلت : يا نفس ان كنت أكلت أكلة حلال او شربت شربة حلال قط ، فالليوم . قال : فإذا بهاتف يهتف بي : يا سري فالنفقة التي بلغتك بك الى ها هنا من أين ؟ » (٥٩) .

— حدثنا بشير بن عبدون ، حدثنا ثعلب ، حدثنا الزبير بن يكار قال : لما قدمت الى الرشيد لأحدث أولاده بالأخبار التي صنفتها (٦٠) ، أجعل المتصنم في القصر فشعر ، فكادت اباهه تتقطع ، فقام وهو يقول :

يموت الفتى من عشرة بساته ، وليس يموت المرء من عشرة الرجل

فعشرته من فيه ترمي برأسه وعشترته بالرجل تبرأ على مهل (٦١)

— حدثنا عبد الله بن محمد بصيدا ، حدثني أخي معاذ بن محمد عن أبي محمد بن حمزة أن جده سليمان بن أبي كريمة نظر

نصوص منتخبة من الشعر :

- أنشدنا أبو بكر الصولي لنفسه :
أطلت بالهجر سقمي
لما جعلتك همي

أسات في كل قول
وجرت في كل حكم
ان كان حبك جرمي
فقد وقعت بعزمي

اما ترى فعل لعظي
فيما جناه برغمي
رأى بظرفك سقما
فقال هبه لجسمي
فصرت شبهاك يعكسي
سقام عينيك سقمي^(٦٢)

- أنشدني أبو بكر الصنوبري بحلب :
تزايد ما القسى فقد جاوز العدا
وكان الهوى مزحا فصار الهوى جدا
وقد كنت جلدا ثم أوهنتي الهوى
وهذا الهوى ما زال يستوهن الجلدا
ولا تعجبني من ضعف غلبك قوتي
فكم من قباء في الهوى غلت اسدا
غلبتهم على قلبي فصرتهم أحق بي
وأملك بي مني فصرت لكم عبدا

جري جبكم معري حياتي فقدكم
كفقد حياتي لا رأيت لكم فقدا^(٦٣)
- أنشدني أحمد بن محمد قال : أنشدني
أبي لبعض الحكماء :

عرست جهلا على الدنيا يتعرسي
حتى لقد صرت في حال المفاليس

عموداً أو حبرا عليه مكتوب كتابا ، فلم يحسن
يقرأه ، فتعلم بعد ذلك قراءة اليونانية ،
فقرأه ، فإذا عليه مكتوب : بني^(٦٤) صيدا
صيدون بن سام بن نوح ، وهي رابع مدينة
بنيت بعد الطوفان «^(٦٥) » .

- « سمعت علي بن محمد يقول : سمعت
الغليدي يقول : اذا رأيت الغلام يقول : أنا
تلמיד فلان ، فلان أفضل منه ، وإذا رأيت
الشيخ يقول : فلان تلميذ ، فلان أفضل
من الشيخ »^(٦٦) .

- « حدثنا أبو بكر ، حدثنا أحمد بن
فضلان قال : قال علي بن يحيى الارمني :
غزونا من طرسوس ففتحنا حصنا بحذاء
عمورية ، فدخلنا بيته لهم ، فإذا مكتوب على
بابها بالذهب : واحد من السلف خير من ألف
من الخلف »^(٦٧) .

- « حدثني أبو سعيد الأذناني قال :
مكتوب على حاشية التوراة^(٦٨) :
اثنان وعشرون^(٦٩) حرفا يجتمع^(٧٠) اليها
علماء ينادي إسرائيل يقرؤونها كل يوم ،
أولها : لا كنز أفعى من العلم . ولا مال أربع
من العلم . ولا حسب أرفع من الأدب .
ولا نسب أوضع من النسب . ولا قدر أزيد
من المقل . ولا قرين أشين من الجبل . ولا
شرف أكبر من التقوى . ولا كرم أجود من
ترك الشهورات . ولا عقل أفضل من التفكير .
ولا حسنة أعلى^(٧١) من الصبر . ولا سيئة
أسوأ من الفقر . ولا دواء ألين من الرفق .
ولا داء أوجع من العزن . ولا دليل أوضح
من الصدق . ولا غنى^(٧٢) أسمى من الحق .
ولا فقر أذل من الطمع . ولا عبادة أحسن من
الخشوع . ولا زهد أخير من القنوع . ولا
حياة أطيب من الصحة . ولا حارس أحسر من
الصمت . ولا معيشة أهان من العافية . ولا
غائب أقرب من الموت »^(٧٣) .

أطمعت نفسى فيما لا يصح لها
 تعصى وتسكن في أعلى الفراديس
 حتى متى لا أكن بِرًا ولا ورعاً
 أعيش في هذه الدنيا بتسليس
 فمن يراني يقول هذا أخو ورع
 وليس يلدي بما أوعيت في الكيس
 وقد وعشت صحفى ما لو بها علموا
 لم يلدن مني ولم يرضوا بقديس
 ول لي لسانى إذا استنطقته سارى
 وراءه في هوى رأى أبليس^(٧٤)
 – أنشدنا ابراهيم بن سمعان بالبصرة قال :
 أنشدنا الفضل بن العباب في الأيام التي
 تسميتها العرب « أيام المجزز » لبعض
 الشعراء :
 كُسِّي الشتاء بسبعة غُبْر
 أيام شهلتا من الدهر
 فإذا انقضت أيام شهلتا
 بالصين والصينبر والوَبر
 وبأمر وأخيه مؤتمر
 ومعلم وبمطفيه العمر
 ول لي شتاوك ذاهبا هربا
 واتتك وافلة من النجر^(٧٥)

★ ★ ★

* ربما كان الأصل : حتى متى لست لا بِرًا ولا ورعاً .
 (المجلة)

المصادر والعواishi

- ١٣ - تاريخ دمشق - ج ٣٧/٢٩ .
- ١٤ - تاريخ دمشق - ج ١٦٧/١١ .
- ١٥ - الأنساب ٣٥٨ ب .
- ١٦ - المصدر نفسه .
- ١٧ - المتتبّع من معجم ابن جمیع ، مخطوط بالقاهرة ، رقم ٥٢ حدیث ، ص ١٩٩ ، الأنساب ٣٥٨ ب ، تاريخ دمشق ٢٨٨/١١ .
- ١٨ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ١٦٥/٦ .
- ١٩ - تاريخ بغداد ٣٥٤/١ ، تاريخ دمشق ٤٢٠/٣ .
- ٢٠ - المتنظم ١٠٨/٨ ، تاريخ دمشق ٣٨/٣٧ .
- ٢١ - تاريخ دمشق ٦٠٢/١٩ ، التهذيب ٢٧/٧ .
- ٢٢ - تاريخ دمشق ٣٥٣/٢٢ .
- ٢٣ - تاريخ بغداد ٢٣٣/٣ .
- ٢٤ - تاريخ دمشق ١٠٦/٣ .
- ٢٥ - تاريخ دمشق ٣٤٢/٣ ، التهذيب ٥٩/٢ ب .
- ٢٦ - الاتصال - ابن ماكولا ٢١٥/٧ ، الأنساب ٥١٥ ب .
- ٢٧ - موضع اوهام الجمع والتفرق - الخطيب البغدادي ٤١٨/١ .
- ٢٨ - موضع اوهام الجمع ٤١٨/١ ، تاريخ بغداد ٣٠٦/١ ، تاريخ دمشق ٤١٩/٣ .
- ٢٩ - معجم البلدان ٤٣٧/٣ .
- ٣٠ - تاريخ دمشق ٤٤٢/١٦ ، طبقات المفسرين - الداودي ٢٠٣/١ .
- ٣١ - تاريخ دمشق ٥١٤/٣٠ ، معجم البلدان ٤٩٠/٢ .
- ٣٢ - تاريخ دمشق ٣٥٣/٤ .
- ٣٣ - تاريخ دمشق ١١٥/٣٦ .
- ٣٤ - الأنساب ٣٥٨ ب .
- ٣٥ - معجم شیوخ ابن جمیع ١٩٩ ، الأنساب ٣٥٨ ب ، تاريخ دمشق ٢٨٨/١١ .
- ٣٦ - الأنساب ٣٥٨ ب .
- ٣٧ - مروء الزمان - سبط ابن الجوزي - ج ١١ ق ٢ ، ٢٤٠/٢ .
- ٣٨ - العبر في خبر من غيره ٨٠/٣ ، الواي بالوليات ٦٠/٢ ، التجوم ٢٢١/٤ ، شدّرات ١٦٤/٣ .
- ٣٩ - تاريخ التراث العربي - لؤاد سركمن - ج ١/٥٦٢ .
- فهرست مخطوطات بالقاهرة ٢ رقم ٨٠٨ .
- ١ - انظر ترجمت في : بقية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديي - مصورة مهد المخطوطات بالقاهرة ، رقم ٩٢٩ .
- ٢ - تاریخ - ج ٢٤٧/٥ ، تسمیة رجال البخاري ومسلم الداودي - نسخة مخطوطة بالخط البریطانی ، رقم ٣٥٧ - المجموعة الشرفية - من ٤٧ ب ، الأنساب - السعماني - طبعة حیدر آباد ١٩٦٢ - ج ٣٠/١ ، الأنساب المثلثة - ابن القبراني - تحقيق دی خوبه - من ١١ ، تاريخ دمشق - ابن عساکر - نسخة خطبة باللغة الیتيموریة ، رقم ١٤٤١ تاريخ - ج ٦٤٢/١٠ ، تاريخ الاسلام - العالق الذهبي - مصور بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٩٦ تاریخ - ج ٩٠/٢٠ ، سیر اعلام البلا - الذهبي - مصور بدار الكتب المصرية ، رقم ١٢٩٥ تاريخ - ج ٨ ق ٢ ، ٢٤٤/٢ ، وغيره .
- ٣ - انظر ترجمت في : الأنساب - السعماني - (النسخة المصورة) - ص ٢٨٦ ، الواي بالوقایات - الصنفی - ج ١٨١/٨ ، التجسوم الزاهرا - ابن تقری بردي - ج ٤٨/٥ ، تاريخ الاسلام - ج ٦٧/٢٣ ، ذخائر التصری في تراجم نبلاء مصر - ابن طولون المستشی - مخطوط باللغة الیتيموریة ، رقم ١٤٤٢ تاريخ ، من ٣٨ ب ، المتنظم في تاريخ الملوك والأهمابین الجوزی - ج ١٤٥/٨ ، تاريخ دمشق - ابن عساکر - ج ٣٨/٦٥٦٦٥١ ، وغيره .
- ٤ - انظر ترجمت في : تاريخ دمشق - ج ١٢٧/٢٣ - ٢٠٨ - .
- ٥ - صدر عن دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠ بعنوان : « من حديث خیثة بن سليمان الترشی الاطربالیسی » ويشتمل على تحقیق : « الکواکد ، فضائل الصحابة ، فضائل ابی بکر الصدیق ، الرفاقات والحكایات » .
- ٦ - تهذیب تاريخ دمشق ٤٤٢/١ .
- ٧ - تاريخ دمشق - ج ٣١٧/١٨ .
- ٨ - معرفة القراء الکبار - الذهبي - ج ٢٣٣/١ .
- ٩ - تهذیب تاريخ دمشق - ج ٤٤١/١ .
- ١٠ - معجم البلدان - ج ١٢٩/٢ .
- ١١ - تاريخ دمشق - ج ٣١٧/١٨ ، معجم البلدان - ج ١٢٩/٢ .
- ١٢ - الأنساب - ص ٣٥٨ ب .

- ٤٠- تاريخ التراث ٥٤٢/١
- ٤١- فهرس مخطوطات الحديث بالظاهرية - الإلبااني ٣٧ ،
٤٢- تاريخ التراث ٥٤٢/١
- ٤٣- ذخائر القصر - ابن طولون - من ١٢ ب .
- ٤٤- شلالات الذهب ٣٦/٧
- ٤٥- تاريخ التراث ٥٤٢/١
- ٤٦- فهرس مخطوطات الحديث ٣٦
- ٤٧- نشرنا هذا الجزء، في مجلة «الفكر الإسلامي» - بيروت -
العدد - الناتس - السنة الثامنة ١٩٧٩ ص ٢٤ - ٢٩ .
- ٤٨- ما بين القوسين كتب في العاشية .
- ٤٩- كتبت هذه الكلمة مرتين وشطبت الأولى .
- ٥٠- ما بين القوسين كتب في العاشية .
- ٥١- معجم الشيخ - ص ٤٦
- ٥٢- المعجم ١٠٣
- ٥٣- المعجم ١٠٧
- ٥٤- المعجم ١٠٤
- ٥٥- المعجم ٣٠ و ٣١
- ٥٦- المعجم ٣٩
- ٥٧- المعجم ٦٠ و ٦١
- ٥٨- المعجم ٦٥
- ٥٩- المعجم ٧١
- ٦٠- الأخبار الموقفيات - سازير بن بكار - تحقيق د. سامي مكي
العاني - طبعة ديوان الأوقاف ببغداد .
- ٦١- المعجم ٩٢
- ٦٢- في الأصل «بنسا» .
- ٦٣- المعجم ١٣٣
- ٦٤- المعجم ١٩٩
- ٦٥- المعجم ١٧٢
- ٦٦- في الأصل «التوربة» .
- ٦٧- في الأصل «الذئن وعشرين» .
- ٦٨- في الأصل «يجمعون» .
- ٦٩- في الأصل «أسلا» .
- ٧٠- في الأصل «غنا» .
- ٧١- المعجم ١٧ و ١٧٤
- ٧٢- المعجم ٥١
- ٧٣- المعجم ٦٦
- ٧٤- المعجم ٦٧
- ٧٥- المعجم ٨٧ و ٨٨
- ٧٦- المعجم ١١٦
- ٧٧- المعجم ١٣٥
- ٧٨- المعجم ١٧٥

٥٠ عمر تدمري



قصيدة

لَرَةِ عَمَرَ رَبِّ الْخَطَابِ

نذير الحسائي

هل يمناك جملة لاعتداري ؟ في سكوني وذرني وفي اعصاري
 يا شراع الرجاء ، يا ابن أبي الغضاب ، أدعوك غارقا في خماري
 صحوتي في شوار سوطك فالسع
 سكراتي ولا تدع قيشاري
 ويميني على الدجي ويساري
 أدمني ٠٠ ادم جبهتي وشفاهي
 في دروب المتنى خطأ تسياري
 بتأليفك داريأ غير داري ؟
 صب لي من لفظاك صبا وذكرا
 واغسل لو استطعت شناري
 لا توفر دمي بدرتك الشماء
 رونني من شوافلها كدت أنسى
 فلمئي في دناستي للشرار
 واذا شئت يا أميري فاسلاخ
 نني فجلدي عليه وشم اساري
 يا أبا الدرة المعيدة رحماك انلنی خبزي بها وعقاري !
 أين الهو بها يروض فعشائري ويعززي سوئي ويرمي اغتراري ؟
 كم أهابت بمستذل على الضنك وأذكت في الليل نخوة ساري
 واقامت بعدها صعر الغدمان الاكرمين والبعمار
 اتراها تردني في ليالي الى حلم طهرها المتواري ؟
 آه لو ذقت من يمينك حمّاهاما وفمضت على الفصحي اخباري



يا جناح السمو يا كعبة الطهر أنا ديك في صفاري وعاري
 دنسني آخني .. تفاوى به نابى وطالت في جنعته ألغفارى !!
 دنسني يا أمير يصبغ ثوبى ويعلق تاجى ويضفر غارى !
 ويريق الرؤى بمقلة ليلي ويصب الهوى بكأس نهاري
 أترى لو رأيت رقصى وشدوى فيما كنت راجمى بعجارت !!
 أو لوانى في طيلسانى ترانى عاريا كنت ساترى بالقار !!
 دنسني في نداء يضحك مصباحى وفي برقة تزغرد دارى !!
 أقصفى اليه يصهل في شوطى ويجري في حلبتي كالضارى ؟
 عفنى يا أمير أقتات منه وأغتنى بنفسه أزهارى
 أنا دودى وعنكبوتى وبومى وحصادى مع الدجى وثمارى !

★ ★ ★

عفو محرابك العظور وعفو الطيب ان جئت بالقنى في ازارى
 أستعنى ان يداف باسمك رجس من جراحى ومن موادن نارى !
 أستعنى منك يا أمير الطهارات وصرحي عش الغنا وجدارى !
 أستعنى .. لو ، لدبى ، بعض حيانى ان أنا جى ذكراك في أوزارى
 كيف لي ان أمس قدس ليماليك بكاس على الدنيا مدار ؟
 كيف لي ان أجس طهر معانيك بلطفى وآهتى وادكاري ؟
 يا أبا المؤمنين استغفر الطهر أيرضيك ان ترى استغفارى ؟
 أنا أخشى اذا وطئت مصلاك برجسي على ذكى الفبار
 كيف أرشكوك يا أمير المرءات بأذران توبتى واعتزازى ؟
 يا أبا المتقين هل عطشت ذكراك يوما الى دموعي الجوارى ؟
 أفالسيك ؟! لو تشل يد الساقى بجرح الضحية النثار
 اي دمع مضمخ بالعطايا في دجى أكتوسى وملاء جرارى ؟
 اي دمع مضصب بدم العهر صبيب بغلمتى وسعاري ؟

أنا المثغن المفتر بالاثم أصلبي وقد خلعت عذاري ؟!
 أنا غني على هواك بموسي وانا قادح بنارك ثاري ؟
 يا أميري أنا قلتاك بالعب ٠٠ بسکین معتد غدار !
 أنا أغمنت نصلها في حنائك لتلقى شهادة الأبرار !!
 أنا أوردتاك الردى لأحلسي
 بالدم الظهر خنجرى ودشاري !
 لم تزل في أصابع الكف مني
 أتغنى من التقى بشعار
 أنا ملعون فعلتي وشماري
 يا أميري بارك على مسوحأ
 أنا في خزيهن كاس عاري !
 أو فمزق فديت كفك بالدرة بربى وبرقعي وخماري

* * *

يا أمير القسطاس يا سيدالسرة كلني لليلى الفرار
 يا صديق الأحرار حرر هوى الناس ودع لي في غيتى اوطاري
 لا تتكلف لسانى الجهر بالعق ففي غيره عرفت جهاري !
 لا تتكلف عينيك رؤية دنيا ولا ذبحتنى باحتقاري
 أنا في باطل العيادة وزور الناس والعيش بائع او شاري

* * *

يا أمير التقى ٠٠ وأين يد الطوفان توبى بجنتي ونضارى ؟
 ثم تلتف بي وتهتك سمارى وتطوى أخرى وتأخذ جاري
 وتذررى حطام عيشي بدنيا دين طبلي فيها ماج الزمار !

نذير العسامي

١٩٧٥/٥

* * *

عباءة الفاروق

سلة العكم من لها كفاتها في قريش وجملة خلق الباري ؟
من كمزجي الزحوف في طاعة العق وفى نشر راية الأحرار ؟
كل قول يرفضه عن (يوم بدر) كل فعل ينفض عن (ذى قار)
كбриاء الإيمان تزار في عينيه : ويل للخانع الغوار ٠٠
واباء الرجال في شفتيه قائل للكبار : يا للصفار !
قام يرغمي في وجهه مستبعد الناس والوى بهامة العبار
لم ينهنهه صولجان الطواغيت وفي لطم أهله لم يدار
وتربى عباءة كاديم البيدلس تكس بالعلى والنضار
طرزت بالرمال تفترش الأرض فهزت عري الفلا والصحاري
عفرت عندها جياه التماريد وجذت مغالب الأقدار
الف شمس تبلغت من ثياتها استضاءت بها النجوم الدراري
درج الصبح في حماها فكانت في حمى الليل حلقة الشوار

* * *

وأقام الفاروق من بلسم العب على مثخن العراح مجبار
والتقى الناس عنده لم يفرق بين خصم في بابه وحواري
واستقام الميزان في قبضتيه قبلة المؤمنين والكافار !

ندير العسامي

١٩٧٥/٥

* * *

أنباء سينوية

- اسهام ابن سينا في علم التشريح د. يونيسيكوفيماي و داكمه كدور الاكاديمي يوحين بودا والاستاذ يوان مارزا
- ابن سينا في بعض مكتبات ترنسلافانيا
- جائزة ابن سينا الدولية ومهرجانات ذكراء الالفية د. نسيب نساوي
- ندوة برلين الشرقية ١٩٨٠ م د. غانم هنا
- المؤتمر السادس عشر لتاريخ العلوم - بخارست ١٩٨١ م د. نسيب نساوي
- مقالات نشرت عن ابن سينا

أنباء تراثية

- كتاب «الظواهر المسرحية عند العرب - تاليف علي عقلة عرسان» ١٩٨١ م د. عبدالعزيز البالي
- احياء التراث و دراسته
- الجزائرية - الموصليه على بابا عصر
- المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة المربية الاسلامية بدمشق ١٩٨١ م ابو فراس الصاعدي

السهام ابن سينا

التي انكHoward يونيسكو ميهاي استاذ علم التشريح بكلية الطب في جامعة كرايوفا (رومانيا) بعثنا في مؤتمر تاریخ العلوم الذي عقد في بخارست الصيف الفائت عن اسهام ابن سينا في علم التشريح الانسانى . وقد تعاون هو والدكتور اکثم قدور خريج كلية الطب في جامعة كرايوفا في وضع نصه العربي . كما انتقى الاكاديمي يونيسكو ميهاي بودا والاستاذ سوان مارزا بعثنا عن كتب ابن سينا في مكتبات ترنسلافانيا القديمة ، وذلك في مجلة الحروف المتعددة التي القيت في المؤتمر احتفالاً بالذكرى الالفية لولادة الشیخ الرئيس . ونحن نثبت بذلك الباحثين املئين ان تناح الفرصة لترجمة بعض اخرى في هذا المجال دغبة في اطلاع القاريء ، العربى على اعمال العلماء ، المستشرقين وجوابات بعوئهم .

في علم التشريح الانسانى ابیان العصور الوسطى

والدكتور اکثم قدور
خريج كلية الطب في جامعة
كرايوفا

الدكتور يونيسكو ميهاي*
استاذ علم التشريح بكلية الطب
في جامعة كرايوفا (رومانيا)

نشأت جامعة كرايوفا عام ۱۹۶۵ م ، لكن كلية الطب فتحت أبوابها عام ۱۹۷۰ م ، وهي تعد سادسة الكليات وأحدثتها في جمهورية رومانيا الاشتراكية .

في هذه الكلية يدرس كثيرون من الطلاب الأجانب ، وخاصة الطلبة السوريين . ان كلية الطب في كرايوفا أحدثت تطوراً كبيراً اذبدلاً من القدم والتقاليد المتعارف عليهما في التعليم الجامعي أقدم بعض أساتذتها على انشاء أول متحف لتاريخ الطب والصيدلة في رومانيا .

في مكتبة هذا المتحف نسخة مطبوعة في اللغة اللاتينية ، ولكن بعرف قومية لكتاب « القانون في الطب » لابن سينا طبعها « هيروكولاتوس ايوانيس » في البندقية عام ۱۵۱۲ م ، ورقها من قطع الشمن ، كما يوجد نسخة مترجمة في اللغة اللاتينية للقانون في الطب طبعها « اندریاس الباجو » في مدينة بال بسويسرا عام ۱۵۰۶ م ورقها من القطع الأعظم . ان

* البروفسور يونيسكو ميهاي استاذ علم التشريح بكلية الطب في جامعة كرايوفا ، ومؤسس علم الاشكال الطبيعية والمرضية في هذه الجامعة ، وعضو جمعية العلوم الطبية في رومانيا والجمعية المكسيكية للتشريح ، وممثل المجلس العالمي للجيش في التعليم الطبي ، وعضو الجمعية العالمية لتأريخ الطب .

هاتين النسختين أهديتا لها المصحف من قبل السيدة الدكتورة « فيوريكا غوموبو » أقدم عضو في الجمعية العالمية لتأريخ الطب (S. I. H. M.) وهي حرم الاستاذ « فيكتور غوموبو » الذي أسس عام ١٩٢٩ م أول جمعية رومانية لتأريخ الطب ، وأصبح رئيسا لها عام ١٩٣٦ م ، ثم أصبح رئيس شرف للجمعية العالمية لتأريخ الطب . وما ان حل عام ١٩٣٧ م حتى نشر كتابا باللغة الرومانية حول الطبيب ابن سينا ، تحدث فيه عن أعماله، وشخصيته الفذة ، فافسح بذلك للشعب الروماني أن يتعرف على الطبيب والمفكر العربي في المصادر الوسطى .

وشهادة مكتبات في رومانيا تعوي على نسخ مطبوعة لأعمال ابن سينا كمكتبة « باتهينيوم » في مدينة « البايلوليا » ، والمكتبة المركزية الجامعية في مدينة « كلوج - نابوكا » ، ويعود تاريخهما إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر في البندقية .

ونشر المؤرخ الروماني الدكتور « جورجي براتيسكو » ، وكان يشغل منصب رئيس الجمعية الرومانية لتأريخ الطب ، ملخصا مترجما من اللغة اللاتينية إلى اللغة الرومانية عام ١٩٦٢ م لكتاب « القانون في الطب » ، كما نشر ملحقا عن قيمة هذا الكتاب وتاثيره في تطور الطب .

ان جميع هذه المراجع والمساكن التي سبق ذكرها ساعدتنا أن نعرض - ونحسن اختصاصيان في علم التشريح ومؤرخان في الطب - لما حوى كتاب « القانون » من التشريح ، ولما جمع من المعارف المتوافرة بهذا المجال في عصره ذاك ، وأن نبين ما هي مشاركة ابن سينا الأصلية القيمة حتى يؤمنناها ، على الرغم من أن فريقا من أتى بعده قد ظاهروا بأن هذا العلم من أعمالهم وكشوفهم ، ولكن التاريخ أثبت العكس .

يقول ابن سينا في مقدمة كتابه « القانون في الطب » : إن بعضنا من أصحابه ومن زملائه العوا عليه أن يؤلف في الطب كتابا ، فصنف كتابا مشتملا على قوانين الطب الكلية والجزئية في خمسة كتب ، فتتحدث في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب النظري والمعلمي ، ثم تكلم على أحكام قوى الأدوية المفردة ثم في جزئياتها ، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة ببعضها عضو ، فابتداً أولاً بتشريح ذلك العضو وبين منافعه ، كما ركز بادعى ذي بدء أن معرفة العظام هو أساس التشريح وبه تبدأ دراسة الطب .

ففي الكتاب الأول عالج ابن سينا المزاج (أمزجة الأعضاء ، الأسنان ، الأجناس) ، ثم في الخلط ، ثم في ماهية العضو .

فتتحدث في الجملة الأولى عن العظام ، والتفاصيل في ثلاثة فصلا : فبدأ في تشريح القحف وما دون القحف من الرأس ، وعظام الفكين ، والأنف ، والأسنان ، والفقارات (الرقبية ، الظهرية ، القطنية ، العجزية ، والمعصمية) ، الأضلاع ، القص ، الترقوة ، الكتف ، المعضد ، الساعد ، مفصل المرفق ، الرسغ ، مشط الكتف ، الأصابع ، عظام العانة ، الفخذ ، الساق ، مفصل الركبة ، القدم .

وفي الجملة الثانية تحدث عن المضل في ثلاثة فصلاً . ففي الفصل الأول تحدث عن العصب ، والمضل ، والوتر ، والرباط . وفي الفصول المتالية تحدث عن تشريح عضلات : الوجه ، الجبهة ، المقلة ، الجفن ، الخد ، الشفة ، الأنف ، الفك الأسفل ، الرأس ، العينية ، العاقوم ، عضل العظم اللامي ، اللسان ، العنق والرقبة ، الصدر ، عضل حركة العضد ، عضل حركة الساعد ، عضل حركة الرسغ ، عضل حركة الأصابع ، عضل حركة الصلب ، عضل البطن ، عضل الأنثيين ، عضل المثانة ، عضل الذكر ، عضل المقعدة ، عضل حركة الفخذ ، عضل حركة الساق والركبة ، عضل مفصل القدم ، عضل أصابع القدم .

أما في الجملة الثالثة فتحدث عن العصب في ستة فصول ، فشرح أعصاب الدماغ وسائلها ، وأعصاب النخاع الشوكي (الرقبية ، الظهرية ، القطنية ، العجزية ، المصممية) .

وأما في الجملة الرابعة والخامسة فتحدث عن الشريان والأوردة . فتكلمت على تشريح الشريان الوريدي (ويعني في ذلك الأوردة الرئوية) ، والشريان الصاعد (أي الورتين) ، والشريانين السباتيين ، والشريان النازل ، ووريد الباب ، والأجوف السفلي والعلوي ، وتشريح أوردة اليدين .

أما في الكتاب الثالث فتحدث عن أمراض الجسم ، فتكلمت في كل عضو على حدة ، ببدأ بتشريحه ، ثم عدد أعراضه ، ومعالجته ، فتحدث في تشريح الدماغ ، والعين ، والأذن ، الأنف ، الفم ، اللسان ، أعضاء الحلق ، العينية ، القصبة ، الرئة ، القلب ، الشדי ، المري ، المدة ، الكبد ، المراة والطحال ، الأمعاء ، الكلية ، الرحم ، المثانة ، الأنثيين ، أوعية المنى .

ويمحى أننا لن نخوض في غمار هذا الموضوع كثيراً ، ولكن نستطيع أن نقدر قيمة ابن سينا وخاصة في الأسلوب العلمي التشريري الذي قدمه للبشرية فيما يخص « علم التشريح » ، منذ ألف عام ، وهو الآن المعتمد في أكثر الجامعات لعمورنا هذا .

إن ابن سينا بمعرفته وتطورها وبروحه الملهمة استطاع أن يجمع في عمل رزين وحكيم المعرف الموجودة عن علم التشريح في ذلك الوقت ، وبالخصوص الآتية من العلماء علماء اليونان ولا سيما العالم « جالينوس » ومن مدارس الإسكندرية ولا سيما ايرازسترات وهيروفيل . ومن قدامي اليونان . وأهمهم « أرسطو طاليس » ، ومن قدامي الهندوس .

إن ابن سينا لم يتطرق إلى ذكر مراجعه عندما كتب في « علم التشريح » ، ولكننا نعن المؤرخين نستطيع أن نستنتج أنه جمع كل المعارف والعلوم التشريحية المتوافرة في عصره ، كما أنه لم يتطرق إلى التشريح التخييمي أو الاستنتاجي وهو ما اعتمد عليه قدامي المصريين والصينيين في مجرد تأملهم تكوين الجسم الإنساني في إطار تأملهم للكون (فطالوا مثلاً : إن السنة مؤلفة من ٣٦٠ يوماً، فجسم الإنسان مؤلف من ٣٦٠ عظاماً وهذا ... الخ .) .

AVICENNAE MEDI-
corum Arabum principis, Li-
ber Canonis.

**DE MEDICINIS CORDIALIBVS
ET CANTICA**

SAM OLIM QVIDENT ~~FERARDO CARDINALE~~
et Andrico Ferrarese in Litteram consenserunt.

POLYPSIS ALPAGO *Stomach*, *posterior* to *anterior*, indicate great
difference in colouration. *Posterior* being *greyish* in *dark* specimens.

Nous autres lisons à l'apothéose de *L'Amour*, philosophe et modeste amateur des sciences, et nous nous étonnons que l'autre soit aussi stupide. Que ces catalogues de la mort et de la vie, fassent quoi bon appeler résumé, ou qu'il puisse être aussi dépourvu de bêtise que l'ensemble de l'œuvre de l'auteur. Le lecteur qui a suivi ces entremises forcément se demande comment une telle compilation peut en effet appartenir au fil de l'écriture romanesque. Pour ce faire, il faut lire *Le Livre des morts*, d'abord. Dès lors, l'œuvre devient tout à fait intelligible. C'est un roman à deux voix, deux voix qui sont celles de l'Amour et de l'Amour mort. L'Amour mort nous offre l'interprétation de l'Amour vivant, mais toutes deux sont en effet liées. L'Amour mort nous offre l'interprétation de l'Amour vivant, mais toutes deux sont en effet liées.

RIS ACCESERUNT.
Anterior Modus de Recuperanda nocturna, que se daban la regla
mismo lunes : Existente cristiandad de extremo acceso.

Cum Indice versus ac carbonare novum di-
versum esse.



485.533

BASILEE PER 100N

الصورة الثانية: القانون في الطب لابن سينا ، مطبوع في مدينة (بال بازيل) عام ١٥٥٦ باللغة الالمانية من قبل المستعرب اندریاس الباجو . نسخة محفوظة في متحف تاریخ الطب والصيدلة في كرايوپلا - برومانيا .

ان تفكير ابن سينا وصل الى قمة عالية في الفلسفة والتفكير التجريدي العبقري ، ولتكن في كتابته عن « علم التشريح » كان واقعيا ، وهذا مما أدى الى صحة ما كتبه طوال مئات السنين .

ولم تستقص معلومات اين سينا وفنسا ثله في «علم التشريع» بعدايرها ، ولكن من خلال ما وصلنا تستقيم أن نشير الى بعض هذه المضائل بعلم التشريع المكتشفة آنذاك .

لقد حان الوقت أن نضع النقاط على الحروف ، وهي أنه عند نشوء الجامعات

472465/7315

**Joannis Merculanis expositio in primam
Sen quarti canonis Altenensem.**

الصورة الأولى : كتاب القانون في الطب لابن سينا باللغة
اللاتينية مطبوع عام ١٥١٢ م من قبل ايلونيس هيركولانوس ،
نسخة محفوظة في متحف تاريخ الطب والصيدلة في كرايوفا -
بروغرانيا .

والمدارس الطبية الأوروبية في نهاية المصور الوسطى ، أي في بداية القرن الثاني عشر وخلال القرون التالية ، كانت اللغة العربية تحتل مكاناً مرموقاً إلى جانب اللغتين اللاتينية واليونانية ، ثم يعدهما المبرية . إن أول ترجمة لأعمال ابن سينا بدأت في القرن ١٢ م إلى اللغة اللاتينية ، ولكن طباعتها أضافت إليها وخاصة في القرن السادس عشر ، التيار الأوروبي المناوئ للعرب ، وقد اشتد في عصر النهضة ، فانكروا فضل العرب في الطب وفي بقية العلوم ، ونسبوا جميع العلوم والكشف ظلماً إلى أنفسهم .

ولكن دعونا نرجع إلى الوراء أنت عام وتلقي ابن سينا . كان ابن سينا عالماً نابضاً في « علم التشريح » إلى جانب المجالات المتعددة ، وقد أضفى هذا العلم ، وأضاف إليه إضافات متعددة . لقد درس ما جاء به « جاليتوس » في علم التشريح ، لكنه أضاف ، وعلق ، وكشف بعضاً من المعلومات والحقائق مما كان له الأثر الكبير في عصر النهضة الأوروبية .

وها نحن أولاء نقدم بعض الكشوف التي سبق إليها ابن سينا ، والتي لم نجد لها عند معاصريه ، أو عند من آتى بعده بعده قرون ، والتي لم تزل قيمة حتى الآن ، وقليل من الناس يعرفون أنها لابن سينا . فقد شبه الدرز بين عظام الرأس بالسم ، وهو ما نسميه الدرizin السهمي والدرizin الأكليلي بحرف (C) المسطوح ، أو شكل قوس على حد تعبير ابن سينا ، كما شبه الدرizin اللامي بحرف (V) اليوناني المقوس^(١) .

وقد تحدث عن العضلات الست المعركة للدين ، وعن العضلة الرافعة للجفن العلوي ، كما خصص أن الفك العلوي هو الثابت ، والفك السفلي هو المتحرك ، وقد عرف معصرة المائة ، كما نوه عن زوجين في عضلات الخصية في الوقت الذي أكد « جاليتوس » عن وجود زوج واحد . وقال إن طبقة الصفن الليفيّة (المقبول) هي عضلة خاصة بالخصية ، كما ميز الأربطة من الأعصاب وسماها الأوتار ، وكما عرف القناة التي تنقل الدمع إلى الأنف ، ووصف حركات تقلص العدقة واسترخائهما .

لنخصل ما قيل حتى الآن :

نستطيع أن نؤكد أن ابن سينا قد وضع « علم التشريح » في المكان المرموق ، وهو أنه بداية لدراسة الطب وذلك قبل مئات السنين من عصر النهضة ، وأضاف إلى هذا العلم « الطريقة الطبية » الصحيحة في الشرح والوصف ، كما أغناه بعيقاته ووسعه مما لم ينزل صالحاً حتى وقتنا هذا .

وإذن وصلنا إلى مسألة نعتقد أنها مهمة وهي أنه من الصعب أن نجزم هل قام ابن سينا بتشريح الجثث أولاً ، في عهد كان محظياً لمس الجثة وتشويهها حتى ألف عام خلت قبل ابن سينا ، فلم يقدم على ذلك حتى المشرحون . المشرحون اعتبرنقاً مذهب « جاليتوس » ولم يعرف عن جاليتوس أنه أقدم يوماً ما على تشريح أحدي الجثث .

١ - يقول ابن سينا فيه أنه يشبه اللام في كتابة اليونانيين وهذا يعلم على الللن أنه اللاد ذلك من كتابات اليونان .
(المجلة)

وقد نقد « تخلصوس » بشكل لاذع أعمال (الكمايون من قروتون) اذ أقدم على تshireيف بعض الاشخاص وهم في قيد الحياة .

هذا ولم يصرح احد ان ابن سينا شرح جثة ما ، كما ان ابن سينا لم يذكر أنه شرح جثة ما ، وذلك أن الانسان حيا وميتا موضع احترام عميق في الاسلام ، كما ان ذلك كان معروما في جميع الاديان القديمة وفي المصور الوسطي .

ولنسمح لأنفسنا أن نعتبر أن هذه المعارف الدقيقة والحقيقة في « علم التشريح » وبالخصوص الكشف والأوصاف التي قدمها ابن سينا لنا ، لا يمكن الوصول إليها والتshireيف بها بمجرد دراسة نظرية ولا من خلال المراقبة والمشاهدة للجسم الانساني الحي فليس من الممكن أيضا أن يكشف الدروز الرأسية ، والجهاز العضوي ، والرأس ، وعضلات العجاج ، ومصررة المثانة الخ ... عند أشخاص أحياه . ولذلك نعتقد كل الاعتقاد أن ابن سينا لما إلى تshireيف الجثث كطريقة علمية في علم التشريح ، وبالخصوص في التشريح الطاطمي الصريح ولا فرق اذا كان ابن سينا قد أقدم بذلك على تshireيف الجثث أو أمر أحد محضري الجثث بالتشريح حسب تعليماته .

وآخر فضل يعود للمشرح ابن سينا تلك الكشف التshireيفية الحيوية من دون أن يلجا إلى الطرق الوحشية التي أقدم عليها (الكمايون من قروتون) ، والتي لم تقدم للبشرية أي معلومات قيمة .

لقد عرف ابن سينا تقلص الحدقة واسترخاءها ، وكان عالما في « علم النبض » ، فقد عرف كل ما جاء حول هذا العلم في التراث الفارسي والصيني والهندي ، وأساق في هذا المجال تغيرات النبض المسببة عن العلاقات الماطفية والفارمات .

وفي الختام نقول : ان ابن سينا لم يكن طبيبا عبقريا فحسب ، بل كان منكرا وفيلسوفا كبيرا . ان أعمال ابن سينا وكتبه تدرس الآن وتناقش من جميع الجوانب ، ومن قبل الأطباء ، والفلسفه ، والفيزيائين الخ ... ومن دون جدل ان ابن سينا شق الطريق أمام كثير من النشاطات الانسانية الحالية .

امثال هذه الدراسات والفضائل التي في الذكرى الالفية لميلاد ابن سينا (١٩٨٠ م) وفي المحافل العلمية المختلفة ، وأخرها المؤتمر العالمي السادس عشر لتاريخ المعلوم ، وقد انعقد في بخارست بين ٢٦ آب حتى ٣٠ ايلول ١٩٨١ م ، وانتبه عن هذا المؤتمر لجنة خاصة تعرضت لدراسة قيمة حياة ابن سينا وأعماله ، فقدم عدد من الملماء الروس والسوريين ومن الدول الأخرى معلومات قيمة عن هذا العالم الفذ ،

كان ابن سينا طبيبا ، ومشريا ، وجراح ، وكيماوي ، وعالما في تدبیر أمور الطفولة والكهولة والشيخوخة وغيرها من مراحل الحياة ، وكل ذلك في مجال العمل والتطبيق ، ومجال النظر والفكير . وهو يعد أحد الأطباء العظام الذين عرفتهم البشرية ، ويأتي بالترتيب الثالث بعد « ابقراط » و « جاليتوس » ، بل أعلى منها جيما .

ابن سينا في بعض مكتبات ترنسلافانيا القديمة

الأكاديمي يوجين بورا والاستاذ يوان مارزا (رومانيا)

لقد عمدنا الى مكتبات ترنسلافانيا ومتاحفها القديمة باختين عن كتب ابن سينا
فوجدنا له كتابين في مكتبة كلوج نابوكا وكتابين آخرين في مكتبة متحف الباچوليا وكل
الكتب بالقطع الكبير وباللاتينية وهي :
مكتبة كلوج نابوكا :

Liber Canonis de Medicinis Cordialibus Cantica

طبع في البندقية عام ١٥٦٢ وهو في ٥٩٠ ورقة . ويدل ما كتب على الغلاف أنه كان
لجمعية الرهبان اليسوعيين وعلى هامش الكتاب تعليقات متعددة تدل على كثرة
الاستعمال .

Avicenae Principis et philosophi sapientissimi Libri. In Re Medica Omnes.

مجموعة طبعت في البندقية عام ١٥٦٤ يشتمل على ٩٦٦ صفحة .
وفي ذيله رسائل مترجمة الى اللاتينية لابن سينا .
وفي أول كل فصل ونهايته شعار الناشر وهو فان سان .
وفي مستهل كل فصل حروف مزخرفة تزيينية .

وعلى صفحة الغلاف تاريخ دخول الكتاب في كلية مدينة انفولستاد في بافاريا وهو
عام ١٥٦٦ وهذا يدل على أن الكتاب وصل في مدة عامين بعد نشره .
ثم دخل الكتاب في مكتبة كلية الطب الداخلي في مدينة كلوج وكانت هذه الكلية
قائمة حول منتصف القرن السابع عشر .

مكتبة متحف الباچوليا :

Libri in Re Medica Omnis

وهو يتألف من جزأين طبعا في البندقية عام ١٥٦٤ .
يشتمل الأول على ٩٦٦ صفحة والثاني على ٤٢٩ .

Indis Rerum memorariblum in Avicennae De rerum Medica Libri

طبع في البندقية عام ١٥٦٤ يحتوي على (١٢٦ + ٢٢) ورقة .
وهذا الكتاب متعمم لجزءي الكتاب السابق لأنه فهرس دقيق لهما .

الخلاصة :

- ١ - ان وجود هذه الكتب في ترنسلافانيا ابان القرن السادس عشر يدل على مكانتها وفائدة تداولها فهي من اهم الكتب الطبية في ذلك الوقت وأوسعتها انتشاراً .
- ٢ - ثم ان طبع هذه الكتب في البندقية بوتيرة كتائين كل سنتين اشارة الى شدة الطلب عليها من مختلف بقاع اوربة .
- ٣ - وصول هذه الكتب الى هاتين المكتبيتين بعد نشرها بعامين دليل على شدة تداولها في تلك العقبة .
- ٤ - وجود هذه الكتب في ترنسلافانيا يشير الى الصلات التي كانت قائمة اذ ذاك بينها وبين مناطق ايطاليا البعيدة منها . ويدل أيضاً على أن ترنسلافانيا وهي في شرق اوربة كانت تتبع العركة العلمية ابان النهضة في غربي اوربة وتعاصرها^(١) .

* * *

جائزه ابن سينا الدولية ومهرجانات ذكراء الالفية

- ١ - انشأت وكالة أنباء نوفوستي السوفياتية مع هيئات اجتماعية ، وثقافية ، وعلمية ، ودينية جائزة دولية باسم أبي علي بن سينا العالم العربي الكبير بل عالم الشرق الموسوعي المظيم في القرون الوسطى ، تمنح سنوياً مواطننا من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية مواطناً من دول آسية وافريقية تلقام أفضل المؤلفات في مجال الأدب ، والصحافة ، والعلوم الاجتماعية التي تدعو الى السلام والصداقة بين شعوب آسية وافريقية والاتحاد السوفيتي ، كما تمنح الجائزة للمنظمات الابداعية والعلمية .

وتضم الجائزة :

- ١ - دبلوماً يرد فيه اسم الجائز وعمله باللغة الروسية وبلغة بلد الفنان .
- ٢ - ميدالية .
- ٣ - جائزة مالية بحدود ألف روبل ، أو ما يعادله من عملة الدولة الأجنبية التي فاز مواطنها بالجائزة .
- ٤ - رحلة يقوم بها الفنان الاجنبي الى الاتحاد السوفيتي . ورحلة يقوم بها المواطن السوفيaticي الى أحد بلدان آسية وافريقية .

- ٥ - أقامت اكثراً بلاد العالم ندوات علمية ومهرجانات ثقافية احتفالاً بذلك مرور التـ عام على ميلاد الشـيخ الرـئيس ابن سـينا ، وذلك بتوصية من منظمة اليونسكو .

١ - يوضحنا ان نصي وفاة الاكاديمي يوجين يورا في ٢٨ تشرين الاول ١٩٨١ بتزكـيف داعـفي حـسب رسـالة زـميلـه الدكتور يونيـسـكو مـيهـاي . (المـجلـة)

٣ - أقام المجلس الأعلى للعلوم في أيام جامعة دمشق ومدرجاتها مهرجانا علميا في أسبوع العلم المثيرين احتفاء بالذكرى الالفية لميلاد ابن سينا ، شارك فيه كثيرون من العلماء والباحثين العرب ، وقد افتتح المهرجان الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، وألقي كلمة طيبة حول جوانب حياة ابن سينا وأبعاد ثقافته .

بدأ الاحتفال يوم السبت في ٢٢ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ / ١ تشرين الثاني ١٩٨٠ م .

وفي المدد السايف من هذه المجلة طائفة من البحوث المقدمة فيه .

٤ - باشراف معهد التراث العلمي العربي وكلية الآداب بجامعة حلب عقد المؤتمر السنوي الخامس للجمعية السورية لتأريخ العلوم عند العرب في ١٣ و ١٤ أيار ١٩٨١ م في أربع جلسات : خصمت الأولى للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري ، وخصصت الثانية للاحتفال بذكرى مرور ألف عام على مولد ابن سينا ، والثالثة والرابعة للأبحاث العلمية .

وقد أقيمت هذه الجلسات على مدرج المسرح بكلية الآداب بجامعة حلب ، واشترك في المؤتمر ثلاثون عالماً ألقوا ٣٣ بعثاً أشاروا فيها بالحضارة العربية وبابن سينا فيلسوفاً وطبيباً عظيماً في تاريخ العرب والانسانية .

٥ - من جملة ما نشر عن ابن سينا بمناسبة العيد الالفي كراس باللغتين العربية والفرنسية عن كلية الطب بتونس . وقد أشرف على العمل الأستاذ الدكتور سليم عمار وهو أستاذ تاریخ الطب والأمراض النفسية في كلية طب تونس .

٦ - نسيب نشاوي

ندوة برلين الشرقية ١٩٨٠ م

أقيمت ندوة في برلين الشرقية عام ١٩٨٠ م احتفالاً بمرور ألف عام على ميلاد ابن سينا نشرتافي المدد السايف ترجمتي بعثين قدماً فيها .
ونلخص هنا موضوعات البحوث الأخرى :

آ - ابن سينا وبيزنطة (يوهانس ارمشر) مقال في أربع صفحات للنص وأربع صفحات للحواشي يقول المؤلف فيه : إن ابن سينا عرف لدى البيزنطيين في موضعين :

١ - مقالة في البول (ربما ليست له) .

٢ - عن طريق اللاتينية في كتب رجنا ديوس الثاني بطيريك القسطنطينية .
وهذا البحث يهم مؤرخي الطب ، والمنوان يعد بأكثر مما يقدم النص .

- ب - تصنیف العلوم عند ابن سينا (م . ماروث)
 يبحث في علاقه العلوم بعضها ببعض ومراتبها في نظام المعرفة .
- ج - موازنة بين ابن سينا ومسکویه (هولفر بریسلر)
 والمقال وصف لحياة كل من الفیلسوفین وموازنة في الاتجاه والتألیف ، وقد عرض
 لقضیة التوفیق بين المقل والدین .
- د - أثر الاسماعیلیة في تطور الاقطاعیة المکررة في اليمن (ایرهارد سراوالی)
 تحلیل للعلاقة بين ارستقراطیة اليمن والاتجاهات السریة في الاسماعیلیة ، وهو
 عرض تاریخي موثق يدخل في التاريخ السياسي .
- ه - علم النفس الافلاطونی في ثوبه الرمزی من ابن سينا حتى دانتی (غ . تسترومير)
 - معرفة ابن سينا لعلم النفس الافلاطونی (مع خلفیة اسماعیلیة)
 - حی ابن يقطان وما يشبه ذلك عند دانتی ثم ابراهیم بن عزرا .
- و - نظریة الحركة عند ابن سينا (هاسن ا . فولر)
 - المادة والحركة في كتاب الشفاء
 - الحركة في علم الطبیعة عامه
 - ربط الحركة بالمادة
 - التغیر والفردیة عن طريق الحركة
 - الوجود قائم على الحركة لا على مبدأ میتافیزیائی
 - الفرق بين الحركة والفنین
 - حركة في عملية الخلق
 - حركة في الادارة
- ز - المخطوطات المتعلقة بابن سينا في مکتبة کارل مارکس - لیبزیغ (سونیا برنتیس)
 وصف للمخطوطات مفید وقد أظهرت المؤلفة کیف تم الاستفادة من تلك المخطوطات
 ومن هؤلام الذين استفادوا .
- ح - المخطوطات المتعلقة بابن سينا وشراحه في مکتبة الابحاث في غوتا (هاسن یواخیم دوکار)
 عرض للمخطوطات شائق ومفید .
- ط - الدراسات المربیة في لیبزیغ (هولفر بریسلر)
 يؤرخ لها منذ بدايتها في نهاية القرن السابع عشر حتى اليوم .
- ی - ابن سينا ولیسنغ (ی دمر)
 - آین اعتمد لیسنغ مؤلفات ابن سينا وبعض أفکاره
 - ماذا قال لیسنغ عن ابن سينا
 - ما مصادر لیسنغ التي رجع اليها للتعرف على ابن سينا

ك - أرسطو طاليس وبروكلس وابن سينا حل مشكلات فلسفية في الرياضيات
(ديربيخ الرئيس) .

أهمية الرياضيات لدى العلماء ، طبيعة الرياضيات ، ثم عرض لأراء ابن سينا
وارسطو وبروكلس في موضوع الرياضيات وعلاقتها بباقي العلوم .

ل - ابن سينا في مشكلة وطنه الفكرى (بورخارد برنتيس) الفيلسوف - العالى -
الطيب - الشاعر - الكاتب - الموظف الإداري - التأثير الاسماعيلي - الموسوعي -
مثل وسط آسيه .

م - إنسانية ابن سينا المكافحة (هرمان لاي) .

البيروتى وابن سينا - عصر ابن سينا السياسي - عصره الدينى - صراعه لبعض
الاتجاهات الفكرية - أهميته للشرق الإسلامي اليوم (مع تركيز على الجزائر ولا سيما
على مولود قاسم) - أفكار وتأملات في الديمقراطية والاتجاه العلمي . أثره في عصر
النهضة الأوروبية .

الدكتور غانم هنا

★ ★ ★

المؤتمر السادس عشر لتاريخ العلوم والذكري الالفي لابن سينا

عقد المؤتمر العالمي السادس عشر لتاريخ العلوم في مدينة بخارست عاصمة
جمهورية رومانيا الاشتراكية من ٢٦ آب إلى ٣ أيلول ١٩٨١ . وخصصت في أثناء انعقاده
ندوة للاحتفال بالذكرى الالفية لميلاد ابن سينا وقدمت فيها البحوث الآتية نوردها لبيان
تعدد الجوائز في شخصية ابن سينا .

- ١ - ابن سينا والحضارة الإنسانية : الأكاديمي عاصوف رئيس أكاديمية طاجكستان
(الاتحاد السوفيетى)
- ٢ - الإبداع الإنساني والإبداع النبوى : الاستاذ يون بانو (رومانيا)
في ذكرى ابن سينا :
- ٣ - ابن سينا الطبيب : الاستاذ الدكتور جورج براتسکو (رومانيا)
- ٤ - ابن سينا والأخلاق الطبية
- ٥ - مكانة ابن سينا في تقدم السيفيزيولوجية الإنسانية : الاستاذ الدكتور حكيم سعيد (باكستان)
- ٦ - ابن سينا وعلم الصخور : السيد غاد فرومنتال (فرنسة)

- ٧ - العناية بطبع الشيوخ في أعمال ابن سينا
- السيد فلاديمير يوليو غوزيyo (رومانيا)
السيد مرسيا دومترو (رومانيا)
سامارندا فلاغو ايكونومو (اليونان)
- ٨ - مكانة ابن سينا في تقديم التشريع ابان القرون الوسطى
- الأستاذ الدكتور ميهاي يونسکو (رومانيا)
 وقد ترجمه الدكتور أكرم قدور ونشرناه في هذا المدد
- ٩ - أصل اسم ابن سينا
- الأستاذ الدكتور طه كيالي (معهد التراث بحلب - سوريا)
- ١٠ - كتب ابن سينا في مكتبات ترنسلافانيا
الأستاذ الدكتور الأكاديمي أوجين بورا
والدكتور موهان مارزا (رومانيا)
- ١١ - تأثير ابن سينا في التفكير النفسي
والبيولوجي الأوروبى ابن القرنيين
السابع عشر والثامن عشر من خلال
كتابيه الشفاء والنجاة ومن خلال
رسالة حي بن يقطنان لابن طفيل : الدكتورة غ. ١٠٠ رسيل (انكلترة)
- ١٢ - مكانة ابن سينا في تاريخ التقدم
الأكاديمي الأوزبكي سراج الدينوف والدكتورة
الإنساني نعلم الرياضيات
ماتيفيسكايا (الاتحاد السوفيетى)
الفiziائىة :
- ١٣ - آثار ابن سينا في عهد النهضة
الدكتور ا.ن شامين (الاتحاد السوفييتى)
الأوروبية :

وقد طلب الكلام في آخر جلسات الاحتفال بابن سينا الدكتور نشأة حمارنة ونوه بمخطوطة « الاستبصار في علاج أمراض الابصار » التي في المكتبة الظاهرية بدمشق وقد وصفها الأستاذ صلاح الغببى وكان قد غفل عنها مورخو كتب ابن سينا وذكرها حاجى خليفة في كتابه « كشف الظنون » هذا وقد دعمت الدكتور حمارنة الى اقامة معرضين أحدهما في نطاق الاحتفال بذكرى ابن سينا والآخر في نطاق محاضرات تاريخ الطب وذلك في بهو الجامعة التي جرى فيها المؤتمر . تضمن المرض الأول صوراً لمخطوطات العربية في طب العيون التي شرح أصحابها كتابات ابن سينا أو لخصوها أو علقوا عليها . ومن جملتها مخطوطات لابن رشد وابن النفيس ونفيسيس بن عوض الكرمانى والسمرقندى والقىزائى . واشتمل المعرض الثانى على المخطوطات العربية في طب العيون التي لما يتهىأ تحقيقها ونشرها وأهمها مخطوطات لابن زهر وابن النفيس والمصورى والقمرى والعريرى .

د. عبدالكريم الياق

اهتمامات عربية وعالمية

أنهى الدكتور سلمان قطامية تحقيق كتاب ابن النفيس : « شرح تشريح ابن سينا » وهو يعنى الآن على وضع فهارس وتلخيصات مطلولة على النفس المحقق .

★ ★ ★

خصصت الاذاعة الفرنسية الثقافية « فرنس انترناس » عدة برامج عن ابن سينا للاظهار بعيقريته من جوانبها كافة، اشترك فيها رهط من كبار الاختصاصيين في فرنسة نذكر منهم الأستاذ ارنا لدبيز . وكان الأستاذ قد زار متحف التراث بحلب عدة مرات وأسهم بموضوع عن ابن سينا في الندوة العالمية الثالثة عام ١٩٧٩ م .

★ ★ ★

أنهى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا أستاذ علم الأقباب الذين بكلية الصيدلة بدمشق ورئيس لجنة تاريخ الطب والصيدلة التابعة للجمعية السورية لتأريخ العلوم فهرسة الكتب الطبية والصيدلانية العربية المعنونة في المكتبة الوطنية بباريس . وقد وجد عدة مخطوطات غير معروفة وهامة منها كتاب لابن سينا .

مقالات نشرت عن ابن سينا

١ - نشرت مجلة مجمع اللغة العربية الصادرة عن مجمع اللغة العربية بدمشق في عددها مجلد(٥٦) جزء(١) كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام التي القاما في مدرج جامعة دمشق وافتتح بها الهرجان الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم في أسبوع العلم الذي نوهنا به آنفا احتفاء بذكرى ميلاد ابن سينا الألفية .

★ ★ ★

٢ - أصدر متحف التراث العلمي العربي بجامعة حلب عددا خاصا في مجلة تاريخ العلوم العربية بمناسبة مرور ألفي - لغوي - ولادة ابن سينا والتراث الطبي والفلسفى الذي أسمى - المجلد الرابع - العدد الثاني ١٩٨٠ م . ومن الابحاث المنشورة فيه باللغة العربية :

- ابن سينا ومصادر « المندسة » من كتاب الشفاء بقلم عبد الحميد صبرة .
- ابن سينا وأبو عبيد الجوزجاني: قضية مدخل المسير عند بطليموس - بقلم جورج صليبا .

ومن الابحاث المنشورة باللغة الأجنبية :

- تقسيم ابن سينا للعلوم في « المدخل » من « الشفاء » - بقلم ميخائيل مرمرة .
- شرح مجهول المؤلف لكتليات ابن سينا - بقلم فريد سامي حداد .

٣ - كتب الدكتور حسني ناعسة الاستاذ بكلية الآداب في جامعة تشرين مقالة تحت عنوان : « ابن سينا العسين بن عبدالله أبو علي » في مجلة « جامعة تشرين » المجلد ٢ - العدد ٣ - المحرم ١٤٠١ هـ / تشرين الثاني ١٩٨٠ - ص ٣٢ - ٤٢ .

★ ★ ★

٤ - كتب الدكتور عبد الفتى ماجد السروجي مقالة تحت عنوان : « جلسة علمية مع الرئيس ابن سينا » ، في « المجلة العربية » شعبان ١٤٠٠ هـ في العدد ٣ من السنة الرابعة - ص ٧٤ - ٧٧ .

★ ★ ★

٥ - كتب الدكتور محمود الحاج قاسم من الموصل بالعراق مقالة تحت عنوان : « الأم والطفل في أجوزة ابن سينا » ، في مجلة « العربي » الصادرة عن وزارة الاعلام بالكويت في شعبان ١٤٠١ هـ / يوليو (تموز) ١٩٨١ م - العدد ٢٧٢ - ص ١٣٤ - ١٣٧ .

★ ★ ★

٦ - كتب السيد مرسلی محمد مقالة تحت عنوان : « ملاحظات حول دراسة المنطق عند العرب » ، وكانت نقطة التركيز فيها مادی اصالة ابن سينا في المنطق ، وتجاوزه شرح أرسطو الى موقف خاص به يتجلی في كتاب « الشفاء » ، و « الاشارات » . وقد نشرتها مجلة « أقلام » الصادرة في المغرب في عددها الخاص رقم ٥٣ - السنة السابعة - ١٩٨١ م / برمي ١٤٠١ هـ .

★ ★ ★

٧ - كتب الدكتور فيكتور الكك مقالة تحت عنوان : « الطب الحديث يمود الى اعشاب ابن سينا - كتاب « القانون في الطب » لا يزال منذ ألف سنة يخرج « الحكماء » في شبه القارة الهندية » ، ونشرتها مجلة « النهار العربي والدولي » الصادرة بباريس في ٢٧ تموز - ٢ آب ١٩٨١ م - العدد ٢٢١ من السنة الرابعة - ص ٣٦ - ٤٠ .

★ ★ ★ متو - متها

٨ - كتب الأستاذ حسن ملا عثمان مقالة تحت عنوان : « الأفكار النفسية عن ابن سينا » في مجلة كلية العلوم الاجتماعية الصادرة عن جامعة الامام محمد بن سعود بـالرياض - مطلع ١٤٠١ هـ / تموز ١٩٨١ م - العدد الخامس - ص ٦٥٩ - ٦٨٣ .

٩ - نشر الدكتور توفيق سلوم في مجلة الطريق (العدد الخامس) تشرين الأول ١٩٨١ بحثاً عنوانه « في رحاب الفكر السيني » هو عرض جيد لكتاب الباحث السوفيياتي سعديفيف « ابن سينا » الصادر في موسكو عام ١٩٨٠ ، وقد ترجم الدكتور سلوم الكتاب وستصدر ترجمته عن دار الفارابي .

د° نسيب نشاوي

أنباء تراثية

كتاب «الظواهر المسرحية عند العرب»

(تأليف علي عقلة عرسان - نشر اتحاد الكتاب العرب - من القطع المتوسط
في ٣٦٧ صفحة - دمشق - ١٩٨١ م)

لقد اكتسب الفن عامه والمسرح خاصة هذا الشأن على مرور الزمن . ومنذ القديم أشار أرسطو الى وظيفة الفن بانها تصفية الأهواء او تطهيرها ، ومعنى ذلك أن النفس الإنسانية قد تخامرها أهواه شتى ونزوات قوية متفاوتة تصفو وتتطهير وتسمو بمارسة الفن انشاء او استهلاكا .

ولئن علق الفيلسوف الفرنسي روسو على رأي أرسطو بأن المسرح إنما يصفي الأهواء التي ليست لها بذور أو جذور في نفوسنا ، ويقوي الأهواء التي لها جذور أو بذور في النفوس فإن مكانة المسرح العالمية في الوقت العاضر تجاوزت عالم الفن الى ميدان علم الاجتماع على أيدي الباحثين الاجتماعيين الأمريكيين فيما يدعونه السوسيومتريا على شكلين مما السوسيو دراما ، والسيكودrama .

ثم ان المسرح قد جمع بين عناصر فنية زمانية كالقاء النص الأدبي والحركة وأحيانا الموسيقى والرقص وعناصر أخرى مكانية كالمشاهد والأستار، فسبق في ذلك العلم الحديث الذي يضم الزمان والمكان في عالم منكوفسكي وهو المكان الزماني الذي كان أينشتين قد بين معادلاته .

كل ذلك يحيط به وبغيره من شؤون المسرح وبتاريخه وتبشير نشوئه في إطار

المسرح من الفنون الجميلة الكبرى ان جاز التفريق بين الفنون وتصنيفها فنونا صفرى وفنونا كبرى . وكما أن بعض العلوم قد تولد من التقاء علوم مختلفة كذلك المسرح قد تولد من التقاء فنون متفاوتة واشتباكاتها .

ذلك أن المسرح يقتضي دارا أو مكانا ما - وهو أثر معماري - ومنظار وأستارا - وهو عمل يدخل في التحت والرسم - ونصرا يلقى - وهو أمر أدبي - وناسا يزدون الأدوار - وذلك فن العركة -، وغالبا ما يكون للموسيقى شأن أساسى أو عارض في المسرح ، وكالموسيقى مكانة الرقص فيه . كل هذه العناصر يؤلف بينها المخرج فيضم إلى الفنون السالفة المثالثة فنـ الاخراج ، وقد ظهر في فنـ الاخراج أعمال بارزون ، ولا بد في كل فنـ من نظارة أو جمهور يتوجه الفن اليهم و يؤدي وغليته في نفوسهم كما يؤدهما في نفوس الذين يقولون به . هذه الوظيفة كما يقول مؤلف الكتاب السيد علي عقلة عرسان في مستهل الكتاب هي : « الامتناع ، ونقل حصيلة خبرة انسانية للناس ، والتاثير فيهم بقصد تعریضهم على تغيير واقع معرض عليه واستبدال واقع أفضل منه ، والقيام بعمل من شأنه أن يحسن مفهوم الحياة في نظر الانسان ويرقى بقيمه وأحساسه ومشاعره ... » .

ولكن بقيادة فرد من الأفراد . وقد يبرز هذا النموذج في أشكال السحر وأفعال المتدربين والملهين وفي رواية أيام العرب . وينسوه المؤلف هنا باعلام مشهورين في كتب الأدب كأشعب وأبي العبر وعلويه ، ثم يشير الى نوع من الأدب المعروف بالمقامات .

ويبث الفصل الثالث القصص أو التذكير أو الوعظ وهذه الألفاظ كلها متراوفة عند ابن الجوزي .

ويشرح الفصل الرابع حكاية قل شيوخها وهي حكاية أبي القاسم البغدادي المسوبة إلى أبي المهر الأزدي وهي حوار طريف مع حركات تشبه التمثيل أو هي التمثيل نفسه يختلط فيها الفن بالسمين والجد بالهزل والقول بالفعل والكلمة بالإشارة .
ويتناول الفصل الخامس مقامات المذاني والعريري ويبيّن الواقع التي تناكي التمثيل فيها .

ويمثل الفصل السادس يقصة الأسراء والمراج كما وردت في الآثار العربية .

ويشرح الفصل السابع قضية السماع وحكمه وأدابه في التاريخ الإسلامي ولا سيما عند الصوفية لينتقل إلى حلقات الذكر ولا سيما في الطرق الشاذلية والقاديرية والرافعية .

ويتحدث الفصل الثامن عن احتفالات جماهيرية متنوعة في خلال الزمن كاحداث عاشوراء ونصوص التعزية وحفلات الولد النبوي وخيم المشايخ وأعياد النبوز في بعض البلدان ثم قصص الحكماتي ولا ينسى الكرك أو الكرج وهي على قدمها تمثيل خيل مسرحة من الخشب معلقة بأطراف أقبية يلسها النساء ويعاkin بها امتناع الخيل كما جاء في كتاب العصارة الإسلامية لأدم متر وكما يذكره المؤلف نفسه .

الطقوس الدينية أو غيرها وباختلاف أساليبه عند الأقوام والشعوب مؤلف الكتاب فهو الكاتب الأديب والمخرج المتخصص الموهوب ولذلك كان قوياً أي قوي على معالجة الموضوع المطروح .

ان الناظر في تاريخ العصارة العربية قد يعجب أول الأمر كيف بلغت تلك الحضارة أعلى الأفاق في علومها وفنونها وانتشرت في فسيح الأرجاء دانيتها وقصاصيها ولم يظهر فيه فن المسرح على الشكل الذي نجده عند الأمم الحديثة ما دمنا في الفالب تجذبنا المقارنة وتستilenنا المقايسة والموازنة . ولكن عجبه يزول حين يقرأ كتاب الظواهر المسرحية عند العرب إذ يرجع المؤلف إلى خزائن التراث العربي التقليدية فينقب فيها عن بوادر المسرح ليجد لها متعددة متفاوتة فيختار منها ما يختار ليكتب كتابه المبتكـر .

هذا الكتاب دراسة وافية لتلك الظواهر المسرحية تقع في مقدمة موجزة بين طريق الدراسة ومصاعبها وفي بيان كبيرين يضم الباب الأول ثنائية فصول .

يعرض الفصل الأول المقومات الرئيسة للمسرح ووظائفه وهي جمیعاً ما نوهنا به آنفاً ليتلمس هذه المناصر عند المقرب في جاهليتهم مستشهدًا بافعال لهم كان الشعر فيها أو القول يرافقه الفتام والعركة والرقص وذلك في مضمار عبادتهم الوثنية . ومن المعلوم أن الطقوس الدينية عند جميع الأقوام كانت الظرف الرءوم للفن عامة وللمسرح خاصة، في جملة أطار آخرى كالغرب والليل والزينة واللعب . ولما جاء الإسلام قضى على عبادة الأوثان ولكنه لم يقض على الظواهر المسرحية .

ويما يفتح الفصل الثاني ما يمكن دعوته بالاحتفال الجماهيري يكون الأداء فيه جماعياً

هذه الفصول الثمانية تشف عن غنى البحث وتنوعه وامتاعه ما تكاد تنتهي حتى تسلّمنا ما ليس أقل امتاعاً وتشويقاً وهو الباب الثاني .

وذلك أن المؤلف يمده فيه إلى بعض النصوص التي نوّه بها في الباب الأول وهي حكاية أبي القاسم البغدادي ومشهد من المقامات العلوانية لبديع الزمان وأخر من المقامات الشعرية للعريري وقصة الأسراء والمعراج كما وردت منسوبة لللامام ابن عباس وبلمسات فنية لطيفة جداً تشف عن مزايا المؤلف يعيشها أمامنا لوحات تمثيلية بارعة تقرؤها فنسترسل لها بذلك ومتاع . ولا غرو فإن المؤلف قد عالج من قبل التأليف المسرحي والآخرage المسري ونجح فيما .

وينهي المؤلف كتابه بخاتمة موجزة يعدنا فيها بالرجوع إلى حضارات العرب القدامى في اليمن وبلاد الكنعانيين والفينيقيين وحضارة أوغاريت وماري وايبلا والتتيب فيها عن الظواهر المسرحية التي هي أقدم عهداً مما سلفت الاشارة إليه وتقدمت الاشادة به .

وقد تحامي المؤلف التنويع بعض الظواهر المسرحية التي كانت أكثر نضجاً في التاريخ العربي كخيال الظل وكره كوز لأن مؤلفين آخرين قد سبقوا إلى دراستها دراسة جيدة . على أن خيال الظل ما زال يحتاج إلى دراسته بصفته مسرحاً لا مجرد ظاهرة مسرحية كما يقول المؤلف .

يسأل المؤلف في نهاية الخاتمة لم لم تتطور الظواهر المسرحية عند العرب وهي التي سبق وصفها لتندو مسرحاً له مقوماته وأساسه وأصوله وتقنياته . والجواب هو موضوع كتاب مقبل قيد الاعداد يمدهنا به المؤلف .

والكتاب يجعله يجمع المتعة والفائدة والتسلية والقراءة السهلة المشوقة ومهارة اختيار النصوص المناسبة من خزائن التراث الثريّة الكثيرة التي قضى المؤلف وقتاً ليس باليسير في تأملها ودراستها وجلأتها وعرضها عرضاً يمتن القلب ويقنع الفكر ويزيد بعوثر المسرح غنى واتساعاً .

د° عبد الكريم اليافي

اعتذار وتصحيح

ورد في الصدد المزدوج الخاص بابن سينا خطأ مطبعي في عنوان «ابن سينا يروي قصة صباء» .
والصحيح في تسمة هذا العنوان : «لابن أبي أصبيعة»
دون لفظ العوزجاني .

«المجلة»

حياء التراث و دراسته

إعداد :

الدكتور نسيب نشاوي

□ تقرر نهاية بناء « معهد العالم العربي » بمدينة باريس وذلك بعد أخذ ورد دام طويلاً ، وسيكون المعهد الذي تسمى به بنائه وتأسيسه الدول العربية إلى جانب فرنسة مركزاً هاماً جداً للدراسات العلمية من كل النواحي المتعلقة بالعرب .

* * *

□ أصدر محمد همدار في كراتشي بالباكستان كتاباً ذهبياً استعرض فيه مراحل تأسيسه المتتالية المختلفة ، ونشر فيه احصاءات جيدة عن مختلف النتائج التي توصل إليها في ميادين نشاطه : الطبية والصيدلانية والتربية والانسانية إلى جانب المؤتمرات العلمية التي أقامها ، نذكر منها : المؤتمر الخاص بالبيروني ، ومؤتمر علم الوراثة والحياة ، ومؤتمر تاريخ المعلوم الإسلامية .

والمعلوم أن القائم على المعهد هو الدكتور العكيم محمد سعيد .

* * *

□ يصدر عما قريب كتاب ابن الجزار القيراني « في المدة وأمراضها ومداواتها » عن وزارة الثقافة ببغداد بتحقيق الدكتور سلمان قطایة .

* * *

□ صدرت ترجمة إلى اللغة الفرنسية لكتاب محمد سيد نصر : « تاريخ المعلوم الإسلامية » الذي صدر أولاً باللغة الانكليزية .

* * *

□ طالعتنا مجلة « دراسات تاريخية » التي تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق برئاسة الدكتور شاكر الفحام بعدها الخاص رقم ٥ رمضان ١٤٠١ هـ / توزع (يوليو) ١٩٨١ م بباحث ودراسات جيدة حول جوانب من التراث العربي بعضها القى في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية الذي عقد في رحاب كلية الأدب بجامعة دمشق ما بين ١٦ - ٢٢ جمادي الآخرة ١٤٠١ هـ / ٢٠ - ٢٦ نيسان ١٩٨١ م .

ومن المقالات التي نشرت في هذا العدد :
– الدكتور محمد كامل عياد مقالة « آخر مقلية في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الأوروبيين » .

– الدكتور عمر عبد السلام التدمري مقالة « الرباط والرابطون في ساحل الشام من الفتاح الإسلامي حتى العروب الصليبية » .

– الدكتور يوسف بكار مقالة « بيت المقدس كما صوره ناصر خسرو في رحلته » .

* * *

□ القى الدكتور سلمان قطایة نائب رئيس الجمعية الدولية لتاريخ الطب معاشرة في الجمعية بقاعة الأساتذة بكلية الطب بباريس عن الرازي وأهميته طيباً وأستاذًا ، وعن كتاب « ما الفارق » الصادر عن معهد التراث العربي بجامعة حلب باللغة الفرنسية . وقد صدر النص الكامل للمعاشرة في مجلة « تاريخ العلوم الطبية » باللغة الفرنسية – عدد ٢ - مجلد ١٤ - ١٩٨١ م الصادر بباريس .

□ يقوم الأستاذ جرار تروبو الأستاذ في معهد الدراسات العليا التابع للسوربون بباريس بتحقيق كتاب الرازى : « التصوري » على أربع نسخ مع ترجمة الى اللغة الفرنسية، وترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية كما وردت في المصور الوسيط اللاتينية الاوربية، والمعروف أن مكتبة معهد التراث العلمي تحتوي على نسخة نفيسة نادرة لهذا الكتاب.

□ أصدر الأستاذ جرار تروبو تحقيقاً لكتاب يوحنا بن ماسویه : « النوارد الطيبة »، حققه على نسختين خطيتين ، وأدرج ترجمة الكتاب القديمة الى اللغة الفرنسية مع ترجمة حديثة قام بها هو نفسه ، كما نشر ترجمتي الكتاب الى اللاتينية مع مقدمة مفصلة جيدة ومعاجم مختلفة ، وقد ساعدته في ذلك الآنسة جاكار . وكان الأستاذ تروبو قد أسمهم في الندوة العالمية الثانية التي أقامها معهد التراث العلمي بمدينة حلب عام ١٩٧٩ م .

* * *

□ أقيم معرض هام في مركز جورج بومبيدو الثقافي بباريس منذ بضعة شهور ، وكان موضوعه : « علم الخرائط المغرافية » والجدير بالذكر أنه كان من بين المروضات خرائط العالم العربي « الادريسي » .

* * *

□ صدر كتاب « فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني - كان موجوداً سنة ٤٣٠ هـ - » حققه وقدم له الدكتور محمد علي سلطانى الاستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة دمشق ونشره بدمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

يرتبط الكتاب ارتباطاً وثيقاً بـ « شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي » - الذي نشر بتحقيق الدكتور سلطانى بدمشق عام ١٩٧٩ م - فهو فرع متعمق وامتداد أصيل له . وقدتناول الفندجاني بالنقد في « فرحة الأدب » ١٢٤ فقرة من أصل ٧٠٠ فقرة كان ابن السيرافي عرض لها في كتابه « شرح أبيات سيبويه » ، فيبين مواضع الخطأ من حيث مصحف وشعر منسوب الى غير قائله ومعنى معرف ولفظ معدول به عن مبانيه .

□ صدرت ترجمة لكتاب « المرشد والفضول » للرازى وكان الاستاذ الدكتور البير زكي استكender قد قام بتحقيق الكتاب ونشره عام ١٩٥٢ م .

وترجم الكتاب الى الفرنسية العربي مبشر .

والكتابان صادران عن دار نشر السنديان بباريس .

الجزائرية - الموصلية

هي جمعية موسيقية فنية اشتهرت بالجزء الثاني من اسمها (الموصليه) الذي يذكرنا باثنتين من كبار الموسيقيين العرب عاشا في القرن الثاني الهجري ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق . وهي تصنف بالجانب الموسيقي من التراث العربي . وقد زارت سوريا في شهر ايار عام (١٩٨١) بمناسبة الأسبوع الثقافي الجزائري وعرضت نماذج من فنها الطريف التلبي . والفن السيد على بابا عمر كلمة قدم بها فرقتها الموسيقية جاء فيها :

ان العزائر ساعية في هذا الوقت بالذات لرسم سياسة ثقافية استكمالا لمسيرة التحرير من التبعية الأجنبية وتجسيدا للسيادة الوطنية بمفهومها الشامل والإيجابي . فهي تولي الثقافة اهتماما خاصا باعتبارها عنوان الشخصية الوطنية والعنصر القوي الذي تندفع به المكاسب وتتقوى بحمياته مسيرة الثورة في زحفها على طريق بناء الفد المشود .

ان الشعب الجزائري ليهتم بالغ الاهتمام باسترجاع جميع القيم الصحيحة ومنها القيم الفنية التي هي من مقومات شخصيته وباحياء تراثه الثقافي بجميع صفاته .

وهذا الفن الموسيقي هو أثر حي من آثار تلك الحضارة الزاهرة الباهرة التي نحن إليها جميعا ولا نفتا نذكرها باعتزاز وافتخار .

ان هذا الفن الموسيقي الكلاسيكي الجزائري الذي غالبا ما يطلق عليه اسم الموسيقى الأندلسية - نسبة الى منشأه - هو في الواقع تراث تكون من تقالييد عريقة تنتقلت من دمشق وينداد الى قرطبة واشبيلية وغرناطة والى المغرب العربي بما فيهالجزائر ولا سيما العاصمة وتلمسان وقسنطينة حيث تم استيعابها وتقمصت شخصيتها التي عليه الان فأصبحت موسيقى قومية جزائرية بلا منازع .

وعلى كل حال فهي الموسيقى الجزائرية الوحيدة التي تقوم على أساس علمية مدرروسة . كانت في الاصل مشتملة على أربعة وعشرين مقاما ، قام بترتيبها ووضع قوانينها رجل الفن الثنائي العربي الفد - زرياب - الذي كان من دون شك أول من فكر في وضع ما هو معروف بالوصلة الموسيقية وسماه العرب « نوبة » .

والنوبة عندنا تطلق على جماع من الأغاني والقطع المزوفة في مقام متعدد اللحن والمرتبة حيث الأصوات البشرية وألات الطرب تقوم بأداء حوار منسجم في سلسلة من العركات المتعاقبة تدريجيا من الوزن البطيء الى المتدلل الى السريع .

وتبدا النوبة عادة بمقديمة موسيقية تدعى « توشية » أو « تشمبر » او « بشرف » حسب طبيعتها وميزاتها .

وتشتمل النوبة على خمس حركات هي :

- | | |
|-------------------|-----|
| ٤ - المصدر وزنه | ٤/٤ |
| ٢ - البطابعي وزنه | ٤/٤ |
| ٣ - الدرج وزنه | ٤/٤ |
| ٤ - الانحراف وزنه | ٨/٥ |
| ٥ - الغلامص وزنه | ٨/٦ |

على أن الموسيقى الكلاسيكية الجزائرية ليست مقصورة على النوبات المبنية على الهيكل الذي ذكرناه . بل هناك تراث أصافي هو من أصل أندلسي أيضا يشتمل على مجموعة بل مجموعات من المoshحات والأزجال تفني مستقلة وخارجية عن النوبة .

والأغنية التي من هذا الصنف تسمى « انقلابا » وزتها ثانية نشيطة خفيف .

وي يكن تقديمها بصفة منتظمة فتؤلف إذا ذلك نوبة كاملة تسمى « نوبة الانقلاب » تستهل بقدمية موسيقية من نوع « الشرف » يعقبها عدد من القطع الفنائية من طبع واحد في مقام واحد أو من طبوع مختلفة .

تلك هي باختصار صفات الموسيقى الكلاسيكية الجزائرية التي وصلت إلى بلادنا خلال وجود العرب بالأندلس واستكملت بعد نزوحهم .

على أن التراث الفني الأندلسي الذي توارثناه عن طريق السماع فقط لم يثبت بأكمله فقد ضاع منه الكثير . ومن الأربعة والعشرين مقاما التي رتبها زرياب وضع لها قواعدها وهي كلها لم يبق إلا خمسة عشر مقاما أو نوبة ومنها ثلاثة مقams لم يثبت منها سوى قطع من نوع الانصراف .

ومن ثم فإن هذا الذي احتفظنا به يكون تراثا فنيا نفيسا وعزيزا يحتاج إلى عناية كبيرة . واننا لنحاور بنوع من العطف الوجل واليقطة العائرة أن نصون ما سمعت لنا غيّر ، الدهر وصروف التاريخ - أعني عصور الانحطاط ومائة وثلاثين سنة من الاستعمار وجهل العامة وتهاون بعض الخاصة . قلت : أن نصون ما سمعت لنا هذه الأحوال المتقلبة بالاحتفاظ به من النصيب الوافر الذي تيسر لنا من هذا التراث .

علي بابا عمر

المؤتمر العالمي

لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية

في دمشق

في مدرج جامعة دمشق الكبير ، افتتح ، في الساعة العاشرة من صباح الاثنين ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠١ الموافق للمشرين من نيسان ١٩٨١ ، المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الذي أقيم بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري . وقد تعاقب الخطباء في حفل الافتتاح ، يحيطون دمشق ماضياً عريقاً وحاضراً صامداً وطموماً ، ويعرّفون بالتاريخ والحضارة والمرؤوية والإسلام . وقد بيّن الدكتور أسعد عربي درقاوی وزیر التعليم العالي في القتلر ، في كلمته ، ما لل تاريخ من دور في حياة الأمم والدول ، فمن العاشر يطلع المرء على ماضيه، ومن العاشر أيضاً يتطلع إلى المستقبل ، وإن هذه الآثار للزمن متداخلة ، يعني بعضها بعضاً ويعين بعضها على فهم بعضها الآخر... ويضيف : « ولن كنا نتطلع إلى المستقبل بينما من العاشر ، فإن العاشر لا يفهم فهماً صحيحاً إلا بينما من الماضي القريب على الأقل ، ذلك لأن الحياة الإنسانية ليست معطى متكوناً ، بل هي شيء لا ينفك يتكون بفعل التجاوز أو العبرية » .

وأوضح أن اللجنة التحضيرية للمؤتمرات أن يدور قسم من بحوثه على الحضارة العربية الإسلامية في حاضرها وماضيها واتجاهات تطورها في حركتها نحو المستقبل . كما اقترحت اللجنة أن يبرز العلماء ، في موضوعات القسم الثاني ، صيغات الحضارة العربية الإسلامية وما حققته في مجال النظر والعمل : في التشريع والنظم ، وفي التربية والملوّن والفنون ... ويتابع : « كان لهذه الحضارة ، كما للحضارات الكبرى الأخرى ، طريقها في فهم الإنسان والعالم ، وكان لها عبقريتها الخاصة فيما قصدته من معاشر وقيم روحية وفكرية واجتماعية وجمالية ... والواقع انتاجد ، في أساس هذه الحضارة ، العقل والعدل والمساواة والشورى والأخوة والتسامح . وخصائصها الإنسانية هذه هي التي عملت ، منذ البدء ، على انتشارها عقب الفتوحات التي قام بها العرب ، منذ أن وحدتهم الرسول الأعظم ، وقد جاءت هذه الفتوحات بعكم هذه الخصائص فتوحات تحريرية ؛ جاءت نداء استجابت له الشعوب طوعاً ، حملته لغة رائعة سادت هي الأخرى بفضل مزاياها ، لا بالقسر والإكراه » .

وأعرب في ختام كلمته ، عن يقينه بعودة الحضارة العربية الإسلامية إلى مسرح التاريخ ، ذلك « أن أبناء هذه الحضارة اتصفوا بالقدرة على الاستيعاب والتمثيل والإبتكار ، كما اتصفوا بالقدرة على مقاومة موجات الفزو المتتابعة والتقلب عليها ... » .

وذكر مثلـ الإمامـ العـالـمـ المـنظـمـةـ المؤـتـمـرـ الـاسـلامـيـ بـانـ « فـكـرـةـ الـاحـتـفالـ بـعـلـولـ الـقـرنـ الخامسـ عـشـرـ الهـجـرـيـ قدـ اـبـتـقـتـ عـنـ مـؤـتـمـرـ وـزـارـاءـ خـارـجـيـ الـدـوـلـ الـاسـلامـيـ السـادـسـ والـذـيـ كانـ لـلـجـمـهـورـيـةـ الـسـوـرـيـةـ الدـوـرـ الـاـيجـابـيـ لـاقـرـارـ بـمـبدأـ الـاحـتـفالـاتـ بهـذهـ الـمـنـاسـبـةـ ، وـقدـ أـخـدـتـ عـلـىـ عـاقـتهاـ اـنـمـاقـاـدـ هـذـاـ المؤـتـمـرـ فيـ رـبـوعـهـ ... » .

ويؤكد أن « معالم العصارة الإسلامية راسخة رسوخ العيال ، ومنتشرة في الأقطار الإسلامية في كل مكان ، في ايران وأفغانستان ومالي وتركيا وأسيا الوسطى وأوربا ، وغيرها من الأقطار » .

ويضيف : ان « مدينة دمشق ، التي نحتفل فيها اليوم بتاريخ الاسلام ، تضم بين جنباتها ذخائر من التاريخ الاسلامي المجيد ، ويرقد في ثراها خيرة اصحاب رسول الله وتابعهم ومن أبطال أمتنا الاسلامية أمثال صلاح الدين الايوبي محرر القدس الشريف . أما في ضمائر الفنون الاسلامية ، فتتجلى البصرية العربية الاسلامية في المدن والمساجد والقصور وغيرها ، وخير دليل على ذلك ما نرى أمام عيننا من الجبال والمظلة للفن الاسلامي العربي دمشق الفيحاء ، جامعها القليم الذي يعد من التحف الاسلامية النادرة ، كما لا ننسى ما ساهمت به دمشق في ترسیخ الدولة الاسلامية المظيمية التي انتشرت في جميع أنحاء المعمورة » .

وحيـاـ الدـكـتـورـ مـعـيـيـ الدـيـنـ صـابـرـ ، المـديـرـ الـعـامـ لـلـمـنـظـمـةـ الـعـربـيـةـ لـلـتـرـيـةـ وـالـقـاـفـةـ وـالـعـلـوـمـ ، دـمـشـقـ الـجـيـدةـ ، الـتـيـ أـطـلـقـتـ كـواـكـبـ الـمـاـضـلـيـنـ وـاستـقـبـلـتـ مـوـاـكـبـ الـمـتـقـرـيـنـ ، وـفـيـ هـذـهـ الـبـقـعـةـ الشـامـعـةـ فـيـ التـارـيـخـ ، الـتـيـ حـمـلـتـ يـغـانـهـاـ وـعـطـائـهـاـ رـايـاتـ الـمـروـيـةـ وـالـاسـلـامـ ، عـبـرـ الـقـارـاتـ ، وـفـيـ كـلـ اـتـجـاهـ ، تـمـزـعـهـاـ بـالـوـحـدـانـيـةـ ، وـتـكـرـمـهـاـ بـالـعـرـيـةـ ، وـتـسـوـسـهـاـ بـالـدـالـلـةـ ، وـتـقـوـدـهـاـ بـالـمـرـفـةـ ؛ وـفـيـ هـذـهـ السـدـوـرـةـ مـنـ دـوـرـاتـ الـزـمـنـ الـكـبـرـىـ ، فـيـ مـطـلـعـ قـرـنـ اـسـلـامـيـ ، تـنـلـاقـيـ اـيـهـاـ الـأـخـوـةـ عـلـىـ موـعـدـ مـحـسـوبـ ، وـنـسـبـ مـوـصـولـ ، وـعـهـدـ مـسـؤـولـ ، زـمـانـاـ وـمـكـانـاـ وـفـكـرـةـ » .

وأثـنـىـ عـلـىـ وـزـارـةـ الـتـعـلـيمـ الـعـالـيـ «ـ فـيـ مـبـادـرـتـهاـ لـتـنظـيمـ هـذـاـ المؤـتـمـرـ الـعـالـيـ حـولـ تـارـيـخـ الـعـصـارـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وـأـسـابـقـ الـقـائـمـوـنـ عـلـيـهـ ، فـيـ وضعـ التـصـورـ الشـامـلـ وـالـمـكـامـلـ ، الـذـيـ يـتـنـاـوـلـ الـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ مـبـادـيـهـ وـمـيـارـاتـ عـلـىـ اـمـتدـادـ الـوـجـودـ الـإـسـلـامـيـ فـيـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ ، وـالـوـاقـعـ الـإـجـتـمـاعـيـ بـمـاـ يـكـشـفـ عـنـ جـوـانـبـ الـإـبـدـاعـ ، وـالـتـكـيفـ فـيـ عـلـمـيـاتـ الـعـوـارـ الـبـصـيرـ ، مـعـ الـمـعـلـيـاتـ الـإـجـتـمـاعـيـةـ وـالـإـجـهـادـ الـقـدـيرـ فـيـ مـواجهـةـ التـحـديـاتـ الـعـيـوـيـةـ ، فـيـ نـطـاقـ الـمـبـادـيـهـ الـسـمـعـةـ لـأـصـولـ الـإـسـلـامـ » .

وعـرـفـ بـالـتـارـيـخـ فـقـالـ : اـنـهـ لـيـسـ هـوـ الـمـاضـيـ الـذـيـ كـانـ فـانـقـطـعـ ، وـالـذـيـ يـتصـورـ عـادـةـ عـلـىـ اـنـهـ اـفـضـلـ مـنـ التـارـيـخـ الـذـيـ سـيـكـونـ .ـ التـارـيـخـ لـيـسـ هـوـ الـمـاضـيـ وـحـدهـ ، وـلـكـنهـ اـيـضاـ الـمـسـتـقـبـلـ .ـ التـارـيـخـ هوـ الزـمـنـ فـيـ طـبـيـتـهـ الـدـائـنـةـ ، وـالـإـنـسـانـ فـيـ طـرـوفـهـ الـتـفـرـيـةـ .ـ التـارـيـخـ هوـ الزـمـنـ وـالـإـنـسـانـ الـلـذـانـ كـانـاـ ، هـماـ اـيـضاـ الزـمـنـ وـالـإـنـسـانـ الـلـذـانـ يـكـونـانـ فـيـ صـنـاعـةـ الـحـيـاةـ .ـ فـالـتـارـيـخـ اـذـنـ لـيـسـ هـوـ الـاـحـدـاتـ ، روـاـيـاتـ الـاـنـتـصـارـاتـ وـالـهـزـائـمـ ، وـحـسـبـ ، بلـ وـلـمـلـهـ فـيـ الـأـسـاسـ .ـ هـوـ بـنـاءـ الـعـيـاةـ الـإـجـتـمـاعـيـةـ ، عـلـاقـةـ الـطـبـيـعـةـ بـالـإـنـسـانـ ، وـعـلـاقـةـ الـإـنـسـانـ بـالـإـنـسـانـ ، وـعـلـاقـةـ الـإـنـسـانـ بـالـإـنـسـانـ ؛ـ عـلـاقـاتـ قـدـراتـ الـإـنـسـانـ بـالـطـبـيـعـةـ اـسـتـسـلامـاـ وـاسـتـئـنـاسـاـ وـتـعـاوـنـاـ وـتـسـخـيراـ ، وـعـلـاقـاتـ تـصـورـاتـ الـإـنـسـانـ بـالـإـنـسـانـ تـكـافـلاـ وـتـقـاتـلاـ ، وـتـنـفـاسـاـ وـاسـتـفـلاـ ، وـعـلـاقـاتـ الـإـنـسـانـ بـالـكـوـنـ حـيـةـ وـضـلـالـاـ وـانـكـارـاـ وـوـحدـانـيـةـ .ـ

ان التاريخ هو تحدي الأجيال للأجيال ، قدرة ورؤى وارادة وابجازاً . وهو على أي حال، في أبسط صوره ، رواية الماضي ؛ وهو ، في أجمل صوره ، صناعة المستقبل . ان عظمة التاريخ في أنه يمنعنا العلم العظيم ، حلم تجاوزه عن طريق الإبداع » .

أقيمت الندوات ، التي أقيمت فيها البحوث والدراسات ، في مدرجات كلية الآداب بجامعة دمشق ، خلال الأسبوع الذي استغرقه المؤتمر . وقد شارك فيها ٩٤ من الباحثين الذين مثلوا الأقطار العربية والدول الإسلامية والأجنبية ، فضلاً عن القطر العربي السوري . وكانت تعقب كل بحث مناقشة باحدى لغات المؤتمر : العربية والفرنسية والإنكليزية .

وتنطلقت المؤتمرات زيارات فعاليات دمشق وأوابدها ، كالناحيف والنبوة والجامع الأموي ومقام السيدة زينب وقبر صلاح الدين الأيوبي وكنيسة حنانيا ، وكذلك زيارة لمدينة القنيطرة المعاصرة .

وفي احدى قاعات كلية الآداب ، أقيم معرض للكتب والمطبوعات ، أهمت فيه عرض مطبوعاتها اثنتا عشرة وزارة ومؤسسة ثقافية سورية ، وأربع عشرة منظمة ومؤسسة واسلوبية ، منها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير الفلسطينية وجامعات الرياض والآلام محمد بن سعد والكويت والبرلمون والخرطوم وتونس ومحمد الخامس وطهران ومركز جهاد الليبيين ، ومعاهد بحوث من إسبانيا وفرنسا والصين الشعبية ، وسفارات آندونيسيا واليابان وبريطانيا وألمانيا الاتحادية .

وفي ختام المؤتمر ، وجه المشاركون تحية تقدير وعرفان الى السيد رئيس الجمهورية على رعايته للمؤتمر ودعمه للعلم والملماء . وما جاء في توصياتهم :

● حث الباحثين على ايلاء العوائب العضاروية في تاريخنا عنابة خاصة ، واعتبار فكرة كتابة هذا التاريخ من منظور الفهم العضاروي للتاريخ ، وابراز الجانب الإنساني من تاريخ العرب .

● دعم المعاهد التي تعنى بدراسة التراث العربي الإسلامي ونشره .
● الاستمرار في اقامة الندوات والمؤتمرات الدورية حول العضاراة العربية الإسلامية .
● الاطلاع على ما ينشر في العالم اليوم حول العضاراة العربية الإسلامية ، وتصحيح ما يحيانب الموضوعية منه .

● إنشاء مجلة حولية أو فصلية متخصصة في تاريخ العضاراة العربية الإسلامية .

● شجب الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية في فلسطين .

● نشر البحوث التي أقيمت في المؤتمر ، في كتاب .

« أبو فراس السباعي »

المحتوى

- مواقف فكرية تجاه الفن والعلم في الغرب والشرق
د. عبد الكريم اليامي
د. عبد الرحيم بدر
١٣
- صور الأرقام خلال الزمن
نادر النابلسي
٦
- الأوبيات في الطب العربي
د. سليمان قطابية
٥٤
- اعجاز القرآن وترجمته
د. جعفر دك الباب
٧٠
- مذاهب وأراء حول نشوء اللغات
صلاح الدين الزعبلاوي
٨٢
- نظم اللآل في الحكم والأمثال - القسم الثاني
جمعها: عبد الله لكري
شرعاً: عبد العين الملوحي
١١٣
- النموذج التماطي في كتابة التراجم
سهيل عثمان
١٥٠
- الاستشراق - الطريق إلى المقرب-قراءة في الاستشراق
يقول: البرت حوراني
ترجمة: عبدالباري اصطفيف
١٦٣
- مؤلفات أبي الفرج الأصبهاني وأثاره
محمد خير الشيخ موسى
١٧٣
- معجم الشيوخ لأبن جمیع الصیداوي
د. عمر عبد السلام تدمري
١٩٥
- قصيدة درة عمر بن الخطاب
ندیم العاصمي
٢١٠
- أنساء سينوية وتراثية :
- اسهام ابن سينا في علم التشريح
د. يونيسيكوميهساري
٢١٥
- ابن سينا في بعض مكتبات ترسانة
ود. أكتيم الدور
الاكاديمي يوسف بورا
والاستاذ يوان مازدا
٢٢١
- جائزة ابن سينا الدولية ومهرجانات ذكراء الالفة
د. نسيب نشاوي
٢٢٢
- ندوة برلين الشرقية ١٩٨٠ م
د. غانم هنا
٢٢٣
- المؤتمر السادس عشر لتاريخ العلوم - بغداد ١٩٨١ م
د. عبد الكريم اليامي
٢٢٥
- مقالات نشرت عن ابن سينا
د. عبد الكريم اليامي
٢٢٧
- كتاب «الفواهر المرحمة عن العرب» - تأليف علي عقلة عرسان، ١٩٨١ م
علي بابا عمر
٢٢٩
- احياء التراث ودراساته
ابو فراس السبعاني
٢٣٢
- المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية بدمشق ١٩٨١ م
الجزائرية - الوصلية
٢٣٤

الموزعون

الجمهورية العربية السورية : المؤسسة العربية السورية للتوزيع المطبوعات

الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

الجمهورية التونسية : الشركة التونسية للتوزيع

جمهورية مصر العربية : مؤسسة الأهرام

المملكة الأردنية الهاشمية : وكالة التوزيع الأردنية رجا العيسى

مختلف الأقطار العربية : الشركة العربية للتوزيع - بيروت

